أضواء على أوضاعنا السياسية

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شـرور أنفسـنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضـلل فلن تجـد لـه ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمــداً عبده ورسوله.

وبعد

فإن أعداء الإسلام من الصـليبيين، واليهـود والملاحـدة في هجمتهم الثانيـة على بلاد الإسلام لم يكتفوا بهزيمة المسـلمين العسـكرية، بـل عمـدوا إلى خلافة الإسلام فأزالوها، وكانت رمـزاً تجمـع شـتات المسـلمين، ثم عمـدوا إلى أوطان المسلمين فمزقوها أوطانـاً وأقـاليم، وأقـاموا في كـل مـوطن وإقليم سـلطاناً مواليـاً لنفـوذهم ينفـذ سياسـتهم بـالترغيب والـترهيب والحمايـة، ثم عمـدوا إلى منـاهج التعليم والتربيـة فصـبغوها بصـبغتهم في الإلحـاد والكفـر وأنشـأوا بـذلك أجيـالاً من أبنـاء المسـلمين يعـادون دينهم، ويتنكـرون لتـاريخهم وأمتهم، ثم عمـدوا إلى الـدين والحـق فحاصـروه في نفوس أتباعه، وضـيقوا الخنـاق عليـه في كـل مكـان، واضـطروا أهلـه إلى النجاة بأنفسهم أو تحمل صنوف العذاب والبلاء، ثم شنوا بعـد ذلـك هجمـة شرسة بـأقلام وألسـنة تقطـر السـم فشـككوا في كـل عقيـدة من عقائـد الدين، وأقاموا الشبه على كل فرعية من فرعياته، حتى أصبح الطريق إلى الله معوجاً للسـالكين، فلا يكـاد يهتـدي إلى الإسـلام أحـد من أبنائـه، حـتى يقابل بسـيل جـارف من التشـكيك والشـبهات، ثم واصـل الأعـداء حملتهم على الجذور الإسلامية يريدون استئصالها والقضـاء عليهـا حـتى يسـلم لهم فصل المسلمين عن أنفسهم وتـاريخهم وبـذلك يصـبحون قطيعـاً وراء كـل ناعق.. وقد كان.

* ولن يستقيم للمسلمين أمرهم وتـرد إليهم مكـانتهم وعـزتهم إلا بإصـلاح جذري كامل يستهدف تغيـير العقليـة الإسـلامية، حيث ترتكـز على الإيمـان بالإسـلام قـولاً وعملاً، ويسـتنير بهـدي القـرآن والسـنة في كـل شـأن من شؤون الحياة، وتكون أجيـال هـذه الأمـة حلقـات في سلسـلة واحـدة منـذ محمد صلى الله عليه وسلم إلى أن يقاتل آخرهم الدجال.. ولابد أن يشمل هذا الإصلاح توافر الحياة كلها، وهذه المقالات محاولـة للإصـلاح السياسـي الذي هو بمثابة الرأس في الأمة والذي يجب أن يتجه الإصلاح إليه قبل كـل شيء فصلاح الراعي لصلاح الرعية، ونحن نرى أن إصـلاح السياسـة يكـون بتقديم النصح للولاة، ووزن أعمالهم بمـيزان الكتـاب والسـنة وهمـا الحكم على كـل شـيء لأنهمـا معصـومان، ولأن هـذه الشـعوب شـعوب إسـلامية تنتمي إلى الإسلام، ويجب أن تساس وفق مبادئه وعقائده، ومن حـق هـذه الشعوب أن تعلم الحق في أخطر قضاياها وهي القضايا السياسية حـتى لا تقاد كما تقاد السائمة ليس لها من أمرها شيء، بل من حقهـا أن تستشـار وتسأل عن إبرام أي شيء.

وقد كان لهذه المقالات الـتي نشـرت تباعـاً في مقـالات أسـبوعية بعنـوان "منبر الجمعة" في جريدة الوطن الكويتية أثر بالغ بحمد اللـه وتوفيقـه في كشف كثير من قضايا السياسات الملتوية لأعـداد هـذه الأمـة، وفي تبصـير كثير من أبناء الإسلام بالسياسة الواجب اتباعها في هـذه المرحلـة الراهنـة من حياة الأمة، ويأتي نشرها في كتاب تحقيقاً لفائدة أعظم والله نسأل أن يكون عملنا هذا خالصاً، وأن يوفقنا في جميع أعمالنا إلى ما يحبه ويرضاه.

12ربيـــع أول سنة 1398هـ

الموافق 20فبرايـر سنة 1978م

عبدالرحمن عبدالخالق

الدين والحياة

مازال كثـير من النـاس يطلـق كلمـة "الـدين" على أمـور التعبـد والتقـرب كالصلاة والصـيام والزكـاة والحج ولا يعلم أن التعبـد هـذا جـزء من الـدين، وليس الـدين كلـه، فالـدين عنـد اللـه هـو الإسـلام، والإسـلام هـو الانقيـاد والإذعان لله سبحانه وتعالى في كل أوامـره ونواهيـه، وقـد شـملت أوامـر الله ونواهيه لنا الحياة بأسرها، فليس من شأن من شـؤون حياتنـا إلا وللـه سبحانه وتعالى له فيه حكم، فحياتنا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية قـد وضع الله لنا أصول التعامل فيها، وفصل بعض جوانبهـا تفصـيلاً كـاملاً، وإن كانت بعض جوانبها قد أجملها، وترك لنا التفريع والابتكـار والتجديـد، وهـذه النواحي أعـني الاجتمـاع والاقتصـاد والسياسـة هي أهم أمـور البشـر على ظهر هذه الدنيا وما كان الله ليتركها عبثـاً أو سـدى أو للتخبـط والتجـريب، وقـد جهـل النـاس أحكـام هـذه الجـوانب من جـراء إزاحـة الإسـلام عنهـا واستبدلوا بأحكام الإسلام فيها أحكاماً أخرى من صـنع البشـر لاقى النـاس منها الظلم والويلات.

ونحن بجهدنا المتواضع ومن هذا المنبر سنحاول جاهدين بحول الله وقوتــه جلاء أحكام الإسلام، في هـذه الجـوانب المهمـة من جـوانب حيـاة النـاس، وليكون هذا إسهاماً في إعـادة الإسـلام إلى هـذه المواقـع الـتي أزيح منهـا بفعل الاستعمار والجهل وسنرى أننا بالإسـلام نحيـا الحيـاة الحقيقيـة الـتي ملؤهـا الحريـة والسـعادة والعـزة، وبدونـه نحيـا حيـاة أشـبه بحيـاة الأنعـام والدواب، وصدق الله القائل: {أو من كـان ميتـاً فأحييـناه وجعلنـا لـه نـوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منهـا}.. فالكـافر والغافل ميت والمؤمن حي لأنه عرف ربه وعرف سبل السـعادة الحقيقيـة في الدنيا والآخرة.

فلنسم الأشياء بأسمائها

الأسماء هي العناوين التي نطلقها على المسميات ومن خلالها نتعرف على ما أطلقت عليه، فإذا سمعنا –مثلاً- لفظ الشجاعة فإننا نتصـور في عقولنـا

صفة حميدة تعني الإقدام والجرأة، ورباطـة الجـأش، وعزيمـة القلب، وإذا سمعنا لفظ الخيانة تصورنا معنى واضحاً محدداً، فإذا قلنـا إن فلانـاً شـجاع وقع في نفوسنا إنصاف هذا المذكور بهذه الصفة، وهكذا في كل ما يوصف به الأفراد والأشياء، والمقصود إننا نتعـرف على الأشـياء من خلال الأسـماء الـتي نطلقهـا نحن عليهـا، فمـا بـالكم إذا أطلقنـا أسـماء مغـايرة تمامـاً للمسميات التي نقصدها، فنطلـق مثلاً على النـار لفـظ المـاء وعلى البـارد لفظ الحار، عل الخيانة لفظ الظرافة (وخفة الدم)، وعلى الشـجاعة لفـظ التهور والجنون، لا شك أننا سنعيش في فوضى لا حد لها، بل سـنعيش في عالم مختلط مضطرب.

* وهذا الذي افترضه ليس فرضاً بعيداً، وإنا هو واقع نمارسه الآن ونعيشـه، إننا نعيش الآن عصراً يصح أن نسميه عصر فوضى الأسماء، فلست واجـداً شيئاً قد تسمى باسمه -الذي يجب أن يتسمى به- إلا القليل النادر وهاكم البيان:

إذا طالعنا قاموسنا السياسي بكل ألفاظـه المتداولـة بن أيـدينا وجـدنا أنهـا موضوعة في غير مواضعها ومنطوقة على غـير معانيهـا وفي غـير أماكنهـا، فالهزيمة المنكرة نكسة والهاء الشعوب ترفيه، والاسـتبداد حـزم، وإفسـاد الناشئة تربية، ومحاربة الفساد تعني في هذا القاموس قمع الذين يـأمرون بالقسط والعدل من الناس والكذب والخيانة سياسة وذكاء.

ألسنا يا قوم نسمي الإذعان للعـدو والاستسـلام لـه والرضـى بالـذل حلاً!! وسلمياً أيضاً، وقد نتصافح فنسميه صلحاً، والحـال هـذا لا يجـوز أن يسـمى حلاً ولا سلماً، ولا صلحاً ولا شيئاً من هذا أصلاً، والمثال واضح وسهل، فأنت لو جاءك عدو فلطمك على وجهـك وأخرجـك من منزلـك الـذي تملكـه، ثم أراد منك أن توقع أمـام النـاس وثيقـة تثبت تنازلـك عن دارك، وفعلت هـذا الذي أراده ثم قابلت الناس فسألوك عمـا صـنعت مـع عـدوك فقلت لهم: تصالحت معه، وحللت قضيتي معه سلمياً.. لضـحك النـاس منـك (وهنـأوك على شجاعتك) آسف لوبخوك على جبنك هذا إذا لم تكن لـك مقـدرة على إخراجه، وأما إذا كنت قـادراً على إخراجـه وقلت ذلـك لبصـقوا في وجهـك ولعجبوا من وقاحتك.

وحالنا مع أعدائنا من اليهـود ليس بعيـداً عن ذلـك، فهم مغتصـبون والـذين أخرجوا من ديارهم وملكها اليهود بعدهم لم يموتوا بعد، ونحن إما أن نكون غير قـادرين على إخـراجهم فمن (العبث) أن نقـرهم على الباطـل وآسـف لاستعمالي كلمة العبث وهي والله كلمة في غير موضعها!! وأمـا أن نكـون قادرين على إخـراجهم.. فهـل نسـمي مـا نفعلـه الآن معهم سـلماً وصـلحاً وحلاً.. حرام عليكم لا تظلموا الكلمات.

وإن تركنـا القـاموس السياسـي وجئنـا إلى قاموسـنا الاجتمـاعي وجـدنا العجب: هذه التفاهة التي تطالعنـا كـل يـوم على صـفحات الجرائـد من أن فلانة أعدت العدة لاستقبال زوجهـا، وتلـك احتفلت ودعت الصـديقات لأنهـا عزمت على مذاكرة دروسها، والثالثة عزمت على تغيير فراش بيتها وذلـك الطرطور دعا الأصدقاء ليهنئوا زوجته بعيـد ميلادهـا، كـل هـذا ومثلـه كثـير يقزز النفس كان ينبغي أن يوضع تحت عنوان: أخبـار التـافهين والتافهـات،

وهكـذا وجـدنا في مصـطلحنا الاجتمـاعي الدياثـة (وتعـني رضـا الرجـل بالفاحشـة على أهلـه) رقيـاً وواقعيـه، والخيانـة في الأهـل والمـال صـداقة وزمالة، ووجدنا ويا لداهية!! كل هـذا الخنـا والفجـور والتفاهـة في التـأليف والتمثيل والإخراج فناً، وكل أولئك التافهين والتافهـات أبطـالاً.. أرثي لهـذه الكلمة (البطل) كيف رضيت بأن توضع في غير موضعها.

وإذا جئنا إلى قاموسنا الديني فالعجب لا ينقطع فالتمسك بالإسلام أضـحى تعصباً، والكفر بكل مـا جـاء بـه الرسـول أضـحى تطـوراً، ورد أحكـام اللـه والتعقيب عليـه أمسـى تفكـراً وتعقلاً، ولفـظ المسـلم يـدل على كـل هـذا السقط من الناس الذي لا يعـرف ولا يعمـل ولا يـؤمن بإسـلام أصـلاً، وأمـا الكفر فهو عتقاء مغرب (شيء لا وجود له) في كل بلاد الضـاد والحـال أنـه يطالعك مجسماً أينما توجهت، وهل الكفر إلا رد الحق بعد بيانه؟

وهؤلاء الذين يتأكلون بالدين، ويقولون على الله ورسوله مـا لم يقلـه اللـه ورسـوله، ويفتـون كـل إنسـان بمـا يشـتهي، ويلوكـون كلمـات يرددونهـا كالببغاوات بلا فقه ولا عمل نسميهم –زوراً- علماء الإسلام.

قال أحد الصحابة في عهد بني أمية: لو خرج رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم لم يعرف مما كان يعهد شيئاً إلا أنكم تصلون جميعاً، فكيف لو خـرج رسول الله الآن، هل تجد شيئاً من دينه بقي كما هو، بـل هـل تجـد حقيقـة شرعية واحدة يفهمها الناس كما أراد هو لا كما فسروها أولوهـا وأطلقوهـا في غير موضعها؟

نحن مهـددون بانـدثار حضـارتنا لأننـا زيفنـا أعظم عملـة نتعامـل بهـا وهي الكلام، وإني لأعجب والله كيف نثور ونغضب ونسجن من زيف دينارا وغاية ما فعل أنه سرق من جيب الأمة ديناراً، ولا نثور ونغضب ممن يزيف الكلام وقد يكون في تزييف كلمة واحدة هلاك أمة بأسرها، وقد شرحنا هـذا آنفـاً، فأعد قراءة المقال، كلنا يشكو من الفوضى وما ذلـك إلا أننـا ألبسـنا اللص لباس الشرف، وأعطينا المغتصب حق الملك، وخلعنـا على الـديوث لبـاس العصر وجعلنا كل التافهين أبطالاً، وكل المتشبهين رجالاً وكل الـذين خـانوا أمانة العلم علماء، وكل الذين باعوا أمتهم وأوطـانهم قـادة وزعمـاء فمـاذا بقي لنا؟! بقي أن نعيد ترتيب اللغة من جديد، وأن نتعلم من الصـفر كيـف نسمي الأشياء بأسمائها.

14 ديسمبر 1976م.

لماذا يظلم الإنسان أخاه؟

كان عجباً أن يقص الله علينا في كتابه أن أول أخوين عاشا على ظهر هذه الأرض قتـل أحـدهما الآخـر عنـدما تعارضـت مصـالحهما، إذ يتصـور من لا يعرف النفس البشرية –حق المعرفـة- أن الأخ يفي أخـاه بمـا ملكت يـداه، وأنه لا يتصور أن يؤثر أخ شقيق منفعة مادية مهما عظمت على أخوة أخيه وبقائـه بجـواره وبخاصـة إذا لم يكن في الأرض غيرهمـا، ولكن هـذا حـدث ولذلك رتب الله على هذا شـريعة القصـاص ليكـون هـذا مانعـاً من الظلم،

فالحـدود جعلهـا اللـه إذن زواجـر عن الظلم والإثم والعـدوان، وعلى كـل المسلم مدعو أولاً إلى أن يعرف حق أخيـه الإنسـان، وذلـك للاشـتراك في الأصل الواحد والرب الواحد، وأعـني بـالرب هنـا الخـالق سـبحانه وتعـالى، وهـذا لا يمنـع أن للمسـلم حقوقـاً أخـرى غـير الحقـوق الإنسـانية وذلـك للاشتراك في الغاية والهدف الواحد.. وهذه الحقوق الإضافية للمسلم على المسلم لا تتنافى مع الحقوق الإنسانية، ولذلك أمر المسلمون بالعـدل مـع أعدائهم كما قال تعالى: {يـا أيهـا الـذين آمنـوا كونـوا قـوامين للـه شـهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على تعدلوا، اعـدلوا هـو أقـرب للتقـوى} الآيـة، والعـدل المـأمور بـه هنـا هـو العـدل مـع الأعـداء الـذين يبغضـهم المسلمون وقد يحملهم بغضهم لهم على ظلمهم فنهاهم الله عن ذلك.

واليوم يتناسى المسلمون هذه الآداب، بل يهملونها وتتحول مجتمعاتنا دون وعي منا إلى مجتمعات تختفي منها الرحمة تـدريجياً، ويحـل مكانهـا الظلم والعـدوان، أو على الأقـل الغفلـة والنسـيان: الغفلـة عمـا يعانيـه الآخـرون بسبب غرورنا وجشعنا، وحبنا لأنفسنا، وأثرتنا.

يعاني الناس اليوم ألواناً من الظلم الخفي الذي قـد لا يحس بـه الكثـيرون لما أحاطوا به أنفسهم من البهرج والزخرف والأموال والمشاغل:

ظلم التاجر الجشع الـذي لا هم لـه إلا الـربح والـربح الفـاحش عن طريـق الاحتكار والتلاعب بالأسواق.

وظلم المالك باستغلال حاجة المحتاج..

وظلم صاحب العمل بامتصاص جهد العامل واستنفاد طاقته، وبخس حقه.

وظلم رب المال بالتسلط والقهـر وامتصـاص أمـوال النـاس وجهـدهم عن طريق الربا والمضاربة.

وإذا كـان الرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم يقـول: [الراحمـون يـرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء]، فإنـه أيضـاً قـد أمر بالضرب على يد الظالم، ومنعـه من الظلم، والحكومـة مـدعوة للحـل الثاني عندما تعجز الكلمات الطيبة والمواعظ الحسنة أن تفعـل فعلهـا في القلوب الصماء.

5 نوفمبر 1976م

أيها الزعماء

... متى ستبدأون الرحلة الجديدة

وإلى أين؟!

مضت أربع سـنوات الآن على حـرب رمضـان 1393 هــ - 1973م ورحلـة السلم التي قادها الزعماء في هذه السنوات الأربع انتهت إلى فراغ - وهذا في حد ذاته رحمة من الله العلي العظيم، ولقد تغـير الوضـع في إسـرائيل تماماً، وأصبحت الآن من حيث الاستعداد العسكري غير ما كانت، فإذا كـان

زعماؤنا السياسيون الذين وضعوا آمالهم على السلم وحده، لم يستعدوا للحرب، فإن هذا يعني الكارثة، واليوم علينا أن نبدأ رحلة جديدة فكيف؟ وإلى أين؟..

أظن أولاً أنه لم يصبح هناك مجال لتنازلات جديدة لأن إسرائيل لم تتنازل عن شيء ففلسطين (الجغرافية) اختلت تماماً وأعلنت إسرائيل أنها أرض يهوذا والناصرة، ومعنى ذلك أن شعار (حق شعوب المنطقة في العيش بسلام داخل حدود معترف بها) لا يشمل الفلسطينيين لأنهم في نظر اليهود ليسوا شعباً من شعوب المنطقة!! وكارتر الذي ادعى أنه سيفاوض الفلسطينيين إذا اعترفوا بحق إسرائيل بالبقاء أنبته إسرائيل تأنيباً عظيماً، وأخبروه بأن منظمة التحرير لا تعدو أن تكون كالمنظمات النازية التي يجب أن يكون مأواها هو السجون والمعتقلات، وسحب كارتر كل وعوده السابقة أو ابتلعها وقد تنبأنا بذلك.

واليوم أهداف إسرائيل واضحة وهي معاهدات جزئية مع كل من مصر وسوريا، يرد لكل منهما جزء من أراضيهما المحتلة في مقابل السلام الدائم ونسيان شيء اسمه قضية فلسطين، وشيء آخر اسمه الفلسطينيين والتكرم بإسكانهم في الدول العربية كمواطنين لا كلاجئين، وتصفية الضفة الغربية أولاً بأول من أهلها.. ولهذا نقول انتهت رحلة السلام إلى فراغ، ويجب أن نفكر في رحلة جديدة؟!

* بالطبع لا يمكن أن نقول بأن قواد الرحلة كانوا يريدون أن يصلوا إلى هذه النهاية، وربما كانوا يعلمونها، وإذا كانوا يعلمونها فلماذا ساروا فيها طيلة هذه المدة.. أربع سنوات.. العلم عند الله.

* نحن الآن أمام رحلتين لا ثالث لهما:

* الرحلة الأولى رحلة إنهاك وإشغال والهاء بمعارك بين الدول العربية الإسلامية تستنفذ فيها الطاقة، ويشغل الناس فيها لا عن إسرائيل فقط، بل حتى عن أنفسهم والنفوس العربية المليئة بالشقوق والأحزان هي أرض صالحة تماماً لهذا وقد تستمر هذه الرحلة سنوات أربع أو خمس حتى تكون إسرائيل قد أقامت هيكلها وأنهت بأسلوب أو آخر وجود العرب في أراضيها وتكون المقاومة في الخارج قد طوقت تماماً، وفقدت مضمونها ومبرر وجودها، وهذا بالطبع إذا لم يتق الزعماء ربهم ويفكروا في حاضر هذه الأمة البائس.

* والرحلة الثانية أن نبدأ بتجميع صفوفنا، ولم شعثنا ونستعد لتحرير أرضنا استعدادا حقيقيا، وندخل مع اليهود القتلة معركة حياة أو موت نملأ فيها الأرض والبحر والجو على إسرائيل موتاً ودماراً، وهذا الكلام ليس قطعة من خطبة حماسية وإنما هو الحق إذا أردنا الحياة والنجاة، ومازلنا ولن نزال نقول إسرائيل باطل صنعه العرب بأنفسهم.

لقد انتظرنا طويلاً حقاً حتى جرب الزعماء زراعة السلام في أرض إسرائيل التي لا تنبت إلا الحرب والدمار والفساد، وكانت هذه المدة الطويلة كافية لتسترد إسرائيل أنفاسها وترمم جيشها وتبني قوتها بعد أن أشرفت على النهاية ولم يبق إلا التسليم باعترافهم بعد حرب رمضان،

ولقد صدقنا في ذلك المخادع كيسنجر، وألقينا ثقلنا مـع أمريكـا المحكومـة بالمعادلات الصهيونية المعقدة وعلينا الآن أن نتخذ قرارنا الجديد من أرضنا ومن داخل نفوسنا، ومن آمال شعوبنا، ومما يمليه علينا ولاؤنا لأمتنا، وقبـل ذلك من امتثالنا بديننا الإسلام الـذي يفـرض علينـا أن لا نقبـل الـذل وأن لا نرضى بالهوان.

* والأمـة كلهـا أمانـة في يـد من يملكـون اتخـاذ القـرار السياسـي، ومـا الشعوب إلا كركاب في قاطرة أو حافلة يقودهـا الزعمـاء، فإمـا أوصـلوهم إلى أهدافهم وغاياتهم، وإما خانوهم وانحرفوا بهم إلى مهاوي الدمار فمتى يا قواد القاطرة ستبدأون الرحلة الجديدة وإلى أين؟!

26 أغسطس 1977م

أمانة الكلمة

من أعظم الأمانات التي سنسأل عنها بين يدي الله سبحانه وتعالى: "أمانة الكلمة" كما قال سبحانه وتعالى: {ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيـد} فالإحصاء الكامل لكل ما نطق بـه الإنسـان ومحاسـبته عليـه إحـدى عقائـد الإيمان ومسائله التي يجب على المسلم استحضارها وتعظيم شأنها.

والكلمة المكتوبـة شـأنها تمامـاً شـأن الكلمـة المنطوقـة، فالكتابـة وسـيلة لإيصال المعنى المراد إلى الغـير شـأن النطـق تمامـاً، وقـد تكـون الكلمـة المكتوبة أعظم أثراً وأوسع انتشـاراً وأطـول عمـراً من الكلمـة المنطوقـة، ولذلك كانت جريرتها -في الإثم- أعظم، وثوابها -في الخير- أكبر وأكثر، كما قال صـلى اللـه عليـه وسـلم إذا مـات ابن آدم انقطـع عملـه إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له، وهل العلم المنتفع به إلا كلمـة حفظت بعـد مـوت صـاحبها في الصـدور أو السـطور وتناقلتهـا الألسنة أو الأقلام.

وكلمة الحق والعدل من أعظم الجهـاد والـدعوة إلى اللـه سـبحانه وتعـالى منطوقة أو مكتوبة، كما قال صلى الله عليه وسـلم: [أفضـل الجهـاد كلمـة عدل عند سلطان جائر]، وطالما كان لهـذه الكلمـة الطيبـة أثـر في الأرض وثمار في النفـوس كـان لصـاحبها أجـر بـذلك، كمـا قـال سـبحانه وتعـالى: {ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبـة أصـلها ثـابت وفرعهـا في السـماء تـؤتي أكلها كل حين بإذن ربها} الآيـة، وكـذلك الشـأن في كلمـة الباطـل والـزور كلما عملت إفسادها في الأرض والنفوس كلما ازداد قائلهـا أو كاتبهـا إثمـاً كما قال صلى الله عليه وسلم: [ومن دعـا إلى ضـلالة كـان عليـه من الإثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً] (رواه مسلم) وبعد..

هل الكفر إلا كلمة تسـير بصـاحبها إلى النـار، وهـل الإيمـان إلا كلمـة تفتح الطريق إلى الجنة!

وإذا كان في الناس من يظن أن الكلمة الآثمـة الـتي تلقى على عواهنها لا تضر صاحبها فهو يخطئ، وكذلك لا تنقص أجر الكلمة الطيبة أن صاحبها لم

يكن يظن أنها ستبلغ في الخير ما بلغت فقد يرفعه الله بها في الجنة مائة درجة، وهو يوم قالها أو كتبها لم يكن يتصور ذلك كما جاء بذلك الحديث.

وقد يظن بعد هذا الإيضاح بعض الناس أن الكلمة الطيبة التي ترفع صاحبها في الجنة هذا المقدار أمرها هين ويستطيع كل إنسان ملك لساناً أو قلماً أن يفعلها ولكن لنعلم أن من شروط الكلمة الطيبة ما يأتي:

أولاً: أن تكون كلمة صدق، فالزور والباطل والكذب لا يمكن أن يكون طيباً، وما أقل الصدق في أيامنا هذه.

ثانياً: أن يكون صاحبها عاملاً بها فلا يكفي أن نأمر الناس بالخير وننسى أنفسنا والله يمقت على ذلك كما قال سبحانه وتعالى: {يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون، كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون}.

ثالثاً: أن يكون المراد من وراء الكلمة هو الله والدار الآخرة، كما قال سبحانه وتعالى: {لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً}، فقيد سبحانه وتعالى الأجر العظيم بابتغاء مرضاة الله سبحانه، هذه الشروط التي نرجو أن نلتزم بها ونوصي إخواننا بالالتزام بها عند بذل كلماتهم، وبذلك نحقق شيئاً من أمانة الكلمة التي كلفنا الله سبحانه وتعالى بها.

وبهذا نفسح المجال لتأخذ الكلمة الطيبة طريقها إلى إصلاح القلوب والنفوس والمجتمعات ومحاربة الشر والرذيلة والظلم، وإذا فسح المجال للكلمة الطيبة الصادقة المخلصة فأثمرت العمل الطيب الصالح فإن الكلمة الخبيثة الشريرة الكاذبة يفتضح أمرها ويتوارى أهلها لأنها تصبح بعد ذلك كلمة منكرة معلوم كذبها وزورها.

ونحن في زمان كثر زوره وكذبه وقل صدقه وإخلاصه ولكن الكلمة الطيبة لا يقف أمامها الكلام الخبيث الكاذب، كما قال سبحانه وتعالى: {بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون}.

عندما عرض على الأخ جاسم المطوع أن أشرف على هاتين الصفحتين المتخصصتين في الشؤون الدينية، علمت أنني أمام مسؤولية صعبة فليس المطلوب الآن هو ملء صفحتين بكلام منسوب إلى الدين أياً كان هذا الكلام، ولكن المطلوب هو تقديم الكلمة الطيبة الصادقة الحكيمة التي تعالج ما تشكوه الآن من آلام وأسقام في هذه الفترة السيئة من تاريخها، ونحن نوجّه نداءنا إلى أهل الكلمة النظيفة أن يشاركونا هذه المسؤولية، ولن نفسح المجال إلا لمثل هؤلاء ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، ونبشر القارئ أن وقته لن يضيع سدى وهو يقرأ في يوم أجازته ما يكتب في هذه الزاوية، بل سيجد إن شاء الله أننا سنلتزم بأمانة الكلمة وسنحافظ جاهدين على شرف هذه الرسالة التي شرفنا الله بحملها وسيتعرف على إخوان له في الله يقدمون له النصح خالصاً ويتقبلون منه كل نقد وتوجيه وسيشاركونه آلامه وآماله في سعادة هذه الأمة وإعلاء شأنها.

8 أكتوبر 1977م.

السلمي.. عبث وسراب

سيأتي اليوم الذي يتحقق فيه للساعين إلى حل سلمي بين الأمة الإسلامية وبين اليهود أنهم كانوا يركضون خلف السراب، والذي يتبين لهم فيـه أيضـاً أنهم كانوا عابثين.. وذلك للأسباب الآتية:

أولاً: المسلمون واليهود أمتان مختلفتان عقيـدة ومنهجـاً وأهـدافاً وسـلوكاً، وتقـوم كـل منهمـا على تـراث طويـل من الحقـد والكراهيـة وهـذا الـتراث الطويل المتـوارث بمعاهـدات صـلح فوقيـة تفرضـها دول تنظـر فقـط إلى تحقيق مصالحها الشخصية الآنية وتبديل هـذا الـتراث في حكم المسـتحيل، فقد أثبت اليهود لليوم أنهم شعب تراثي يعيش على أحكام التوراة، ويؤمن بأخبارهـا ويفـاوض العـالم المعاصـر على أسـاس وعودهـا ومـا زال اليهـود لليوم يشكلون حياتهم وثقافة صغارهم على أساس هذه العقيدة، وينفخون الحقد الأسود في قلوب أبنائهم للشعوب الإسلامية التي يتهمـون أسـلافهم بأنهم من أسباب شتاتهم وتشريدهم، وإذا كـان اليهـود يريـدون من الـدول الإسـلامية أن تتخلى عن تراثهـا ليستسـيغ أبناؤهـا قبـول اليهـود في هـذه الأرض، فإن اليهود أنفسهم لم يفعلوا ذلك بـتراثهم ليشـعروا نحـو شـعوب هذه المنطقة بالأمن والسلام.

والشـعوب الإسـلامية والعربيـة خاصـة وإن كـانوا أقـل من اليهـود تمسـكاً بالتراث ونزوعاً إلى القديم، فإن العقيدة الإسلامية مازالت حية في نفوس سواد النـاس، وهـذه العقيـدة الإسـلامية عقيـدة اسـتعلاء فوقيـة لا ترضـى لأصـحابها بالـذل والدنيـة ولا تحصـرهم فقـط في إطـار الشـعائر الدينيـة العبادية، وإنما تأمرهم بصبغ حياتهم السياسية والعملية والاجتماعية بأحكام الإسلام وهذه الأحكام تتناقض جذرياً مـع الرضـوخ لـذل اليهـود والاسـتكانة لاحتلالهم والرضا معهم بالذل والعار.. وبالرغم من أن المحاولات مسـتمرة لصرف الناس عن هـذه العقيـدة تمهيـداً لاسـتقرار اليهـود في هـذه الأرض وتوطئة لأمنهم وسلامهم فيهـا، فـإن المشـاهد أن هـذه المحـاولات فاشـلة وستفشل وذلك أن التجارب أثبتت أن الأمـة الإسـلامية تـزداد مـع التحـدي شدة وصلابة، ويدفعها التحدي دائماً إلى الاعتصام بالدين والتمسك به.

هذا وما زال الخلق العـربي القـديم من الشـعور بـالنخوة والهبـوب لنجـدة المظلوم والدفع عن الضعفاء حباً في نفوس أبناء الإسلام من العـرب هـذا الشعور الذي استثاره الإسلام ونماه كما قال تعالى: {ومـا لكم لا تقـاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولـون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لـدنك وليـاً واجعـل لنـا من لـدنك نصـيراً}، وهـذا الشـعب الفلسـطيني المظلـوم المضـطهد المخـرج من أرضـه مـازال مثـالاً حيـاً يسـتثير الهمم العربيـة ومشـاعر المسـلمين، والعمـل على تبغيض الفلسـطينيين لسـائر العـرب وإيجـاد التناقض بينهم وبين إخوانهم، وإن كـان قـد آتى ببعض ثمـاره لـدى ضـعفاء النفوس، فإنه لاشك منته وسائر إلى بوار، وذلـك يتكشـف الحقـائق ولا بـد يوماً أن تتكشف..

المهم أن قيام أمتين متجاورتين وبينهما هـذا التنـاقض العقائـدي والفكـري والاجتماعي الهائـل أمـر مسـتحيل فكيـف يـرجى أيضـاً أن يكـون مـع هـذا التجاور سلم وصلح وسلام!!؟ الذين يظنـون إمكـان هـذا في عـالم الواقـع يعيشـون في غيبوبـة كاملـة عن الواقـع، ويناقضـون حركـة التـاريخ وأخلاق الأمم.

ثانيـاً: لا يقـف المسـلمون واليهـود على هـذا الـتراث الهائـل من الكراهيـة والحقد والتناقض فقط، وهذا أمر ماض ربما نقول فيه كمـا قـال كيسـنجر: "اللي فات مات"، وإنما الأهداف (المستقبلية) للأمتين تختلفان وتتناقضـان تناقضاً جذرياً، فبينما يسعى المسلمون بعد التمزيـق الـذي أحدثتـه الحـرب العالمية الأولى والثانية إلى جمع شتاتهما وإيجاد نوع من الوحدة والتناسـق بين الأقاليم المختلفة وبروزهما كقوة محايدة بين القوى العالمية المتنازعة وإحياء دورهم التاريخي الذي اختارهم الله سبحانه وتعالى بأن يكونـوا أمـة مهتدية هادية تعدو إلى الله سبحانه وتعالى، أقول بـالرغم من وضـوح هـذه الأهداف في حث أبناء الأمة الإسلامية وسعيهم إلى ذلك فإن الأمة اليهودية تسـعى بمـا لـديها من قـوة لتكـون هي القـوة الثالثـة في العـالم في هـذه المنطقة ولتكون سنداً وامتداداً لقوة أمريكـا واصـبعاً ومخلبـاً لهـا في هـذه الأرض، ولتعيش على ثروات هـذه الأمـة وتسـتغل تناقضـها وتمتص جهـدها وقوت أبنائهـا ولتشـفي غيظهـا من حقـدها التـاريخي نحوهـا، ومـا التوسـع اليهودي الدائم والاسـتيطان الـدائم، واسـتجلاب اليهـود من كـل مكـان في الأرض نحو فلسطين إلا بدايات لهـذه الأهـداف الـتي يسـعى اليهـود إليهـا، فكيف تتجاور أمتان وتتصالحان وينشـأ بينهمـا صـلح وسـلام، وهمـا تحملان هذه الأفكار والأهداف للمستقبل؟!

وأخيراً فالوهم الكبير الذي يريد الساسة وضـع الأمـة فيـه أصـبح مكشـوفاً لكل ذي عينين، والإصرار على بث الوهم وزرعه في النفـوس إصـرار على الخطأ، ويجب على الأمة أن تصحح مسارها من جديد وأن تسعى حثيثاً إلى الوحدة والعزة والقوة، وإخراج الرجس من هـذه الأرض الطيبـة المباركـة، وهذا هو المنطق الصحيح والحركة الصحيحة للتـاريخ، وأمـا مـا سـوى ذلـك فوهم وباطل.

30 سبتمبر 1977م

من ذا الذي يستطيع أن يعبر
فوق هذا التراث

الحرب والصراع بين المسـلمين واليهـود حـرب وصـراع أبـديان وجـدا منـذ بدأت الدعوة الأولى إلى الإسـلام، وسيسـتمران طالمـا بقي مسـلم يـؤمن بالقرآن، ويهودي يؤمن بالديانة اليهودية ويصدق بوعودها.

وإذا كان قد مرت فترات من الزمن هدأ فيها هذا الصراع، وكان هناك سلم وأمان، فذلك حيث تكون الكلمة العليا لله، واليد العليا للمسلمين، وأما في اليوم الذي تكون فيه اليد العليا، والكلمة العليـا لليهـود فهم كمـا قـال اللـه

تعـالى: {لا يرقبـون في مـؤمن إلاً ولا ذمـة}، بـل أعملـوا التقتيـل حقـداً وكراهية وبقروا البطون وقتلوا النساء والأطفال وحشية وهمجية.

وعلى كل حـال فليس المسـلمون وحـدهم هم الـذين حملـوا حملاً ودفعـوا دفعاً إلى قتال اليهود وقتلهم، فكل الشعوب والأمم الـذين احتكـوا بـاليهود وعرفـوا مكـرهم وخبثهم حـاربهم اليهـود وقتلـوهم، وأذلـوهم، وإذا كـانت النازية تتهم بإبـادة عـدد منهم، فمـا فعلـه اليهـود بألمانيـا قبـل وبعـد هتلـر أضعاف أضعاف ما فعله النازيون بهم.

والمسـلمون هم الأمـة الوحيـدة الـذين نعم اليهـود في رحـابهم بالعـدل والمرحمة مع معرفتهم لمكرهم وخبثهم، وأما الشـعوب الأخـرى فـإنهم مـا كـانوا يكـادون الوقـوف على مكـرهم حـتى يعملـوا فيهم الإبـادة والتقتيـل والتشريد.

وإذا كان اليهود ينعمون في عالم اليوم بـالأمن والتأييـد من دول المعسـكر الشـيوعي والمعسـكر الرأسـمالي، فإنمـا هـو إلى حين، وذلـك أن إجـادة التباكي من اليهـود على المآسـي القديمـة الـتي حلت بهم وإتقـان التخفي والحيطة والحذر والظهور بمظهر الحملان الوادعة كل هذا لن يدوم طويلاً، وقد بدت تباشيره الآن بين الشعب الأمريكي والشـعوب الأوروبيـة بصـرف النظر عن موقف هذه الحكومـات الـتي لا يصـل رؤسـاؤها إلا مناصـبهم إلا على أجنحة الدعاية اليهودية وأموال المؤسسـات اليهوديـة، ولا يبقى وزراء هذه الدول في مناصبهم إلا بالحيـل اليهوديـة والتسـهيلات الصـهيونية الـتي جنـدت النسـاء والأمـوال واشـترت الـذمم والضـمائر في وقت انعـدم فيـه الضمير والذمة، ومع كل هذا فحبل الباطل قصير، والكذابون الغشاشون لا بد وأن يظهر الله كذبهم وغشهم.

واليهود الـذين يكنـون للعـالم كلـه حقـداً أسـود تـراكم في صـدورهم عـبر القرون، ويحملون في رؤوسهم أفكاراً يؤمنون بهـا، وهي أنهم شـعب اللـه المختار، وأمته المحبوبة المباركة، وينتظرون المسـيح المخلص الـذي يضـع العالم كله تحت أقدامهم، وبنو البشر جميعاً عبيداً لهم، يعملـون لهـذا بكـل ما أوتوا من قوة، وإذا كانوا يمدون إلينا نحن المسلمين اليـوم يـداً ملطخـة بدماء الأبرار منا، ويطلبون العيش الآمن والسلم الدائم، في أرض نجسوها بدنسهم ودقوا أوتـادهم فيهـا على عظـام شـهدائنا والمخلصـين من أمتنـا، فإنهم لم يطلبوا سلماً طيلـة حيـاتهم وتـاريخهم وإنمـا طلبـوا الحـرب بكـل سبيل، ومـا طلبهم السـلم الآن إلا خدعـة كالخـدع الـتي سـلفت من قبـل، ومـتى سـالم اليهـود غـيرهم حـتى يسـالمونا؟ مـتى سـالموا النـاس؟.. ولا يعرفون إلا الضحك على غيرهم والاستهزاء بهم واقرأوا إن شئتم ما فعلوه ويفعلونه الآن بالعالم في كل مكان يحلون فيه.

هذا التراث الأسود الذي يقف اليهود عليه ويجابهون به هـذه الأمـة، وتـراث أمتنا المليء بالمرحمة والانصاف وكذلك بالشـهداء الأبـرار الـذين سـقطوا بنيران غدر اليهود وخياناتهم وهذه الحضـارة الإسـلامية الشـامخة بقوانينهـا في العدل والمرحمة والأخذ على يد الظـالم، وقتـال أهـل البغي والفسـاد، وحضارة اليهود بكل ما فيها من حقد وغدر هذا وذاك ضدان لا يلتقيان.

قال صديقي وهو يتألم مما يسمع من أناشيد السلام المعسولة التي يتبادلها العرب واليهود، والشروط المطروحة لسلم مزعوم كيف يحصل السلام مع اليهود وقد فعلوا كل هذا؟

فقلت: هوِّن عليك يا أخي فإن الفرد الذي يستطيع أن يعبر فوق هذا التراث لم يولد بعد! ولن يولد قط!

10 ديسمبر 1976م

أي إسلام تريدون؟

الإسلام المستأنس؟ أم إسلام الخوارج؟ أم إسلام الكتاب والسنة؟

* لأن الإسلام من عند الله الذي لا يحابي أحداً، ولا تكريم عنده إلا للتقي، ولأن التقوى منزلة عزيزة المطلب، ولأن السلطان بيد البشر، ولا يتخلص إلا القليل منهم من نوازع نفسه وحب ذاته، ولأن الآية والحديث سيف في يد قائلهما.. بكل ذلك كان لابد للسلطان الذي يحكم الهوى أن يستأنس إسلاماً يسانده في سلطانه، ويحقق منافعه ويستخدمه سلاحاً ضد أعدائه.

وعملية استئناس الإسلام عملية قديمة قدم الانحراف عن منهج الكتاب والسنة، وستستمر ما بقي سلطان في الأرض يحكم بالإسلام اسماً، وبالقرآن رسماً، وبالمصالح والأهواء عملاً وواقعاً.

والإسلام المستأنس إسلام عجيب، يتلون بلون السلطان ويلبس جلبابه، ويحمل صولجانه وأختامه، فإذا كان السلطان يطبق النظام الشيوعي كان الإسلام المستأنس شيوعياً، وإذا كان النظام اشتراكياً كان كذلك، وأصبحت لا ترى ولا تسمع إلا أحاديث المساواة وآيات الإنفاق، وإذا كان السلطان يطبق النظام الرأسمالي بكل احتكاراته وظلمه وغشمه لم تسمع إلا: [إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام]، و {فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه}، وإذا كان السلطان يعادي اليهود كانت الأبواق تنادي بأنهم شر الخلق والخليقة، وأن الله لعنهم ومقتهم، وضرب عليهم الذلة والمسكنة، وأما إذا كان يدعو إلى سلمهم والصلح معهم كان اليهود هم أبناء العم وأهل الإيمان وكانت السياسة {وإن جنحوا للسلم فاجنح لها}، وكان اليهود هم الذين قال الله فيهم: {وإني فضلتكم على العالمين}.

وباختصار الإسلام المستأنس هو إسلام السلطة التي ترى لزاماً عليها أن تستأنس رجالاً يتزينون بزي الدين فينقذونهم حيث يريدون، ويسكتونهم حيث يشاؤون، ويصنع هؤلاء لهم من الفتاوى ما يناسب أذواقهم وأهواءهم ويفصلون لهم من الدين أثواباً على قياسهم.

وفي مقابل هذا الانحراف يقوم رجال آخرون يغلق عليهم الفهم وتتشابه أمامهم النصوص، ويظلم أمامهم الواقع ويرون مجافاته للدين فيخرجون على المجتمع برمته ويكفرون الناس إلا أنفسهم، ويلجأون إلى المغارات والفلوات ويجابهون الناس بما في أيديهم من سلاح.. والفكر الخارجي فكر قديم نشأ في المسلمين عندما اختلفوا ووقع السيف بينهم، وأشكل على

كثيرين معرفـة الحـق والصـواب فقـالوا بكفـر علي ومعاويـة، ومن معهمـا وضربوا بسيوفهم في كل واد.

واليوم حيث تتشابك السبل، وتتشابه النصوص، وتقل المعرفـة، ويسـتأنس علماء الإسلام بالترغيب تارة، وبـالترهيب أخـرى ويصـنع لكـل سـلطان في كل بلد جبة إسلامية تناسبه في الشكل والموضوع يخـرج الفكـر الخـارجي من معاقله فنسمع عن "جماعات التكفير والهجرة" وعلى شاكلتها كثير..

* وإسلام الكتاب والسنة ليس هذا ولا ذاك إنه إسلام مهتد ينطق بالحق ولا يبرر الواقع، ويصدع بالنص كما يريده الله ورسوله ولا يلـوي عنقـه ليوافـق أهـواء النـاس، وصـولجان السـلطان، إسـلام الكتـاب والسـنة هـو الإسـلام الكامل الذي أنزله الله لا يجامل أحداً، ولا يركبه أحد، وذلك أن حاملي هـذا الإسلام عفروا جباههم لله فأعزهم وتواضعوا له فرفعهم، وأخلصـوا نيـاتهم فأشرقت قلوبهم بنور الوحي فعرفوا طريقهم، وعظموا الله فدل كل جبار في أعينهم، وتواصوا بالمرحمة فعلموا الجاهل، وأرشـدهم الحـائر وصـبروا على إساءة الظالم طمعاً في هداية الخلق ورغبة في ثـواب الخـالق، فـأي إسلام تريدون؟!.

لا حضارة دون سلاح

نعلم أن صوتنا نشاز في معزوفة السلم التي بـاتت تعزفهـا وسـائل الإعلام العربية من المحيـط إلى الخليج، هـذه الوسـائل الـتي بـاتت تصـور الصـلح والسلم مع إسرائيل على أنه المفتاح السحري الذي سينهي جميع مشاكلنا والبلسـم الشـافي لكـل جروحنـا وآلامنـا.. فهـو الـذي سـيخرج مصـر من ضائقتها الاقتصادية، وهو الذي سيوفر نقود النفط التي تـذهب "هـدراً" في شراء السلاح وهو الذي سيقضي على المشاكل الداخلية، وهو الذي سيبني منـا أمـة عظيمـة تضـارع أمريكـا واليابـان، وهـو الـذي سـيجعل حكوماتنـا تنصرف إلى بناء الاقتصاد والمساكن و.. الخ.

وهذا الكلام يشبه تماماً من يقـول إن الشـمس لا تشـرق، ولا يوجـد شـيء يسمى الليل، والقمر أكذوبة، أو هو كمن يقـول إن السـم يقـوي العضـلات ويقتل الجراثيم من الجسم، أو هو كمن يقول: غداً سترى الذئاب والخراف في مكان واحد، وسيمرح الفأر مع القط، وسـتختفي الحـروب من العـالم، وسينسـى الـروس والأمريكـان صـراع البقـاء الـذي يمارسـونه في الأرض والسماء.

أقول إن الذي يقول لنا ألقوا السلاح واصطلحوا مع اليهود واهتموا بالاعمار تماماً كالذي يريد أن يحول طبائع الأشياء ويبني عالماً من الوهم والخرافـة والغباء.

فصراع البقاء فوق هذه الأرض باق ما بقي الإنسـان والظلم على سـطحها باق أيضاً ما بقي الإنسان وليس هناك وقت ازداد فيه الصراع وفقد النـاس كل مقومات العدل والمرحمة كالعالم الذي نعيشه اليوم، فالشعوب اليـوم أكثر استعباداً وأقل حرية وأعظم هموماً، والمعارك مشتعلة في كل مكان،

فبين الدول الغنية وبين دولنا الفقيرة حرب هدفها استنزاف الموارد وإبقـاء الفقير فقيراً، وهو استعمار أشد خبثـاً ودهـاء من الاسـتعمار السـابق، وبين الشيوعية والرأسمالية صراع، وبين الدول الشـيوعية بعضـها بعضـاً صـراع، ونحن في بلادنا العربية الإسلامية تحيط بنا الأطماع من كل جانب، ويطمـع في ثرواتنا كل طامع.

وإذا كنا حقـاً جـادين في بنـاء حضـارة وصـناعة أمـة، فليس لنـا أمـام هـذه الأطماع إلا أحد أمرين: إما أن نبني بيد ونحمل السلاح للدفاع عن حضارتنا وبنائنـا باليـد الأخـرى، وإمـا أن نوكـل السـلاح لغيرنـا ونـدخل تحت مظلـة أمريكية أو روسية، وبذلك نعيد عهود الحماية البريطانية والفرنسـية، وليس أمامنا غير هذا، فأي طريق سنسلك؟

وأما القول بأننا نستطيع أن نبني ونعمـر أرضـنا دون حمايـة من سـلاحنا أو سلاح غيرنا، فهو قول غبي ساذج، أو هو قول خبيث لا يريـد أصـحابه إلا أن يقودونا به إلى الجزار الذي يقطع رقابنا ويمص دماءنا.

أموال السـلاح لا تـذهب هـدراً، لأننـا بهـا نحمي أنفسـنا في عـالم متصـارع متقاتل يسعى إلى الحرب أضعاف مـا يسـعى إلى السـلام، واليهـود الـذين جعلوا السلم والصلح معنا نهايـة آمـالهم، وغايـة أحلامهم ينفقـون أكـثر من ثلث ميزانيتهم في شراء السلاح والعتـاد، وهم العـدو الأول المغـروس في جسـدنا، وهم أيضـاً ليسـوا العـدو الوحيـد والأخـير في مسلسـل أطمـاع الطامعين في هذه البقعة من الأرض، وإذا كان يقـل كاهلنـا شـراء السـلاح فلماذا لا نبـني المصـانع ونسـتثمر أموالنـا في هـذا السـبيل، فالسـلاح أهم سلعة في العصر الحاضـر وهـا هي الـدول الـتي كـانت بعيـدة عن الحـرب ومشـاكلها من أمثـال سويسـرا طلقت صـناعة السـاعات لتصـنع الأسـلحة وتبيعها، فالصناعة الحربيـة هي أكـبر الصـناعات كسـباً ورواجـاً في الـوقت الحاضر فما الذي يمنع حكوماتنا من إقامة صناعة حربية متطورة؟

المهم من كل هذا هو أن نعلم أن الذين يوهموننا بأننا إن تركنا السلاح بنينا حضارتنا مخطئون فلم تقم حضارة في الأرض دون سلاح، أمـا سـلاح أبنـاء هذه الحضارة، وأما سـيوف غـيرهم ممن يعيشـون تحت مظلتهم ولا أشـك أن أي مسـلم لا يرضـى بـأن يعيش في حمايـة مظلـة روسـية أو أمريكيـة ونحن أمة نحمل من مقومات الحضـارة مـا يجعلنـا خـير أمـة على الأرض: المقومات المادية والمقومات المعنوية والخلقية وهمـا دعامتـا أي حضـارة في الأرض، فـالموقع الممتـاز والخـيرات الـتي لا تحصـى والرجـال الأكفـاء الشجعان وسائر المقومات المادية متوفرة لدينا، وأمـا المقومـات الخلقيـة فهذا ديننـا النـاس جميعـاً في حاجـة إليـه في وقت وصـل فيـه النـاس إلى طريق مسـدود من الشـقاء بالمـادة والبحث عن الهـدف والغايـة والضـلال والحيرة، وعندنا الجواب لكل مشاكل العالم المعقـدة ولكننـا وللأسـف في عماية عنه.

ولا نحتاج إلى بناء حضارتنا واسترداد ما ضاع من شرفنا وعزنـا ألا بـإخلاص أولي الأمر فينا لهذه الأمة وعودة شعوبنا إلى هذا الـدين الـذي جعلنـا على مدى القرون السابقة خير أمة أخرجت للناس.

كان أولى بالذين يقولون لنا: ألقوا السلاح ودعوا المعارك أن يأمروا أهل الثراء منا بجلب أموالهم إلى أرضنا وبالتجارة في السلاح بدلاً من التجارة في الفساد واللهو، كما أولى بهم أن يقولوا إن الأموال التي هدرت على موائد القمار في لندن، وعلى بيوت الفساد والدعارة، وعلى مجلة (بلاي بوي) التي أنقذتها أموال النفط، أقول كان أولى بالداعين إلى الصلح مع اليهود أن يضربوا على أيدي هؤلاء السخفاء ويصادروا هذه الأموال التي تهدر في بلاد الغرب لنبني سلاحاً في بلادنا، ولكن يبدو أن الداعين إلى السلم لا يحبون إلا أن تكون أمتنا كذلك.

28 يناير 1977م

هل أنت واقعي؟!

من أخطر المصطلحات السياسية المستعملة الآن لفظ "الواقعية" وهذا اللفظ يستخدمه مروجوه في مقابلة "الخيالية" والجري وراء الأحلام والعواطف، وكان هؤلاء المروجين لهذه اللفظة يريدون أن يقولوا لقد سار العرب في سياستهم السابقة بالعواطف والأوهام والآن لابد وأن يكونوا "واقعيين" ويعالجوا أمورهم الواقعة الحادثة بدلاً من الجري وراء أمانيهم وأحلامهم الكاذبة، ويهدف إلى أن إسرائيل أصبحت حقيقة واقعة ولا بد من التعامل معها على هذا الأساس وفكرة تدميرها، أو إلقائها في البحر كما كان يُقال فكرة خيالية ومن العبث الجري وراءها.

وهذا القول هو من الحق الذي يراد به الباطل فلا يجحد الواقع أصلاً غير مجنون معتوه، ولكن الناس بإزاء الواقع السيء ينقسمون إلى قسمين: قسم يرضى بهذا الواقع السيء ويستكين له، وقسم آخر يعمل على تغييره وإزالته ولكن اللفتة البارعة لدعاة الواقعية إنما كانت في صرف نظر الناس عن المستقبل وتركيزها إلى الوراء دائماً، وبهذا قطعوا الأمة عن آمالها المستقبلة وأشغلوها في مشاكلها الحاضرة.

كان هم الناس صغيرهم وكبيرهم قبل عام 1967م هو إزالة إسرائيل وكان هذا شغلهم الشاغل من أجل هذا الأمل أزيلت عروش الملوك، ونصبت عروش الرؤساء وعلى هذا الأمل قامت الثورات وهي لا تحمل من شعار إلا هذا الشعار.

وبالرغم من أن إسرائيل كانت حقيقة واقعة فإن الاستجابة لهذا الواقع والرضا به كان معدوماً مفقوداً، وبالرغم من هزيمتين مني بهما العرب سنة 1948م و 1956م.. ولكن اللفتة البارعة لشياطين الإعلام وأبالسة السياسة تحققت بعد عام 1967م حيث تحول نظر الناس عن آمالهم المستقبلية بأمر جديد وهو (إزالة آثار العدوان) لقد كانت هذه الكلمة المنتقاة المختارة "ضرب معلم" صرفت الناس عن النظر المستقبلي المتوافق مع آمال الأمة وأحلامها إلى النظر للوراء.. ومنذ هذا الوقت للآن والأمة تنظر إلى الوراء، ولا نجد الفرصة لتنظر إلى المستقبل، بل لا تجد أصلاً وقتاً للتفكير فيه وذلك بالحركة الدائبة والتشويش الدائم والبلبلة الدائمة.

وبـالرغم من أن حـرب رمضـان سـنة 1973م كـانت نشـازاً عن محاولـة الإقناع الدائم بوجود إسرائيل وبقاء إسرائيل والرضا بواقع إسرائيلي، وذلك أنها أنعشت آمال المسلمين بتحقيق حلمهم التاريخي بإزالـة إسـرائيل، بـل كان هذا الأمـل قـاب قوسـين من تحقيقـه بـاعتراف اليهـود أنفسـهم فإنـه سرعان ما أحبطت آثارها في نفوس المسلمين ووضعت هـذه الحـرب مـع نتائجها قهراً وقسراً لتكون جزءاً من العمل على إزالة آثار العـدوان وبـذلك ظهرت هذه الحرب نشازاً في كل شيء وكأنهـا فلتـة من فلتـات التـاريخ و (غلطة) من (غلطـات) السياسـة وبـدلاً من أن تكـون خطـوة نحـو الهـدف الأعظم أصبحت خطوة نحو الوراء.

مشكلتنا نحن العرب ليس في أننا لا نرى الواقع، ولكن في أننـا لا نحب أن نفكر في المستقبل، وقطع الصلة بين الواقع والحاضر والمستقبل سـيودي بنا في النهاية إلا أن نعيش ولا نرى إلا الماضـي وهـذه هي مشـكلتنا فليس هناك واقع في الحقيقة لأنه لا يوجد إلا زمنان فقط مستقبل وماض، وذلـك أنك إذا جزأت أجزاء الزمان إلى لحظات أو ثـوان، سـتجد أن أمامـك ثانيـة ستبدأ وخلفك ثانية قد انتهت، وليس هناك حاضر أو واقع، فكل ما وقع قبل لحظـة فهـو زمن مـاض وكـل مـا سـيقع بعـد لحظـة فهـو زمن مسـتقبل، والواقعيون أرادوا صرفنا عن المستقبل وإدارة وجوهنا إلى الماضـي فقـط فسموه بالواقع، وجعلوه في مقابلة الخيال والأحلام، وبهـذا تمت لهم أكـبر عملية تزوير في السياسة واللغـة وابتـدأ بحثنـا واجتهادنـا كلـه منصـباً على الماضي ماذا حدث وكيف يمكن علاجه، ونادراً ما نجد من يقول مـاذا يمكن أن يحدث وما يمكن فعله إن كان خيراً.. وكيف يمكن تلافيه إن كان شراً.

وهكذا أصبح شأننـاً مـع أعـدائنا هم يخططـون للمسـتقبل ويعملـون لـه من الآن ولمائـة سـنة آتيـة ونحن نفكـر في الماضـي ولا نـزال في شـغل بـه ونركض وراء الأحداث وعيوننا إلى الخلف ونجد أن الأعـداء قـد حفـروا لنـا حفرة أخرى فنسقط فيها ثم ننشغل بها مدة وهكذا..

هل نستطيع بعد كـل هـذه المآسـي أن نقـف وقفـة نراجـع فيهـا حسـاباتنا الماضية ونضع خطتنا للمستقبل محددين أهدافنا ومـا نصـبو إليـه ثم نعمـل وفق خطة موضوعة لنصل إلى ما نريد؟

هـل نسـتطيع أن نحقـق ذلـك في عـالم السياسـة المضـطرب وفي عـالم الاقتصاد المتردي..؟ أم ستسمر عملية التزييف والإلهاء.. وإلى متى؟..

نرجو ألا يصل مزيفو هذه اللفظة "الواقعيـة" إلى تزييـف كـل تاريخنـا كلـه وبالتالي تضيع آمالنا وأمانينا في العزة والنصر، ويجب أن نعلم أن إسرائيل باطل واقع وأنها "كانت" بفعل التزييف والتهويش والفرقـة، وأنهـا سـتزول عندما نواجه الحقائق ولا نزيفها ولا نضـخمها ويـوم نعمـل لإزالتهـا متحـدين متكاتفين وسيكون هذا إن شاء الله ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

20 مايو 1977م

ما دورنا في لعبة الأمم؟

* على أكتاف الآخرين استعمر الإنجليز في وقت ما أكثر من ربع المعمورة، وفي أعظم مواجهاتهم مع ألمانيا في الحرب العالمية الثانية جندوا كل الشعوب المستعمرة بجميع أجهزتها وإمكانياتها لحرب الألمان، ودخلت تلك الشعوب المغلوبة على أمرها حروباً لا ناقة لهم فيها ولا جمل، ولم يكسبوا بعد هزيمة الألمان ونصر الإنجليز وحلفائهم إلا تعزيز السيطرة الاستعمارية الإنجليزية والفرنسية ثم الأمريكية التي أزاحت بعد مدة هاتين الدولتين عن مواقعهما وحلت مكانهما.

ولقد كانت الشعوب العربية جزءاً مهماً من وقود هذه الحروب التي استهدف مؤججوها السيطرة على الضعفاء في هذا العالم، وأتهم كل صوت نادى بالوقوف على الحياد في صراع الذئاب الكبرى بالخيانة والعمالة للألمان ولم يكتف الإنجليزي عندما استعمروا معظم بلادنا العربية بإدخالنا في هذه الحروب، بل جندوا الجنود من أبنائنا للقضاء على جميع الحركات التي قامت من أجل السيطرة الاستعمارية، فقد استخدم الجيش المصري، في القضاء على الثورة المهدية في السودان التي قضت على النفوذ الإنجليزي هناك، وكذلك استخدم الجيش المصري أيضاً في القضاء على أعظم ثورة إسلامية إصلاحية في العصر الحديث وهي الحركة الوهابية وبذلك تم القضاء على الدولة السعودية الأولى ثم الثانية.

* وهذا اللعب الإنجليزي بالأمم والشعوب ليس بدعاً في التاريخ، وعلى خطاه يسير الآن الاستعمار الأمريكي والروسي، فأمريكا قد جرت معها سبع دول من حلفائها لحرب الفيتناميين، ولم تنسحب من هناك إلا بعد أن تململ حلفاؤها من فقدهم لشبان بلادهم بلا مردود وهذا هو السبب الرئيسي لانسحاب الأمريكيين من فيتنام، وهو أن العنصر البشري الذي يركبون عليه إلى النصر غير موجود، والشباب الأمريكي ليس أهلاً للحرب.

* وفي أفريقيا الآن يعبر الروس إلى هذه القارة على أكتاف الكوبيين الفقراء، وأيضاً على أكتاف الشعب الأنجولي الذي تحرر بالأمس من سيطرة البرتغاليين، ليجند اليوم في خدمة الشيوعيين!! وأمريكا لم تجد من ترسله اليوم لحماية مصالحها هناك إلا الجنود المغاربة المسلمين والجنود المصريين المسلمين.

وهكذا يستطيع الأقوياء في كل عصر أن يجدوا من الشعوب الفقيرة والضعيفة ما يركبونه لتحقيق مآربهم وتحقيق استعمارهم.

* بالأمس اشتركت بعض دولنا العربية فيما سمي بمؤتمر باندونج الذي خرج على الناس بما سمي بالحياد الإيجابي، واستبشر الناس خيراً أن ظهر في العالم قوة ثالثة تقف على الحياد في صراع الدول الكبرى، ولكن سرعان ما تحول هذا الحياد الإيجابي إلى شيء لا حقيقة له، ففي ظله وقعت مصر مع الهند ضد باكستان لتحرم شعب كشمير المسلم من أن ينضم حسب رغبته إلى باكستان. ووقفت أيضاً مع الطائفة اليونانية ضد الطائفة التركية المسلمة التي كانت تعاني كل ألوان الاضطهاد والظلم

والقتل الجماعي، وساندت مصر أيضاً في عهد الحياد الإيجابي هيلاسيلاسي الطاغية ضد شعب إريتريا المغلوب على أمره آنذاك.

* ليس صحيحاً أننا قطع على رقعة الشطرنج الدولية وذلك أننا نستطيع أن نقوم بما لا تقوم به الأحجار الصماء، نستطيع أن نخرج أنفسنا من لعبة الأمم وأن نعلن حيادنا في هذا العالم المصارع ونعلن التزامنا بالموقف الخلقي الذي يمليه علينا ديننا وعقيدتنا من إنصاف المظلوم والوقوف مع الضعيف، ومد يد العون للمحتاج، ونعلن رفضنا لنكون مخالب قطط بأيدي المتصارعين الكبار.

ولكننا لن نستطيع أن نفعل ذلك إلا إذا تناسينا خلافاتنا الجانبية ومددنا أيدينا لنكون أخوة متحابين، وعمقنا مشاعر الود والإخاء بين شعوبنا، وأزلنا هذه الحواجز التي صنعها الاستعمار: الحدود السياسية، والنفسية، والجوازات وقوانين العمل والهجرة، وما يسمى باختلاف المصالح. وحققنا الوحدة الاقتصادية والسياسية ولكن هل سيسمح لنا المستعمرون لنفعل ذلك وهم الذين يستثمرون هذه الخلافات ويستخدمونها للوصول إلى أهدافهم ومصالحهم.

باختصار شديد نستطيع أن نخرج أنفسنا من إطار اللعبة الدولية إذا أزيلت الحواجز بين الشعوب والقادة وأفسح المجال لسماع الآراء الصادقة التي تهدف انتشال هذه الأمة أن تكون دولها ألعوبة بيد الشرق أو الغرب، واعتمدنا بعد الله سبحانه وتعالى على خيرات بلادنا فقط ولم نمد أيدينا إلى أعدائنا بطلب معونة، وكان العيش في عزة من الجوع والفقر أحب إلينا من العيش في ذلة مهما كانت المغريات.

6 مايو 1977م

الجانب الروحي في قضايانا السياسية

* لا نستطيع القول إن أمتنا تعيش بلا آمال في العزة والسيادة والنصر على الأعداء، هذا بالرغم من محاولات الصرف الهائلة عن هذه الآمال المتمثلة في إغراق السوق الإعلامي بفرق المضحكين والهازلين والهواة والعابثين من كل لون وجنس، وبالمحاولات الحكومية في كافة أقطارنا الإسلامية بتمجيد بطولات الكرة والرقص والموسيقى وبالصرف الباذخ جداً على كل هؤلاء وحرمان الجادين والمؤمنين من أي عون ينعش جسدهم ويقوي إيمانهم، أقول بالرغم من كل ذلك فإن الأمة مازالت متعلقة بأماني العزة والسيادة والنصر على الأعداء.

* ولكن هذه الآمال ضائعة بين فريقين: فريق يمثله زعماء سياسيون ماديون لا يقدرون قوة الإيمان ولا يحسبون لها حساباً، وبنظرهم المادي يرون البون الشاسع بين آمال الأمة، وواقعها المرير من تسلط الأعداء عليها، وتأخرها في مضمار الحضارة والقوة فلا يرون حلاً إلا الاستسلام والإذعان للواقع، والرضى من الأمر بما يقسمه العدو، ثم وصف الذين

يرون إمكانية تحقيق آمـال الأمـة بالخبـال والمزايـدة والغوغائيـة والهـوس الديني، هذا إذا أحسنَّا الظن بهم.

وفريق آخر لا يحسب للأسباب حسـاباً، ولا يقـدر الواقـع الـذي نعيش فيـه، ويظن أننـا نعيش في فـراغ وأن مجـرد انتسـابنا إلى الإيمـان ورغبتنـا في الخير أن ذلك كاف للوصول إلى أمانينا وتحقيق أحلامنا.. ومثل هـؤلاء مثـل الذين يحملـون روحـاً بلا جسـد وأمنيـة بلا واقـع، ومثـل أولئـك مثـل الـذين يحملون جسداً بلا روح ووسيلة بلا هدف ولا غاية.

* ولهذا السبب يحدث الشقاق كثيراً فبينما يـرى أصـحاب النظـرة الماديـة فقط أننا لا نملـك من الوسـائل مـا نسـتطيع أن نقـف بـه على أقـدامنا ولا نملك من السلاح ما نستطيع أن نشهره في وجـوه أعـدائنا، يـرى الآخـرون أننا نستطيع أن نسمع الدنيا كلها أصواتنا، بل ونستطيع أن نخضعها لسيادتنا وسلطاننا.

* وإذا تعمـق الخلاف بين الفـريقين اتهم المـاديون مخـالفيهم بالسـير في ركـاب الاسـتعمار، والتمسـح في الـدين من أجـل السـيادة والحكم، واتهم الآخـرون أهـل السـيادة بالسـير في ركـاب الأعـداء، والتشـبث بالكراسـي وتضليل الأمة عن أهدافها ودفعها إلى الذل والهوان خدمة لأعدائها.

* والحق أننا في حاجة إلى سياسة إسلامية خلقية تعتمد الوسيلة المناسبة للموقف المناسب، ونملأ الأمة بـروح الإيمـان الـذي يحـيي شـبابها، ويفتـق وعيها، ويدفعها إلى البذل والتضحية نحن في حاجة إلى جسم سـليم وروح سليم.. أيضاً.. إلى جيش مدرب جيد الإعداد يحمل روحاً وثابة وخلقاً كـاملاً وإيماناً حقيقياً، وهذه الروح هي التي ستحول الوسيلة في أيـدينا، وإن قلت عن وسائل الأعداء وسيلة فعالة، وسلاح فتاك، وأمتنا في تاريخهـا الطويـل المجيد ما كـانت لتحقـق نصـراً لـولا أنهـا جمعت بين الجسـد والـروح، بين السعي المطلق وبذل الوسـع إلى أقصـاه لاتخـاذ الوسـيلة المناسـبة، وبين التوكل المطلق واليقين الكامل أن النصـر من عنـد اللـه سـبحانه وتعـالى، وأن الوسائل لا تساوي شيئاً إن أراد الله شيئاً آخر.

وهذا واضح كامل الوضوح في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم فلـو جئت تنظر إليه في حركته السياسية بدعوته وكيف كان يتخذ الأسباب ويعد لكـل أمر عدته لقلت أنه لا يؤمن بشيء فوق الأسـباب وأنـه لا يتعمـد إلا عليهـا، ولو جئت تنظر إليه وهو يسعى إلى أمر لا تبلغـه الأسـباب الماديـة مطلقـاً لقلت أنه لا يؤمن بشيء يسمى الأسباب وأنه يتوكل على ربه توكلاً مطلقاً، وهكذا كان الصـدر الأول على الخصـوص من المسـلمين، آخـذون بأسـباب النصر والعزة والتمكين مستفيدين بذلك إلى أبعـد الحـدود ثم هم مؤمنـون متوكلون يحملون آمالاً عريضة إلى أبعد الحدود.

* واليوم تسقط أمتنـا بين دفـع المـاديين الـذين فقـدوا إيمـانهم وأرواحهم، وبين دفع المتهورين الذين فقدوا عقولهم وبصيرتهم فمتى تنشـأ في الأمـة روح جديدة تملؤها سعادة ونشوة، ومحبة وغيرة، وتجعلها تستفيد من هـذه الإمكانيات الضخمة الهائلة التي ذخرها الله في هـذه الأرض، مـتى نسـتفيد من شـبابنا الخلاق لـو عـرف الطريـق.. ومن نسـائنا المخلصـات الوفيـات

المجاهدات لو علمن الطريق.. ومن بترولنا المتدفق لو أحسـنا اسـتخراجه وتصـنيعه ومن أموالنـا وموقعنـا ومن تراثنـا العزيـز مـتى نسـتفيد من كـل إمكانياتنا المهدرة وشبابنا الضائع.

* متى يعرف صناع القرار السياسي في بلادنا كيف يوالون أمتهم، ويحبون شعوبهم، متى يعـرف هـؤلاء القـادة والزعمـاء أن العـز والسـيادة لهم في الدنيا والآخرة طريقها الإيمان والعمل الصالح، وأن اللعنات سـتلاحقهم إلى قبورهم إن هم تخلوا عن مهمتهم التي خولهم الله إياها.

متى نجعل من هذا الشهر منطلقاً إلى الإيمان والعمل الصالح؟ وهل هنـاك عمل صالح أكبر وأجدى من قرار حكيم يصدر من أمـام عـادل، ورحم اللـه الإمام أحمد بن حنبل حيث يقول: لو أعلم أن لي دعوة مسـتجابة لادخرتهـا للسـلطان لأن بصـلاحه صـلاح الأمـة، فهـل يتجـه أهـل السياسـة في بلاد المسلمين إلى إدخال الروح في قضايانا السياسية؟

19 أغسطس 1977م

لماذا يجب علينا أن نرفض

الصلح والسلام مع اليهود؟

هذا الصخب الإعلامي العربي الذي بات يصور الصـلح والسـلام مـع اليهـود على أنه إنجاز العصـر، وغايـة النصـر لا يجـوز أن يعمينـا عن الحقـائق وأن يصرفنا عن معرفة الأخطار الهائلة الـتي تنتظرنـا إثـر توقيـع أكـبر مـؤامرة عرفها التاريخ، وأني لصادق.

وهاكم نزراً يسيراً من هذه الأخطار:

أولاً: عندما جاء اليهود إلى فلسطين بعد شتات بلا وطن استمر زهـاء ثلاثـة آلاف عـام أتـوا بنـاء على وعـود قديمـة زعموهـا في التـوراة على لسـان إبراهيم عليه السلام، ولم يستطع الداعون منهم والمخططون لهذه العودة إغراء اليهود والمجيء بهم من أرض الشتات إلى أرض الميعاد (فلسـطين) إلا بهذا الوعد الديني، فلقد كان معظم اليهود يعيشون عيشـة هادئـة هانئـة في أوطانهم التي نشأوا فيها، وعنـدما وضـع المخططـون لدولـة إسـرائيل مخططاتهم في أواخر القـرن التاسـع عشـر وفي سـنة 1897م بالتحديـد، كان حلمهم وأهدافهم أن تكون حدود هـذه الدولـة من الفـرات إلى النيـل، وأن تحقيق السيطرة لا على العالم العربي وحده، وإنما على العالم بأسره الذي يكون قد أنهك بفعل المؤامرات والحروب والفساد الذي خططـوا لـه في بروتوكولاتهم، وأن يتحقق هذا كله في ظرف مائة عام فقط..

ولقد مضى الآن ثمانون عاماً –بالتحديد- على وضع هذه الفكرة التي كـانت محض خيال في وقتها وقد تحقق منها سبعة أعشارها تمامـاً وأمـام اليهـود الآن ثلاثون سنة فقط لتحقيق نهاية آمالهم وغاية مكـرهم، والـذي يريـد أن يقول إن اليهود لا يملكون هذا الزعم ولا يبيتون هـذه النيـة فلا يسـتحق أن

مناقشـه لأنـه في ضـلال بعيـد يحتـاج معـه إلى دهـر طويـل ليتعلم أوليـات القراءة والكتابة ليفك الحروف المكتوبة على صدر (الكنيست) الإسرائيلي.

باختصـار نحن أمـام دولـة قـد أعلنت أهـدافها النهائيـة في كتبهـا ونشـراتها وتعليمها لأبنائها، وفي الأسرار التي انتشرت على الرغم منها وأول أهـداف هذه الدولة أن تجعل منا عبيداً (لشعب الله المختار)..

والذي يقول إن اليهود لا يستطيعون تحقيق هـذا الحلم مخطئ ويـرد عليـه أن اليهود استطاعوا تحقيق ثلاثة أرباع مخططهم الرهيب.. فمن كـان يظن قبل ثلاثين عاماً فقط أنه ستولد لليهود دولـة في فلسـطين وأنهـا ستنتصـر على سبع دول عربية، وأنها في ظـرف عشـرين عامـاً فقـط من 1947م-1967م سـتدق علمهـا ذا النجمـة السداسـية على بعـد مائـة كيلومـتر من القاهرة وعلى مشارف مدينة دمشق، لو أن قائلاً قال هـذا قبـل أن يحـدث هذا لاتهم بالخبل والجنون. وإذا كان في قومنا الآن من يقـول إن تحـذيراتنا هذه نوع من الخبل والخبال فإنما نذكرهم بذلك فقط.

أقول يجب علينا أن نسلم بأن هذا حدث وأن إسـرائيل الآن حقيقـة واقعـة وأنها ساعية لا محالة إلى أهدافها التي رسمتها وعقدت العـزم عليهـا، وإذا كان يحق لنا أن نعترف بهذا فإنه ينبغي أن نعلم أيضاً أن اليهود لم يقطفـوا بعد ثمار نصرهم الـتي يرجونهـا، ولم يحققـوا بعـد غايـة وجـودهم في هـذه الأرض، فلم يكن هدف اليهود إيجاد دولة وكفى أو البحث عن مجـرد هويـة وجنسـية لرعايـاهم أو مجـرد تجميـع اليهـود من أرض الشـتات إلى أرض الميعاد، بل إن هدفهم النهـائي هـو أن تكـون دولتهم الحيـة والثعبـان الـذي يلتف على عنق هذه الأمة ويمتص خبراتها، ويستبعد شعوبها، ويحقق تعاليم تلمودها وما افتراه شياطينهم نسبوه لله زوراً وبهتاناً.

وإن الذي يتحتم علينـا الإقـرار بـه ومعرفتـه أن معركـة السـلم والسـيطرة الاقتصادية والسياسية لا نسـتطيع أن نجـاري اليهـود فيـه بحـال، إننـا كأمـة عربية ورثت الإسلام حاربنا اليهود ونستطيع أن ننتصر عليهم في المعـارك، بل إن الحرب هي صناعتنا وحرفتنا منذ فجر التاريخ، وما هزمنا أمام اليهود إلا خيانـة لا جبنـاً، ولن ينتصـر اليهـود علينـا في حـرب آتيـة إلا بالخيانـة لا بالشجاعة بل إن يهود فلسطين لو علموا –يقيناً- أننا عـازمون على حـربهم لما بقي منهم في مقـامهم أحـد، ولكن صـناعة السـلاح، وحرفـة الاقتصـاد فلسنا فيها في قليل ولا كثير، فاليهود هم فرسـانها ورجالهـا في كـل جبـل وعلى كل أرض، وأما نحن العـرب فبـالرغم من أننـا أغـنى شـعوب العـالم إمكانيات وثروات فنحن أفقرها انتفاعاً بهذه الثروات والخزائن، إننا أمة مـا زلنا ولا نزال مشـهورين بغبائنـا الاقتصـادي وتخبطنـا الإعلامي والسياسـي، وذلك أن فنون الحيل والغش والكذب لا نجيدها ولا نعرفها وإن عرفناها فلا نستطيع أن نمارسها.

اليهـود هم أسـاطين المـال والفسـاد في الأرض فبـالرغم من شـتاتهم في الأرض دهوراً طويلة وإقامتهم دولـة فقـيرة في الإمكانيـات، فـإن الاقتصـاد العالمي أمس واليوم وغداً في قبضتهم وهم مع هذا تجار الفساد والانحلال في كل بقعة من بقاع العالم.

لقد حاولت الدول العربية يوماً أن تجاري اليهود في أسـلوب من أسـاليبهم فاستخدموا كما قال محمد حسنين هيكل بعد هزيمة 1967م - النسـاء في المخـابرات للتجسـس على اليهـود يقـول هيكـل: "فوقـف هـؤلاء الـذين أرسلناهم في هذه المهمة عند حد الوسيلة"!! وهذه شهادة رجل كان يوماً ما أكبر مطلع على خفايا السياسة العربية.

باختصار، إن الذين يحلمون بسلام مـع اليهـود يريـدون أن يقـدموا أوطاننـا جميعها لا فلسطين فقط، وأموالنا جميعها، وشبابنا كله ليكونـوا في خدمـة هذا الأخطبوط الفريد فاتقوا الله يا من وليتم شـؤوننا، واعلمـوا أنهـا أمانـة وأنها يوم القيامة خزي وندامة - كما قال النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم إلا من أخذها بحقها ووضعها في حقها، فهل أذن لكم الله وأذنا لكم أن تصنعوا هذا بنا؟!!

14 يناير 1977م

دروس من الحرب اللبنانية

يبدو أن الجسم العربي قد أصبح ميتاً إلى الحد الـذي لا تـؤثر فيـه الجـراح، بدليل أن شعورنا بآلام جزء من هذا الجسم في لبنان وفلسطين قـد مـات أو تلاشـى إلى الحـد الـذي لا نحس بـه، ولـذلك يبـدو أن عرضـي للـدروس المستفادة من هذه الحرب دون الإحساس بها والشـعور بألمهـا ضـرب من إلقاء الكلام في غير مقامه، وسوقه إلى من لا يسمعه ولا يحس بـه، ولكن هل يكون سوقي لهذه الدروس نوعـاً من الإحيـاء والإشـعار بخطـورة هـذه النتائج التي أوصلتنا لها هذه الحرب؟

أرجو أن يكون ذلك.

الذين تابعوا الأحداث في هذه الحـرب وكـان لهم إلمـام بالبنـاء الاجتمـاعي والسياسـي للمجتمـع اللبنـاني عـرف أن هــذه الحــرب عنـدما انطلقت شراراتها كان المستهدف هو المقاومـة الفلسـطينية، وأن دخـول العوامـل الأخـرى من الصـراع من المسـلمين والنصـارى، ثم اسـتغلال الصـراع بين الأغنيـاء والفقـراء، ثم اسـتغلال الصـراع بين التكتلات السياسـية والفئـات الطائفية إنما كانت بمثابة الاستغلال لهذه التناقضات الـتي كـانت موجـودة في المجتمع اللبناني، ولكنهـا كـانت تناقضـات كامنـة لا تجـد متنفسـها في السلاح، وإنما في الكلام والصـراعات الخفيـة فقـط، وقـد فتحت المجابهـة الفلسطينية المارونية الأبواب لدخول هذه الصراعات دخولاً مسلحاً دمويـاً، والـذين لم يتـابعوا هـذه الحـرب، ولم يعلمـوا طبيعـة الـتركيب الاجتمـاعي والسياسي للبنان أعماهم تشابك هذه الحـرب وتناقضـاتها ونسـبوا أسـبابها إلى أسباب وهمية هامشية ومن هذا نستفيد جملة دروس:

* أولاً: أن اليهود قد أعلنوا أكثر من مرة إن وجودهم في فلسطين مرتبـط بعدة أمور منها:

أ) أن ينتهي شعور المسلمين باستردادها، وقد استطاعوا ذلك ونجحوا فيــه نجاحاً عظيماً.

ب) أن ينتقل العرب من شـعورهم القـومي إلى مشـاعرهم الإقليميـة وأن ينزوي كل إقليم بمشاكله الخاصة حتى لا يبقى له تفكير جدي فيمـا سـواه وقد نجح اليهود في هذا أيما نجاح.

ج) أن ينتهي هذا الشعب الفلسطيني الذي يطالب بفلسـطين رغم أن هـذا الشعب قد قبل كما أعلنت أكبر منظماته على أنه على استعداد لأن يعيش مع اليهود في دولـة لا دينيـة - ولكن اليهـود يريـدون دولـة يهوديـة خالصـة، ومعنى أن ينهي هذا الشـعب يعـني أن يفقـد الشـعور والأمـل بـالعودة إلى فلسطين وذلك باستحالة هذا ومن ثم ينصـرف إلى العيش والرضـا بـه في أي مكـان آخـر، ولقـد كـانت الحـرب اللبنانيـة هي الحلقـة الـتي يبـدو أنهـا الأخيرة أو التي يراد لها ذلك على الأقـل لإقنـاع الفلسـطينيين بأنـه لا أمـل في العودة إلى تلك الأرض، والـدرس الأول من الحـرب اللبنانيـة يعـني أن اليهود جادون في أن يجعلوا فلسطين وطناً لهم وأنهم باذلون في ذلـك مـا يستطيعون ويعني أيضاً أن كثيراً من المسلمين والعرب كانوا هازلين!! وإلا فكيـف فقـدت هـذه المشـكلة وجههـا الإسـلامي!! ثم كيـف فقـدت هـذه المشكلة حرارتهـا العربيـة، ثم كيـف سـكت الـذين لم تصـبهم نـيران هـذه الحرب عن كل ما حدث فيها؟

* وأما الدرس الثـاني من هـذه المقدمـة فهـو إحساسـنا أكـثر من قبـل أن اسـتقلال أوطاننـا من المسـتعمر لم يتحقـق منـه إلا الاسـتقلال العسـكري فقط، وأما الاستقلال السياسي، والاقتصادي فلم يتحقـق، فبـالرغم من أن هـذه المنطقـة داخلـة في إطـار الـوطن العـربي الإسـلامي إلا أن المسـير الفعلي للأحداث فيها كان الـدول الكـبرى ولـذلك قـالوا الحـل بيـد أمريكـا، الحل بيد فرنسا، الحل بيـد روسـيا، الحـل بيـد الـدول الكـبرى، ومعـنى أن يكون الحل في بلادنـا بيـد غيرنـا أن اسـتعمارنا السياسـي قـائم وأن همنـا الديني يجب أن ينصرف إلى التحرر من الاسـتعمار السياسـي، كمـا قـادت الحركات الدينية قديماً الحملات ضد الاستعمار العسـكري.. وبـالطبع هـراء أن نستقل سياسياً ونحن على هـذا الحـال من التشـتت والإقليميـة ولـذلك كانت الدعوة إلى الوحدة في ظل الإسلام كعقيدة سامية تؤمن بها شعوبنا هي بداية العودة إلى الاستقلال السياسي.

إن كانت الحرب اللبنانية قـد وضـعت أوزارهـا فلا يجـوز بتاتـاً أن تمـر دون عظة واعتبار وقد قـدمنا في الأسـبوع المنصـرم في هـذه الزاويـة درسـين مسـتفادين من هـذه الحـرب خلاصـتهما أن اسـتقلالنا العسـكري يجب أن ندعمه باستقلال سياسي، وأنه يستحيل علينا الاستقلال السياسي في هذه الفترة من التاريخ دون وحدة تجمع بين دولنا وتؤلف بين شعوبنا وإلا فنحن المسلمين بهذا التجزؤ والتفكك لا وزن لنا، وكذلك يجب أن نعلم أن اليهـود جادون في بقائهم في فلسطين وأن بقاءهم مرتبط بتمزيقنا والقضاء على أمل الشعب الفلسطيني في العودة إلى دياره.

* الـدرس الـذي يجب أن نسـتفيده من هـذه الحـرب هـو العلم بخطـأ الشـعارات الـتي رفعتهـا بعض فصـائل من المقاومـة والـتي لا علاقـة لهـا بتحرير فلسطين.. فالشتات والعمى عن الهدف الـذي أصـاب طائفـة ممن توظفوا في العمل الفدائي كان له النصيب الأول في تعجيـل القضـاء على

العمل الفدائي في الأردن ثم في لبنان، فالمقاتل الفلسطيني الصادق هو من يضع نصب عينيه تحرير فلسطين، ولا يقل عن هذا العمى عن الهدف حمل بعض فصائل المقاومة لما يسمى بالأيديولوجية الشيوعية زعماً أنه لابد من كل ثورة من "أيديولوجية"، فالذين استغلوا شوق الفلسطيني للعودة إلى أرضه فحملوه مع هذا الشوق هذه الشجرة الملعونة زعماً بأن هذه العقيدة هي التي ستثير حماسه وتؤلف بينه وبين إخوانه مخططئون، فنبتة الشيوعية والإلحاد لا مجال لها إن شاء الله - ولا ثمار لها في هذه الأرض الطيبة أرض الإسلام.

إن المقاتل الفلسطيني يحمل غاية شريفة وهي أن يرفع الظلم عن نفسه وأن يعود عزيزاً إلى دياره وأن يضم دولته في أرضه ووطنه هذه الغاية الشريفة لا يجوز بتاتاً أن تضيع في صراعات جانبية تبعد عن الهدف ولا تقرب منه، ثم لا يجوز بتاتاً أن يكون المقاتل الفلسطيني المسلم الذي يحارب من أجل هذه الغاية الشريفة وسيلة وأداة لمن يريدون أن يبذروا بذورهم الخبيثة وينشروا أفكارهم الهدامة في هذه الأرض الطيبة المقدسة.

فهل تعي المقاومة هذا الدرس وتصحح مسيرة العودة إلى الأرض التي باركها الله؟

كيف نستعد للجولة الخامسة؟

أولاً: الاستعداد السياسي:

ستبدو الخسائر التي خسرناها طيلة الحروب الأربعة السابقة مع اليهود تافهة جداً إذا قيست بكارثة حقيقية للأمة كلها إذا فاجأها اليهود بحرب خامسة لم نستعد لها استعدادها المطلوب.

وهذا هو الجو المسموم والمشبع بحمى "السلام" مع اليهود الذين نعيشه الآن في غاية الخطورة على عقول أبناء أمتنا فيما لو شن اليهود هذه الحرب.

والعقل السليم يحكم بأنه لابد من افتراض كل الاحتمالات ثم الاستعداد لكل احتمال بما يناسبه.

وإذا كان احتمال بقاء حالة الحرب مع اليهود احتمالاً وارداً، بل كل مطلع على مسلسل إقامة الدولة اليهودية في هذه الأرض لا يجد مفراً من أن يحكم بأنه لا احتمال غيره مع اليهود، لذلك وجب علينا أن نضع كافة الاستعدادات لمقابلة هذا الاحتمال الأقوى الاحتمال الحتمي الذي لا مناص منه.

* ومثلي كفرد -والقدرة الفردية دائماً محدودة- لا يضع ولا يخطط لأمة بأسرها ولا لمشكلة بهذه الضخامة والتعقيد ومهما تكلمت عن المستقبل والاستعداد فإنما هي رؤية فردية أضعها في متناول الذين يملكون اتخاذ القرارات لتكون على الأقل من باب التحذير والتنبيه وليضم ما فيها من

خير -إن وجد- إلى جملة الآراء الخيرة التي لم تعدمها الأمة بعد، ونستطيع أن نلخص الاستعدادات الواجبة في هذا المجال كالآتي:

* أولاً: الاستعداد السياسي:

الهيكل السياسي في أي أمة من الأمم أو دولة من الدول هو عامل النصر الأول كما أنه عامل الفشل الأول في أي تحد يواجه الأمة، فإذا كان صناع القرار عند مستوى المسؤولية فهماً ودراية وحزماً وقد أمنوا ظهورهم وسار الشعب من ورائهم فلا شك أنهم سيستفيدون فائدة كاملة بكل إمكاناتهم ومقدراتهم، بل سيفجرون في الأمة طاقات الإبداع والتضحية والفداء، وأما إذا كان العكس فإن الاتهام المتبادل والشك الذي يساور كلا الطرفين تجاه الآخر سيمنع كل منهما أن يبذل شيئاً.

ومسلسل الانقلابات والانقلابات المضادة ثم الانقلاب على الانقلاب وثورات التصحيح والتعديل التي مرت بها الأمة جعل المواطن في هذه المنطقة يعيش حالة التوجس ويسيء النية دائماً ويفسر كلام الحكام بخلفياته ومراميه لا بنصوصه ومعانيه، ويشجع الأفراد على هذا المنحى الانفصال الظاهر بين القول والعمل، بين الأهداف المعلنة والسلوك الفعلي أو بالأحرى بين ما يلزم الحاكم به شعبه وما يلتزم به هو وما يسمح لنفسه بأن يفعله، وقد أدى هذا بالطبع إلى تبديد إمكانات الأمة، فالأموال -ونحن أغنى شعوب الأرض الآن- هربت من بلداننا إلى أوروبا وأمريكا لأنها أكثر استقراراً وأمناً، وعلماء المادة (والتكنولوجيا) هربوا إلى هناك أيضاً لأنهم هناك أكثر أمناً على أنفسهم وأعظم استفادة بعلومهم وإمكاناتهم وعلماء الأخلاق والفضيلة كبتوا في أماكنهم أو شردوا في غير أوطانهم والشباب في حيرة سياسية وفي فوضى فكرية، فهو لا يعلم إلى أين يسير وماذا يراد له وماذا يريد الحكام منه، ومثله العليا ضائعة ورغبته في الانتماء والاحتماء مكبوتة، وهويته التي يريد أن يحملها ويدافع من أجلها مزورة!! فالشاب يقول لك: من أنا!! ومن نحن؟ هل نحن عرب؟ فالشاب يقول لك: من أنا!! ومن نحن؟ فلماذا هذا النفاق بل هذه الغربة الكاملة للإسلام؟ أم هل أنا مصري فقط؟ وعراقي فقط؟ وكويتي فقط؟ وفلسطيني فقط؟ هذه الأسئلة التي يتحدد على أساسها الانتماء والهواية لا يجد شبابنا جواباً عليها، وإن وجد الجواب النظري فوجئ بأن التطبيق العملي يخالف هذا تماماً.

الاستقرار السياسي ضرورة ملحة واليهود لم ينتصروا علينا في أي معركة، إلا في وقت لم نكن ننعم فيه باستقرار سياسي، بل أمتنا على امتداد أربعة عشر قرناً من الزمان لم تهزم أمام التتار أو الصليبيين أو الفرنج في إسبانيا إلا في عهود الفرقة والخصام والانفصام بين الحكام والشعوب، ولم نستطع أيضاً أن نحقق نصراً إلا في عهود اجتمعت فيها كلمتها ووحدت فيها صفوفها ووقفت شعوبها صفاً متراصاً خلف حكامها.

ولذلك السعي الأول في سبيل الاستعداد للحرب الخامسة يجب أن يكون في سبيل الاستقرار السياسي، ويستحيل أن ينعم الحاكم والمحكوم باستقرار سياسي، في ظل الإرهاب والبطش ومصادرة الأفكار الطيبة الخيرة، وفي ظل استغلال النفوذ والأثرة وحب الذات، بل في ظل

التسامح والمرحمة وإفساح الصدر للرأي المخالف وأن نشترك جميعاً في الرغيف الواحد، وأن نتقاسم الجوع إذا فرض علينا أن يجوع البعض، وليس ما أقوله هنا الآن مثالية خيالية فعيب علينا أن يستطيع الإنجليز في الحرب العالمية الثانية أن يوزعوا كميات الطعام على الشعب جميعاً بالتساوي حتى أن أفراد الأسرة المالكة يحصل كل منهم على عدد من البيض مساو تماماً للعدد الذي يحصل عليه كل فرد في الدولة، أقول عيب علينا أن يفعل غيرنا في الأزمات هذا، ونحن أولى الناس بهذه الأخلاق لأنها إن كانت عند غيرنا فضلاً ومكرمة، فهي في ديننا حق واجب لا مكرمة وتطوعاً.

أقول الاستقرار السياسي يستلزم أيضاً البحث عن آمال الأمة وأحلامها والسعي الجاد لتحقيقها. وآمال الأمة إنما هي في تحقيق العدل الاجتماعي، والانتصار من عدوها الذي أذلها ومرغ عزتها وكبرياءها فيكف ننتظر استقراراً سياسياً والاتجاه العام في بلادنا الآن يسير نحو الظلم الطبقي والسياسي، وتكريس الذل التاريخي بتمكين اليهود في هذه الأرض التي أتوا إليها مسالمين متعايشين.

* حقاً نحن اليوم في أمس الحاجة إلى استقرار سياسي يلم شمل كل شعب في منطقتنا حول قائده وزعيمه ويشيع روح المحبة والألفة والتراحم. ولكن دون ذلك باختصار شديد التوافق الكامل بين القول والعمل. والاشتراك الفعلي في الجوع والشبع. والأفراح والأحزان. والبحث عن آمال الأمة في العدل والمرحمة والعزة والنصر. وبدون ذلك سيظل الإرهاب والمصادرة والثورة أثر الثورة والانقلاب بعد الانقلاب ثم نصحو بعد كل جولة مع اليهود على كارثة جديدة. فإلى متى؟

11 فبراير 1977

ثانياً: السلم بين البلاد العربية

قبل السلم مع إسرائيل

إسرائيل بقوتها الحالية تستطيع مواجهة القوة العسكرية العربية بل تملك في نواح كثيرة تفوقاً بعيداً، والقول بأن أي دولة عربية تستطيع منفردة مجابهة إسرائيل والتصدي لها قول بعيد عن الصواب، ولذلك فالوحدة الإسلامية شرط أساسي لأي نصر حازم مع اليهود سواء في حرب شاملة أو حرب محدودة والحرب الرابعة مع اليهود التي لم تكن على الأقل هزيمة للدول العربية التي اشتركت: مصر وسوريا والعراق والمغرب والقوات الفلسطينية والكويتية، هذا إلى جانب الشعور العام الذي غمر العالم الإسلامي بفرحة الوحدة وفرحة المجابهة مع العدو الأبدي لهذه الأمة، ولهذا الشعور أثره في شد عزائم جنودنا وتثبيط عزائم العدو..

ويستحيل مستقبلاً أقدام أي دولة عربية منفردة على مجابهة اليهود لأسباب كثيرة لا تغيب عن الصبيان فضلاً عن أهل الرأي والمشورة. ولذلك فإن اليهود وأعوانهم يرمون بكل ثقلهم لتوهين الرابطة الأخوية والدينية والتاريخية والمصيرية التي تربط بين كل دولة عربية وأختها. وذلك لأن

أعظم خطـر من الممكن أن تواجهـه الصـهيونية وإسـرائيل هـو أن يصـبح المسـلمون في هـذه الأرض قـوة واحـدة وأن يكـون بينهم تعـاون أو حـتى مجــرد تنســيق في قضــاياهم الأمنيــة أو الاقتصــادية أو حــتى السياســية الشـكلية، ولـذلك فالبـاحثون عن الفرقـة في أوطاننـا إنمـا يخـدمون أمن إسرائيل وسـلامها وبقاءهـا في هـذه الأرض المغتصـبة فـإن كـانوا جـاهلين بذلك فهي مصيبة وإن كانوا عالمين فالمصيبة أدهى وأعظم.

ولقد صحت الدول العربية الإسـلامية بعـد انفـراط عقـد الخلافـة العثمانيـة (الشكلية) التي كانت تجمـع بينهـا، صـحت على تمزيـق أوطانهـا على هـذا النحـو في هـذه الخريطـة السياسـية الملونـة بعشـرين لونـاً إلى الـوقت الحاضر، والتي من الممكن أن تسـتقبل ألوانـاً كـثيرة أخـرى في كـل هـزة وطنية كما حدث في لبنان.

هذا الواقع السيء الذي استيقظت هذه الأمة عليه هـو أفضـل واقـع يبشـر إسرائيل بالخير والأمن والاستقرار، وبالرغم من أنه قـد ظهـر في المحيـط السياسي والاجتمـاعي دعـوات وصـرخات وأحـزاب كثـيرة تنـادي بالوحـدة السياسية على أساس العروبة أحياناً والدين أحيانـاً أخـرى ودعـوات أخـرى على المستوى العسكري فقط وعلى المستوى الاقتصادي فقط، إلا أن كل هذه الدعوات قد جوبهت بما يجعلها مجـرد حـبر على ورق أو أمـان فارغـة تجد من المثبطات والعراقيل أضعاف ما تجد من المروجـات والتسـهيلات، فالدول العربية الإسلامية ما زالت إلى اليوم فاشلة فشلاً ذريعاً أمام وحـدة اقتصادية حقيقية أو وحدة عسكرية حقيقية أو حتى تنسيق سياسـي موحـد يظهر المسلمين جميعاً برأي واحد في المحافل الدولية وأمام الرأي العـام العـالمي، ولا تتعـدى العلاقـات السياسـية والاقتصـادية بين الـدول العربيـة شبيهتها من العلاقات مع الدول الأجنبية إلا في قضايا شـكلية (بروتوكوليـة) لا تسمن ولا تغني..

والادهى من ذلك كله أن الفكر الإقليمي العنصري قد بدأ يأخذ مجـرى آخـر في تعميق الخلافات وإظهار الفروق وتنـافر المصـالح بين الـدول العربيـة، وهذا الفكر الإقليمي السيء قد كان فكراً نشازاً قبل أعـوام فقـط، ولكنـه الآن فكر بدأ يأخذ طابع الرسـمية والرضـى العـام ويطالعنـا كـل يـوم على صـفحات الجرائـد والمجلات فقـد ظهـر الآن من يقـول بـأن مصـالح مصـر تتعارض مع مصالح العرب، ومن يقول مصالح الكويت الغنيـة تتعـارض مـع مصالح الفقـراء من العـرب ومن يطـالب صـراحة لا تلميحـاً بانصـراف كـل أقاليم من هذه الأقاليم الإسـلامية العربيـة إلى معالجـة مشـاكله بعيـداً عن المشاكل العامة التي تهدد الجميع، وهذه الإقليمية من أكبر عوامل الخطـر المستقبلي على هـذه الأمـة ابتـدأت تـنزلق من أقلام الكتـاب (العميـان أو العملاء) إلى قلوب الجهلة والغوغاء ويوشك إن ظل الحبل على الغارب أن يتحول هذا الفساد إلى رأي عام تضـيع في وسـطه، الآراء القليلـة الصـائبة التي لم تعمها بعد عصبية الإقليم عن الخطر الواحد الذي يهددنا جميعاً.

وليس هناك من خطر أكبر من إسرائيل يهدد الأمة وإذا لم نفلح أمــام هـذا الخطر في أن نوحد صفوفنا فليس هناك أمل قط في أن نجتمع على كلمة واحدة إزاء أي خطر مستقبلي.

ومنذ تصدع الخلافة العثمانية -ولسنا بصدد بيان إيجابياتها وسلبياتها على الأوطان العربية- والعرب يعيشون على أمل الوحدة والاتحاد، وكل التجارب الوحدوية التي مورست عبر نصف القرن الماضي لم تحقق أهدافها وذلك أما لأنها أهملت العامل الأول التي ألف الأمة العربية قديماً وهو الإسلام، أو لأنها نقلت جرثومة (الاشتراكية العلمية) وهي دعوة أممية تتناقض مع القوميات ولذلك كان الداعون إليها إلى جانب القومية العربية متناقضون، وأما لأنها وقعت بيد الانتهازيين الشعوبيين الذين لا يدينون أصلاً بالولاء للعروبة وإنما اتخذوها مطية لمآربهم في الانفصال والسيادة.

وبالرغم من هذا أيضاً فقد جوبهت هذه الدعوات للوحدة بتحزب الغرب والشرق ضدها وذلك لأنه من أكبر الخطر على كلا المعسكرين قيام دولة منافسة أو على الأقل قوية تكتفي بنفسها في هذا الجزء المهم من العالم.

وما دمنا بصدد التنبيه والتحذير من حرب خامسة مع اليهود، فإننا نقول إن الأمر الثاني في هذا الاستعداد لهذه الحرب هو تحقيق نوع من الوحدة إزاء هذا الخطر، ولا شك أننا نيأس سريعاً إذا علقنا النصر في الحرب الآتية مع اليهود على الوحدة وذلك لتصورنا أن الوحدة الآن أمر متعذر أو مستحيل وذلك بالنظر إلى تجاربنا المريرة السابقة، ولكن إذا أصبحت هذه الوحدة هدفاً دينياً وقومياً وهاجساً وجدانياً عند كل من يحمل ضميراً في هذه الأمة وارتقى شعورنا من الإحساس الإقليمي العنصري إلى الإحساس الديني الوحدوي، فلن يكون هذا بعيداً أبداً، بل إن هذا لا يحتاج فقط إلا إلى صدق القادة وإيمانهم عندما يطلقون صراخ الوحدة لمجابهة العدو المشترك، فهذه الصيحة الصادقة وحدها كافية لإزالة كل هذه التناقضات والعراقيل التي تمنعنا من أن نجابه عدونا صفاً واحداً.

وإذا كان لنا أن نطالب بمطلب دون هذا فإننا نطالب الذين (يفلسفون) ثمار الصلح والسلام مع اليهود في أن يستخدمون بلاغتهم الجهنمية في بيان ثمار الصلح والسلام بين البلاد العربية وذلك حتى يجتمع رأس المال العربي مع الخبرة العربية وتلتقي الوفرة الاقتصادية مع الوفرة البشرية وبذلك يكون هناك بركات حقيقية تعود علينا بالخير..

على الذين ينادون بالصلح مع إسرائيل أن يستخدموا بلاغتهم في إرساء قواعد الصلح بين البلاد العربية حتى لا يطرد عربي من مكان في بلاد العرب إلى مكان آخر، لأن حكومتين قطعت العلاقات وطردت الرعايا.. بل علينا أيضاً أن ننهي حالة الحرب بين البلاد العربية بعضها البعض قبل أن نفكر، -ولا يجوز بتاتاً أن نفكر- في إنهاء حالة الحرب مع إسرائيل علماً بأن التفسير الإسرائيلي لإنهاء حالة الحرب هو الكف عن السباب والشتائم والاتهام والتحريض، فهل نطمع أولاً في إرساء قواعد السلم بين البلاد العربية قبل أن يتحول هذا (الخبث) الإعلامي إلى شعور عام بالكراهية والنفور وبذلك نعمق الإقليمية والانفصالية ولا تخدم بهذا إلا الشعوبية واليهودية..

ثالثاً: البناء الاقتصادي

(أ) مفهوم المال العام

خسائر الحرب في العصور الحالية خسائر خيالية سواء للمنتصر أو المنهزم فنفقات الحرب أصبحت نفقات باهظة، فالطائرة الواحدة أصبحت ببضعة عشرات من ملايين الدولارات والقذيفة الواحدة بعدة آلاف، والحرب بالنسبة إلينا شر لابد منه، وهي مفروضة علينا سواء سعينا إليها أو هربنا منها، فالأعداء والطامعون فينا حولنا من كل جانب، والكل يتربص فترة ضعف لينقض على جزء من أوصالنا فيقتطعه ولهذا فنحن ملزمون أن نوفق بين ما نملك من ثروات وما ينبغي أن يكون لدينا من وسائل دفاع، والذين رفعوا رايات السلم أو الاستسلام البيضاء كان من أقوى حججهم أن الحرب أصبحت أكبر منا وأنها أكلت منا أضعاف ما ربحناه من ورائها، وبالرغم من أننا نملك مجتمعين كعرب ومسلمين أعظم ثروات الأرض وإمكاناتها إلا أننا متفرقون نبدو وكأننا لا نملك شيئاً إطلاقاً وذلك بسبب التخلف الهائل لسياساتنا الاقتصادية، ولن نستطيع مستقبلاً أن نكسب حرباً حقيقية مع العدو إلا بتعديل هذه السياسة وبناء اقتصادنا بناء سليماً نستطيع أن نواجه به نفقات الحرب وتكاليفها وهذه بعض الخطوط العامة التي يجب مراعاتها لوضع هذه السياسة:

1- في الرقعة العربية كلها يبدو أن دولنا لم تحدد بعد مفهوم (المال العام) وأنه يحرم الاعتداء عليه وتبديده والأنفاق منه إلا في وجوه النفع العام ولكن الحال أن المال العام في دولنا جميعاً إلا ما شاء الله يوزع ويقسم بالمحسوبية وبالهوية والجنسية بالمبدأ المشهور (شيلني وأشيلك)، فمن أعظم ما تعاني منه الدول العربية والغنية سواء ما يسمى (بالتضخم الوظيفي) وذلك أن الحكومات تعتقد أو هكذا تنفذ أن كل فرد من الدول يحمل (جنسيتها) فله حق في التوظيف وبالتالي (الأكل) من المال العام ولا تسأل الحكومة نفسها إن كان هذا الفرد الموظف في أجهزة الدولة سيؤدي نفعاً عاماً بقدر ما يأكل من المال العام أم لا؟ وذلك أنها تعتقد أنه مادام مواطناً يحمل الجنسية فله الحق في هذا المال العام.

لقد طبقت هذه القاعدة في كثير من بلادنا العربية، وكان هذا من أكبر عوامل فساد الجهاز الوظيفي والحكومي وذلك أن الموظف الذي يوضع في مكان ولا عمل له إلا الدوام يشكل بذاته عائقاً حقيقياً للعمل والبناء وذلك أن التوظيف بلا سبب يستدعي إيجاد عمل وحيث إنه لا عمل إذن فلابد أن يكون هناك ما يسمى (بالروتين) وهذا (الروتين) معناه التعقيد، والتعقيد يعني أن ندور بلا سبب وجيه لنحصل على هدف ما فإذا أضيف إلى ذلك وضع موظف غير مناسب في مكان غير مناسب كانت الكارثة كأن نضع الشرطة والجنود في المصانع بدلاً من الأمن والدفاع، ونضع المهندسين في التعليم والمعلمين في الزراعة وهكذا.. أننا بهذا سنحصل في النهاية على آلة ضخمة معقدة جداً ولكن كل قطعة منها قد وضعت في غير مكانها فهي من البعد تشبه الآلة المعدة للإنتاج ولكنها في حقيقتها آلة جوفاء تصدر أصواتاً متنافرة ولا تنتج شيئاً أو كما قال أسلافنا العرب وصدقوا "نسمع جعجعة ولا نرى طحناً"، والعجب أن هذه الآلة في النهاية

تكون قوة حارقة للاقتصاد وغير مـوفرة أو منتجـة لـه، تمامـاً كمـا لـو كـان عنـدك بقـرة تأكـل كثـيراً ولا تنتج من الحليب إلا شـيئاً يسـيراً ثم تغافلـك وترضع نفسها.

من أغرب الغرائب أننا في البلاد العربية نتبع سياسـة عرجـاء أو عميـاء في الاقتصاد فبينما يرتفع الشعار في الدول الاشتراكية: "لا طعـام دون عمـل" ونرى الناس هناك يندفعون إلى العمل في تلك الآلة الضخمة الـتي يـراعي القائمون عليها الإنتاج قبل الإنسان، وكذلك في النظام الرأسمالي لا طعام أيضـاً دون عمــل وإنتــاج وإن كــانت الآلــة هنــاك آلات متعــددة خاصــة، (مؤسسات رأسمالية) لا وجود لإنسـان في واحـدة منهـا إلا بإنتـاج يسـاوي أضعاف أضعاف ما يأخذه من راتب، أقول بينما نعيش في عـالم على هـذا النحو في جناحيه الرأسمالي والشيوعي فإننـا نعيش في بلاد الشـعار فيهـا (لا طعام دون وظيفة ومركز)، والوظيفة معناها (الدوام) والـدوام عنـدنا لا يرتبط بالإنتاج كماً ولا كيفاً، وإنما يرتبط بالزمن فقط، وهكذا نملـك صـورة الإنتاج لا حقيقته وشكل الآلـة لا مضـمونها، نملـك بقـرة لكنهـا بـدلاً من أن تُرضع أولادها تُرضع نفسها، والعجب بعـد ذلـك ممن يصـرخون هنـا وهنـاك كالببغاوات مرددين أن النظـام الرأسـمالي كفـر والنظـام الشـيوعي كفـر، ونظامنـا (هـذا) هـو الإسـلام أو قريبـاً من الإسـلام والحـال أن النظـام الاقتصادي القائم في دولنا العربية والإسلامية لا يمت إلى الإسلام بوشيجة ولا قربى، فـإن من أعظم المحرمـات في الإسـلام المـال العـام ولا يجـوز الأخـذ منـه إلا بحـق فـإذا لم يكن الموظـف ويسـمى في النظـام المـالي الإسلامي (العامل) منتجاً وأمينـاً فلا حـق لـه في المـال العـام وعنـدنا الآن المال العام غنيمة والشطارة هي في التحايل للأخذ منه، ويردد العامــة في الأمثال (إن فاتك الميري أتمرغ في ترابه) أي وإن تركك العمـل الحكـومي فتهافت على أي شيء فيه، وذلك أنه عمل يشـعر الفـرد فيـه أنـه صـاحب حق في الراتب وليس مطالباً بالإنتاج.

وهكذا بسوء فهمنا لقضية المال العام نصل في النهاية إلى انهيـار كامـل لا في الاقتصاد وحده وإنما أيضاً في المثل والأخلاق، وذلك أن الموظف الذي يقبض ولا ينتج غاش لأمته وهو لص أيضاً ومحاسـب على هـذا المـال الـذي أخــذه دون وجــه حــق، ثم إن شــبابنا الآن يــركض في الســلم التعليمي للحصـول على الوظيفـة لا على العلم، لأنـه يعلم أن الشـهادة هي جـواز المرور إلى الوظيفة، وفي الوظيفة لن يسأل عن الإنتاج وإذن فـالمهم هـو الشهادة والعلم سبيل طويل وطريق شاق للشهادة والغش أسهل وأقــرب من التحصيل ولذلك فأقولها بيقين العارف المطلع "الغش الآن هو القاعدة والتحصـيل والعلم هـو الشـذوذ"، وهـذا يعـني الكارثـة الوطنيـة والقوميـة والدينية.

في كل بلاد العالم يتعلم الناس وفي بلادنا نعطي شهادات، وإذا وصل غــير الكفء إلى المنصـب فـإن همـه كلـه سينصـب على محاربـة الأكفـاء لأن الأكفاء هم أخطر النـاس على وظيفتـه ومنصـبه، وبـذلك تبـدأ حـرب قـذرة على العـاملين والمنتجين وهم القلـة المخلصـة وتبـدأ الترقيـات والهبـات للمنافقين والدجالين وذلك أنهم المسايرون والراضون وهكـذا تطحن هـذه الآلة الفاسـدة المخلصـين من أبنائهـا، ويشـعر هـؤلاء المخلصـون بالضـياع

والغربة لأنهم قلة من الأشراف والأمناء في مجتمع من الذئاب، وهكذا ترضع البقرة نفسها ويموت الصغار!!

وهكذا تتسلل القضية وتتشابك، وذلك أن البناء الاجتماعي والاقتصادي والأخلاقي يمسك بعضه بخناق بعض وذلك أن المجتمع كل متماسك ترتبط فيه كل قضية بالأخرى.

وإصلاح هذه القضايا المجتمعة يبدأ من تحيد مفهوم (المال العام) ومن له الحق فيه، وكيف يؤخذ وفيم ينفق فإذا وصلنا إلى مفهوم واضح محدد استطعنا بعد ذلك أن نضع كل شيء في مكانه الصحيح وعند ذلك سنجد أننا نملك وفرة هائلة من الإنتاج والرفاه نستطيع أن نوفر جزءاً منها لإقامة صناعة حربية متطورة تتناسب مع إمكانياتنا وحجم الطامعين فينا، ودون ذلك ستظل الساقية تدور والماء يعود إلى البئر، ونظل نسمع جعجعة ولا نرى طحناً.

11 مارس 1977

ب: مفهوم المال الخاص

* يبدو أننا لا نجهل فقط قضية (المال العام) في الإسلام بل نجهل أيضاً قضية (المال الخاص) فالناس هنا يظنون أنهم بحصولهم على المال بطريقة ما فقد أصبحوا مالكين له وأيضاً فهم أحرار في التصرف فيه وهذا المفهوم للحرية في التصرف في المال الخاص مفهوم في غاية السوء وبالرغم من مجافاته للإسلام فهو مجاف أيضاً لجميع الأنظمة الاقتصادية المعاصرة فليس الفرد في النظام الشيوعي الاشتراكي ولا في النظام الرأسمالي حر في التصرف في ماله الخاص بمفهوم الحرية الشائع في بلادنا والممارس فعلاً.

فالمال في الإسلام سواء كان خاصاً أو عاماً فهو مال الله سبحانه وتعالى والناس مستخلفون فيه فقط، ومحاسبون أمام الله سبحانه وتعالى على كسبه وإنفاقه وله طرق محددة في الكسب والإنفاق، وقد ناقشنا في الحلقة الماضية طريقة الكسب عن طريقة التوظيف الحكومي وأنها تمارس بطريقة مجافية لحرمة المال العام في الإسلام، واليوم نناقش بعض الجوانب في طرق الإنفاق والاستثمار الخاص.

على الرقعة العربية الواسعة نمارس طرقاً في المال الخاص في غاية التناقض والاختلاف فبينما تمارس بعض الحكومات (اغتيال) الجهود الخاصة الفردية المنتجة وذلك بما يسمى بالتأميم فتضم مشروعات خاصة في غاية النجاح والنفع للمجتمع وتلحقها بالماكينة الحكومية الصدئة المتضخمة التالفة، نجد أن حكومات أخرى تسمح (للصوص) بسرقة المال العام إلى جيوبهم، ثم تتساهل ويسمح لهم بإنفاقه أيضاً خارج الدولة، وبذلك ترتكب الدولة معهم خطأين، خطأ سرقة المال العام دون وجه حق، وخطأ نقله إلى خارج الأمة لتقوية الأعداء.. ونحن هنا بين إفراط وتفريط، إفراط في الزعم بالمحافظة على المال العام فنكبت كل شعور بالتنافس الشريف والاستثمار الناجح للمجتمع، وبين تفريط مع اللصوص الذين يسرقون

أموال الأمة العاملة ويلقون بها في بنوك الغـرب ومؤسسـاته للإسـهام في هذه الآلـة الرأسـمالية الاسـتعمارية الـتي تقـوم بـدورها بامتصـاص ثرواتنـا ودمائنا، أو يذهبون لينفقوها على موائد الفساد والقمار، ويظنون بهـذا أنهم (أحرار) في استثمار ثرواتهم وأموالهم.

والحق أن الحرية الشخصية في التصرف في المال الخاص حرية محـدودة ملتزمة بالسياسة العامة للأمـة وأهـدافها وهـذه السياسـة العامـة يجب أن تنبع من إيمان الأمة بالإسلام والتزامها بأحكامه وآدابه، هـذا الإسـلام الـذي يبني الأمـة وفـق نظـام ربـاني يقـوم على العـزة الـتي كتبهـا اللـه لنفسـه ولرسوله وللمؤمنين ويقوم على المرحمـة والعـدل بين النـاس، وليس من العزة أن تبدد ثرواتنا الخاصة وأن نلقي بها في أيدي الأعداء ليحرقوننا بهـا، وليس من المرحمـة والعـدل أن نغتـال الجهـود الفرديـة المخلصـة ولا أن نسمح لكل من حاز مالاً أن ينفقه كيفما أراد وحيثما يشاء.

وأول حـق للـه في المـال الخـاص هـو حـق الإنفـاق على النفس والأهـل بالمعروف، وليس من المعروف مـا نمارسـه الآن من إهـدار ثـروات الأمـة على هذه الرياش والزينة والزخـرف والـترف الـذي بلـغ كـل حـد ووصـف، فأواني الـذهب والفضـة، والأثـاث الخيـالي الخـرافي والحمامـات المـزودة بصنابير الذهب، والسيارات الخيالية التي اسـتغنى الغـرب الرأسـمالي عن استعمالها لتكاليفها الباهظة وابتدأ يصدرها إلى (أغنيـاء النفـط) والمسـاكن (والفيلات) الخياليـة وإهـدار الطعـام والشـراب، والتنـافس في الاسـتحواذ على المجـوهرات والمصـوغات الباهظـة، ثم اللوحـات (الفنيـة) التافهـة، وحفلات الظهـور السـخيفة كـل هـذا ينـذر بكارثـة لا يعلم إلا اللـه سـبحانه وتعالى مآلها ومنتهاها.

فالترف هو من أكبر عوامل الفساد والتحلل والانهيـار والحضـارات البائـدة جميعها حضارات بادت بسبب الترف أو كان الترف أهم أسـباب سـقوطها، فهذا الـترف يسـبب الأمـراض النفسـية والجسـمية ويملأ المجتمـع بالحقـد والكراهية والتفكك فمن من هؤلاء لا يفكر إلا في (ربع) الفساد والانحطاط وصـدق اللـه سـبحانه وتعـالى: {وإذا أردنـا أن نهلـك قريـة أمرنـا مترفيهـا ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً}.

وليس بالضـرورة يكـون التـدمير بكارثـة من السـماء أو الأرض فالحضـارة المترفة الفاسدة يدمر بعضها بعضاً لأنها تحمـل عوامـل سـقوطها ودمارهـا وتلك سنة الله سبحانه وتعالى.

إننا نحتاج إلى تقييم آخـر لقضـية المـال الخـاص فنطلـق أيـدي المخلصـين العاملين المنتجين، ونضرب على أيدي السفهاء المنحـرفين وذلـك أن مثـل المجتمع الواحـد في ترابطـه وتـأثر أفـراده بعضـهم ببعض أشـبه بأصـحاب سفينة واحدة، فإن عمد بعض أفراد السفينة إلى خرق مكانهم في السفينة لم يغرقوا وحدهم وإنما غرق الجميع، فهـل ينتبـه (ربـان) السـفينة العربيـة الإسلامية إلى الذين يهدمون في جدار هذه السفينة قبل أن نغرق جميعاً؟

18 مارس 1977

البحث عن السلام عند تجار الحروب

كانت الحرب ومـازالت وسـيلة من أعظم وسـائل الكسـب وذلـك بالنسـبة للغالب، فالغالب يحتل الأرض وفيها الثروات والكنـوز وعليهـا يعيش البشـر الذين يسخرون ويستخدمون في خدمة السيد المنتصر وفي تحقيـق مآربـه وأعراضه، فما روما في التاريخ لولا الحروب، وما فرنسا ومـا هولنـدا الـتي كانت تسـتعمر شـعوباً يفـوق عـدد رجالهـا بمائـة مـرة؟ وتسـتغل كنـوزاً لا تساوي كنوز أرضها بالنسبة إليها شيئاً يذكر.

ولم تنتـه الحـرب العالميـة الثانيـة الـتي مـا قـامت إلا تنافسـاً بين الـدول الاستعمارية على استغلال خيرات الشعوب الفقيرة المنهوكة إلا وقـد نشـأ نوع جديد من أنواع الحروب ولون جديد من ألوان الاسـتعمار، إنـه إشـعال الحروب بين الشعوب الفقيرة لاستعمارها واستنفاذ ثرواتها.

ولقد عمدت روسيا وأمريكا إلى هذه الحروب القذرة بعد أن تحقق لـديهما أن لا طاقة لأحد منهمـا بمجابهـة الآخـر فـإذا كـان لابـد من التوسـع وجـني ثمرات الحروب فلتكن بأيدي الآخرين وهذا ما يحـدث الآن: تحريـك العملاء من كلا الطـرفين للقتـال المحسـوب والمقـدر (وهـذا في أوقـات الاتفـاق والوفاق)، وتربية العملاء وتدجينهم ليكونوا في خدمة المسـتعمر والـدخول بهم في حرب الآخـرين (وهـذا في أوقـات الاختلاف والضـغوط) والمهم أن يبقى القتال والحـرب إلى الحـد الـذي لا يجـر دول الـذرة إلى الـدخول في الصراع، فما الذي تستفيده الدول الكبرى من الحروب الآن؟

ان الحرب أعظم وسيلة لإتلاف أموال الفقراء ولإنهاك اقتصـادهم ولـترويج صناعة السلاح التي لا يحسنها الا الدول الفتيـة القويـة وكـل هـذه مطـالب استعمارية جهنمية.

ثم إن الحرب هي الوسيلة المثلى لتجريب أنـواع الأسـلحة بصـورة واقعيـة وذلـك لإجـراء التحسـينات والتعـديلات تمامـاً كمـا تسـتخدم وذلـك لإجـراء التحسينات والتعديلات تماماً كما تستخدم الأطباء أنواع الفيران والحيوانات لتجريب المبيدات وزرع (الميكروبات) وإذا علمنا أن سياسـة العصـر خاليـة من الأخلاق علمنـا إلى أي حـد لا يجـد أولئـك المسـتعمرون أي حـرج أو مساءلة ضمير في فعل ما يفعلون.

أليس من الغرابة والعجب أن تسمع الآن أن (هانوي) تقيم علاقة طيبة مـع أمريكـا وهي الـتي عاشـت قرابـة سـت سـنوات تحت القصـف والـدمار الأمريكي، وأن روسيا تفكر الآن جادة في إرجـاع علاقاتهـا بإسـرائيل، كمـا كانت قبل أن تقطع، بـل إن الـرئيس بريجـنيف لم يلـق خطابـه السياسـي الأخير الذي رد فيه على خطاب كارتر بشأن فلسطين إلا بعـد عرضـه على حكام إسرائيل، وهذه الروسيا هي التي زودت العرب بأسـلحة طـوال ربـع قرن موهمة إياهم أنها تريـد إزالـة إسـرائيل، ومـا الغايـة الـتي يحـارب من أجلها الجندي المغربي (المسلم) في زائير؟

هـذه الحـروب المفتعلـة بتحريـك الـدول الكـبرى لعملائهـا لا يـراد بهـا إلا الحصول على الغايات الآنفـة من بيـع السـلاح، وإشـغال العـالم، واسـتنفاد

الثروات والحصول عليها للمستعمر بيد أبنائها وبدماء أهل الأوطان أنفسهم وهذا أخبث أنواع الاستعمار منذ أن وجدت الدنيا.

وأما تلك الحروب التي يشعلها المظلومون لاسترداد حقوقهم فسريعاً ما يستغلها سماسرة الحروب وتجار السلاح فيأتون للمسكين والمظلوم والمضطهد ويظهرون له أنهم معه وأنهم مؤيدون لحقه ويبيعونه السلاح وقد يمدون له في الأجل ويضاعفون عليه الديون والربا إلى أن يقع نهائياً في أحابيلهم واستعمارهم، وهم مع ذلك يساعدون عدوه ويبيعون السلاح له أيضاً ويؤيدونه ثم يكتشف المتحاربون في نهاية المطاف أنهم لم يكسبوا شيئاً وأنهم فقدوا كل شيء، وهذه حالتنا في حربنا مع اليهود، والاختلاف فقط في أن اليهود يجدون من يعطيهم مجاناً ولا نجد نحن إلا من يضحك منا ويستغل جهدنا و(عبطنا) واليوم يسعى رؤساؤنا بعد ربع قرن من البحث عن النصر والجري وراء اقتلاع اليهود من هذه الأرض إلى البحث عن السلام ووضع عصى التسيار والركون إلى الدعة والسلم، والعجيب أن ساستنا يبحثون عن السلام عند تجار الحروب تماماً كالذي يذهب ليشتري سم الفيران من عند متعهد بيع الفيران وتصديرها والذي يتوقف دخله وحياته عليها، أمريكا وروسيا أعدى أعداء السلام في الأرض لأن السلام يعني لهما أن لا بيع للسلاح ولا حصول على خيرات الآخرين، وليسوا على استعداد ليتحول مال البترول إلى صناعة تقطع الطريق على بيع صناعاتهم وتصديرها إلينا، فهم ليسوا أغنياء إلى هذا الحد، إلى الحد الذي يفقدون فيه أسواقهم وتجاراتهم ورفاه شعوبهم وتسلبهم متعتهم بعذاب الآخرين (ولا أخلاق للسياسة).

واليوم ليس أمام ساستنا إلا طريق واحد وهو أن يتحول السلاح المستورد إلى مصانع للسلاح في بلادنا وأن نتجه إلى حرب اليهود، كما ينبغي أن تكون الحرب لا كما يفرضها علينا ويحددها لنا تجار السلاح، واليوم الذي يعلم يهود فلسطين أننا لن نتخذ إلا الحرب وسيلة معهم فلن يبقى في فلسطين أحد منهم ودون حرب، واليهود أصلاً لم يأتوا إلى فلسطين إلا بمظلة إنجليزية ولم يبقوا فيها كل هذه المدة إلا بمظلة أمريكية، وإذا اتخذنا الحرب سبيلاً لاسترداد حقوقنا انقشعت هذه المظلة الأمريكية ولا بد وذلك أن أمريكا لا تلعب معنا إلا بلعبة السلام ولكن أين الحكام الذين لا يخافون على كراسيهم وأعناقهم من المخابرات المركزية الأمريكية؟

وهناك طريق آخر تنادي به إسرائيل الآن وهي أكفر الناس به وهي أن يجلس العرب معهم إلى مائدة مفاوضات فإقرار السلام وإذا كان الساسة العرب يأنفون من هذا الآن، فإنهم واصلون إليه حتماً ولكن في الوقت الذي سيصلون إليه سترفضه إسرائيل، لأن السلام هو أكبر عقبة في تحقيق أحلامها وبلوغها مآربها النهائية في الوقت الذي ستمتد اليد العربية لتصافح اليد الإسرائيلية، ستجد اليد العربية أن اليهود قد سحبوا أيديهم، وعند ذلك قد تأخذنا بقايا النخوة العربية وعند ذلك سنلجأ إلى السلاح، ولكن سيكون الوقت قد فات.

وأما الطريق الثالث الذي نمارسه، الآن وهو الجري وراء تجار الحروب من الـروس والأمريكـان لنطلب منهم السـلام، فأقـل مـا يُقـال فيـه إنـه طلب للشيء من غير مصدره.

والعجب أن تجار الحروب قد أتقنوا هذه التجارة إتقاناً عجيباً، فهم يفجرون الحرب في الوقت الذي يناسبهم تماماً، وبالحجم الـذي يناسـبهم أيضـاً وإذا اختل توازن هذه اللعبة وأراد عميل أن يتغلب وينتظر على آخر تـدخلوا في الحال ولبسوا لباس المصلحين الصالحين، وناشدوا الأطراف بضبط النفس وإيثار الحكمة والعقل، ثم إذا ضمد المجروحون جراحاتهم ودفنـوا موتـاهم، وعاد الدم إلى عروقهم افتعل التجار الحرب الأزمات وراجت سوق السلاح ونفخوا الغضب في عروق العلماء وأعلنت الحرب.

27 أبريل 1977

إلى متى نطلب حل
مشكلاتنا من الخارج؟

تشهد هذه الأيـام سـباقاً بين ساسـة الـدول العربيـة للحصـول على التأييـد المادي والمعنوي من ساسة الدول الكبرى، وقد شهدت موسكو ونيويورك وباريس ولندن وبـون عـدداً من الزيـارات قـام بهـا الساسـة العـرب لهـذه العواصم.

وبـالرغم من صـدور تصـريحات مختلفـة بـل متناقضـة أحيانـاً حـول هـذه الزيارات ونتائجها نجاحاً أو فشلاً كالاختلاف في تحديد سنة الحل أو الحسم أو السلام والاختلاف حول التأييد المادي الذي انتهت بـه الزيـارة فـإن هـذا ليس هـو موضـوع هـذا المقـال، وإنمـا السـؤال المطـروح الآن.. مـا هي المنفعـة الحقيقيـة الـتي يمكن أن نحصـل عليهـا؟ ومـا التأييـد المـادي أو المعنوي الذي تستطيع به دولة من دولنا العربية أن تخرج به كنتيجة لزيارة رئيسها إلى دولة من تلك الدول؟ وإذا كنا أكثر تحديداً قلنا: مـا نـوع التأييـد المعنوي الذي يمكن أن تقدمه لنا الدول الكبرى في حربنا مع إسرائيل؟

والجواب أننا لا نعلم أصلاً في تاريخنا الحـديث موقفـاً واحـداً وقفتـه الـدول الكبرى معنا في حربنا مـع اليهـود قـالت فيـه كلمـة الحـق لأجـل الحـق أو التزاماً بالأخلاق وجميع المواقـف الـتي وقفت فيهـا دولـة كـبرى في جانبنـا كانت لمصلحة راجحة لتلك الدولة وبانتهاء المصلحة غيرت الدولة موقفها.

فبعد هزيمة 1967م لم تبق دولة كبرى كنا نؤيدها في مواقفها إلا وتنكـرت لنا وأيدت إسرائيل ونظمت المظاهرات والمسيرات احتفالاً بانتصار اليهـود وعصب الشباب هناك عيونهم بعصـابة (موشـي ديـان) ذي العين الواحـدة، وكتب في كل مكان عنـدهم على الحـوانيت والمطـاعم والفنـادق "ممنـوع دخول العرب والكلاب" وسار رجل كجان بول سارتر -طالمـا أشـاد بـذكره الأغبياء عندنا- على رأس مظاهرة من هذه المظـاهرات في فرنسـا تأييـداً لإسـرائيل، ولم تكلـف دولـة عظمى نفسـها حـتى بخطـاب تعزيـة أو بيـان

استنكار واحتجـاج، بـل نصـحونا بـأن نتلقى الضـربة الأولى، فكـانت الأولى والقاضية أيضاً.

ولكن هـذه الأمـور تغـيرت جميعهـا بعـد نصـر أكتـوبر، ففي أثنـاء هزيمـة إسرائيل مكث زعيم الاتحاد السوفييتي في مصر أربعة أيام كاملـة يتوسـل إلينـا لإيقـاف الحـرب، و(داخ) كيسـنجر في اللـف والـدوران بين موسـكو ودمشق والقاهرة وعمان وتل أبيب متوسلاً لإيقاف الحـرب وإنقـاذ إخوانـه اليهود، ولم تبق دولة إفريقية كانت تؤيد اليهـود إلا وقطعت علاقاتهـا معهم ورفعت اللافتات التي كانت تستهزئ بالعرب، وارتفع سعر النفـط، وركعت أوروبا، وامتلأت صفحات الجرائد والمجلات عندنا بدعوة أثريـاء النفـط إلى زيارة لندن وباريس وجنيف ومدريد لقضاء أجمـل الأوقـات وتقـديم أفضـل الخدمات (وكنا بالأمس نسوى بالكلاب).

لقد كان هذا الدرس كافياً لنتعلم أن تأييد الدول الكبرى والصـغرى أيضـاً لا يطلب بالاستجداء، وإنما: كن قوياً يحترمـك الأقويـاء والضـعفاء أيضـاً، وكن ضعيفاً ولن تجد في هذا العالم (المادي) من يرحم ضعفك ويناصر قضيتك.

وأما التأييد فيظن البعض أن حصولنا على المعونات من الدول التي تسمى بالغنيـة والقويـة دليـل على نجـاح الزيـارة الرسـمية، وهـذا من الأخطـاء العظيمة، فالمعونات الخارجية التي تقدمها هذه الدول الغنيـة والقويـة هي من أخبث وسـائل الاسـتعمار الحـديث، وقـد ذكرنـا مـراراً أن السياسـة العالمية الحالية سياسة مجردة عن الأخلاق ولـذلك (فالمعونـة) الـتي تـأتي من الخارج ظاهرها المعونة وباطنها أبشع أنواع الاستغلال والاسـتعمار ومـا هي في الحقيقة إلا (صفقة سياسية) تفرضها دولة غنية على دولـة فقـيرة، فهذه المعونـات تكـون دائمـاً مشـروطة بشـروط سياسـية واقتصـادية بـل وأيضاً بشروط اجتماعية وقانونية تجعل منها تماماً (طعماً) أو (شـركاً) يقـع فيـه المغفلـون يقـول (جـورج وورز) المـدير السـابق للبنـك الـدولي في "المعونات الاقتصادية": إذا اسـتمر الحـال على هـذا المنـوال تكـون كميـة رؤوس الأموال الخارجة من الدول النامية أكثر من المبالغ التي دخلتها في فترة خمسة عشر عاماً وذلك بسبب الفوائد المرتفعة. هذا إذا قارنـا فقـط حجم المعونة بحجم الفوائد وأما إذا علمنا أنـه يسـتتبع المعونـة غالبـاً آلاف من الخـبراء لتنفيـذ المعونـة أو للتـدريب على اسـتعمالها إن كـانت سـلاحاً ونحـوه وأن هـؤلاء الخـبراء يتقاضـون مبـالغ باهظـة وأنهم يحملـون معهم الجواسيس ومكاتب كاملة لجمع المعلومات، ونشر الأفكـار وتجنيـد العملاء علمنا بعض الشر الذي تجره المعونات الخارجية.

وقد يكون من شروط المعونـة التغاضـي عن بعض العملاء الـذين يعملـون للدولة صاحبة المعونة، ورفع بعضهم إلى مناصب قيادية معينـة وليس هـذا فقط، بـل يكـون من شـروط المعونـة أحيانـاً قتـل وتشـريد وتعـذيب بعض الوطنيين أو استبعادهم من مواقفهم التي يخدمون دولهم منها وقـد يكـون من هذه الشروط حجب تعامل الدولة التي تقبـل المعونـة مـع دول أجنبيـة أخرى غير الدولة صـاحبة المعونـة، بـل قـد يشـترط المعونـة تأييـد الدولـة المتفضـلة بالمعونـة في مواقفهـا السياسـية والإعلاميـة.. وقـد يكـون من شـروط المعونـة تغيـير قـوانين داخليـة في الدولـة وباختصـار التنـازل عن

شرف الدولة وسيادتها وليس هناك استعمار أبلغ وأشد مكراً من هذا الاستعمار، بل ما عرف تاريخ الأرض استعماراً على هذا النحو تتنازل فيه الدولة التي تقبل المعونة الخارجية عن سيادتها فتغير قوانينها وتحدد سياستها الخارجية بما يتلاءم مع (الصديق) الذي يقدم (المعونة) بل وتقتل أيضاً أبناءها وتشرد أهل الغيرة والوطنية والشرف منهم إرضاء للصديق الذي يقدم (المعونة)..

باختصار المعونات الخارجية هي أعظم وسائل الاستعمار الحديث ولكنها تأتي في أسلوب عصري (مغلف مبطن) يأتي فيه السيد المستعمر ببعض أمواله وأسلحته ومشاريعه إلى دولة محتاجة، وفي مقابل هذا يسلب هذه الدولة المحتاجة سيادتها وثرواتها وشرفها وعزها، تماماً تماماً، كما كان السيد الإنجليزي والفرنسي يأتي قبل قرنين من الزمان يحمل في جيبه (مرآة) ثم يأتي إلى الأفريقي الساذج الذي يملك مزرعة عظيمة من المطاط أو الكاكاو فيقول له: انظر فإذا نظر الأفريقي في المرآة ورأى بياض أسنانه وحمرة لسانه وسواد بشرته تعجب جداً وتنازل للإنجليزي عن مزرعته ليحصل على (اختراعه) العجيب، لم تتغير حقيقة الاستعمار المعاصر على الاستعمار الحديث عن الاستعمار القديم وإنما تغير الأسلوب فقط، فكلمة الاستعمار نفسها كانت تعني (طلب الإعمار) وهكذا تقدم الإنجليز والفرنسيون إلى الدول الفقيرة لإعمارها وإخراجها من فقرها في زعمهم، ثم كان الاحتلال العسكري والسياسي، واليوم بعد نفرة الشعوب من رؤية جنود الأعداء استطاع الأمريكيون والروس أن يخترعوا استعماراً جديداً هو الاستعمار عن طريق (المعونة) الاقتصادية وبهذه المعونة الخبيثة تقع دولنا فريسة لأخبث ألوان الاستعمار الذي عرفته الأرض ففي مقابل بضع ملايين من الدولارات والروبلات نرهن أحياناً أوطاننا ونبيع استقلالنا ويتسلط المستعمرون على ثرواتنا.

باختصار أيضاً لا يجوز بتاتاً أن نتعامل مع الدول الكبرى إلا شراء وبيعاً وبعقود علنية وبحذر أيضاً والحمد لله في بلادنا من الكنوز ما نستطيع أن نستغل به وأن نستغني عن هذا الاستعمار الخبيث..

وأما التأييد المعنوي فإنه لا يتأتى لنا من الدول الكبرى والصغرى إلا إذا كنا نحن أقوياء ولا يمكن أن نكون أمام العالم أقوياء وهذا عدونا يطلب الحرب أو الاستسلام ويهدد بضم ما يشاء من أراضينا ونحن نركض وراء ما نسميه زوراً بالسلام وهو في حقيقته تمكين للباطل واستسلام.

29 أبريل 1977

هذا هو اليهودي العالمي

* لم يكن عبثاً أن يشمل القرآن هذا الحشد الهائل من الآيات في شأن اليهود ففي سورة البقرة وحدها نحو من مائة وستين آية كلها حوار معهم مع العلم أن سورة البقرة كلها 286 آية ويعني هذا أكثر من نصف أعظم سورة في القرآن شغل بالتحذير من اليهود ولبيان ما هم عليه من عقيدة وسلوك وأخلاق، ويستحيل في نظري أن يفهم إنسان على الأرض (بصرف

النظر عن كونه مسلماً أو لا) حقيقة اليهود إلا إذا درس هذه الآيـات، وذلـك أنها صادرة من الإله الرب الذي يعلمهم على الحقيقة، ولا تكاد تخلو سورة بعد ذلك من ذكر أخبارهم أو الرد عليهم.

* والصورة التي أعطاها القرآن لليهود ليست قاصرة على حقبة معينـة من أحقاب التاريخ وإنما تتبع القرآن نشأتهم منذ إبراهيم عليه السـلام، ثم ابنـه إسحاق ثم ابنه يعقوب وهـو (إسـرائيل) ثم أولاده الاثـنى عشـر (الأسـباط) وذكر القرآن أهم حوادث تاريخهم تقريباً منذ إسرائيل إلى عهد النبي صـلى الله عليه وسلم ثم ذكر القرآن في آيات عديدة مستقبل أمرهم مـع الأمـة الإسلامية وجاءت السنة ففصلت ذلك إلى آخر الدنيا.

* والصـورة الـتي ذكرهـا اللـه عنهم في غايـة الغرابـة فـإبراهيم وإسـحاق ويعقوب أنبياء صالحون وبنو إسرائيل اختارهم الله سـبحانه وتعـالى لحمـل رسالته، وإبلاغ شريعته للناس ولعبادة الله سبحانه وذكر الله أنهم اختارهم وفضلهم على العالمين كما قال تعـالى: {يـا بـني إسـرائيل اذكـروا نعمـتي التي أنعمت عليكم وإني فضلتكم على العالمين} ولا شك أن هذا التفضـل هو على العالمين في زمانهم فقـط بـدليل لعن اللـه لهم بكفـرهم برسـالة محمد النـبي أخـذ عليهم العهـد بـأن يؤمنـوا بهـا، كمـا قـال جـل وعلا: {لن يضروكم إلا أذى وأن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون. ضـربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا إلا بحبل من اللـه وحبـل من النـاس وبـاءوا بغضـب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات اللـه ويقتلـون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون} (آل عمران:111-112).

* وقـد أخـبر تعـالى أن اختيـارهم على العـالمين كـان عن علم أنهم أصـلح الناس للقيام بدعوة الله في هذا الزمان، كما قال تعالى: {ولقد اخترنـاهم على علم على العالمين} أي على علم بـأنهم أصـلح النـاس وأحـق النـاس في هذا الـوقت بالاختيـار. ثم انتهى هـذا الاختيـار بإصـفاء الرسـول محمـد صلى الله عليه وسلم وأمتـه من العـرب ومن آمن بـه من سـائر الأجنـاس كما قال جل وعلا: {كنتم خير أمة أخرجت للناس} الآية، وأخـبر تعـالى أن اليهود الذين يقدرون معنى الإصـفاء والاختيـار والتكـريم بالرسـالة حسـدوا الرسول محمد صلى اللـه عليـه وسـلم وحسـدوا العـرب وسـائر الشـعوب على هذا التكريم ووجدوا أن احتكار الدين والرسالة والنبوة كل هذه الفترة التي سبقت محمداً صلى الله عليه وسلم إلى زمان إبـراهيم عليـه السـلام قـد انكسـر الآن، وقـد خـرجت الرسـالة منهم إلى غـيرهم فنافسـوهم وحسدوهم وآثروا الكفر على الإيمان كما قال تعالى: {ولمـا جـاءهم كتـاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين. بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بمـا أنـزل اللـه بغيـاً أن يـنزل اللـه من فضـله على من يشـاء من عبـاده فبـاؤوا بغضـب على غضـب وللكـافرين عـذاب مهين} (البقرة:89-90) ومنـذ ذلـك الـوقت واليهـود يحملـون على عـاتقهم حـرب المسلمين والكيد للإسلام.

* إن عقدة الشعب المختار هي العقدة الملازمة لهذا الشعب الذي ظن أن اختيار الله له يومـاً من عمـره يعـني الاختيـار الـدائم وأن تفضـيل اللـه لـه

للعـرق لا للأعمـال وللآبـاء لا لعمـل الأفـراد، وصـلاح الذريـة، وبـدلاً من أن يبرهن اليهود على اختيار الله لهم باختيار طريقه أرادوا أن يـبرهنوا للعـالم أنهم قادتـه وموجهـوه فعلاً ويـبرهنوا لأنفسـهم أنهم الشـعب المختـار فعلاً فسخروا إمكاناتهم المادية والفكرية في محاولـة السـيطرة على الشـعوب وامتصاص ثرواتها وإضلال سعيها، لقد اسـتطاع اليهـود بالفعـل أن يخرجـوا مجموعـة من العلمـاء المـبرزين في علـوم المـادة كالفلـك والرياضـيات والطب والهندسة والكيمياء ويذهل المطلع الآن وهو يشاهد العـدد الضـخم جداً من كبار الأساتذة اليهود يتولـون رئاسـة الأقسـام في جامعـات أوروبـا وأمريكـا ولعـل أعظم دافـع دفعهم إلى هـذا هـو الشـعور بـالعميق بعقـدة الاستعلاء على سائر الشعوب وكـذلك الشـعور بالمهانـة والمـرارة لمعانـاة التشـرد بلا وطن طيلـة ألفي سـنة، واليهـود هم أسـاتذة المـال وصـيارفته وأهل الربا والقمار منذ فجر التاريخ، والسيطرة اليهودية اليوم على وسائل الإعلام من صـحافة وسـينما وتليفزيـون، لم تصـبح خافيـة على مطلـع، وأساتذة الإنحراف العالمي من أمثال فرويد، ودور كـايم، وكـارل مـاركس، كانوا يهـوداً، واتجـاه اليهـود منـذ فجـر انحـرافهم إلى اليـوم إلى اسـتخدام المرأة في الحصول على المال غير خاف على مطلع أيضاً.

* واليهود يحملون في رؤوسهم ويحتفظون وفق توراتهم وتلمودهم بأفكـار هي غاية في الإجرام والاستعلاء، ويحلمـون بمقتضـى هـذه الأفكـار بقيـادة العالم والتحكم في جميـع الشـعوب، ويخطئ من يظن أنهم قـد تخلـوا عن هـذه المعتقـدات والأفكـار وذلـك أنهـا أفكـار حيـة وهي جـزء من كيـانهم وممارساتهم اليومية وتعليمهم الإلزامي.

* ولقـد اسـتطاع اليهـود أن يغلفـوا أنفسـهم طيلـة تـاريخ تشـردهم بغلاف الحمل الوديع المستضعف الذي تريد الذئاب أن تعـدو عليـه، ولقـد صـدقت هذه الشـعوب الـتي ابتعـدت عن دراسـة الأديـان وقـراءة التـاريخ، والـذين فضحوا اليهود لاقوا مصيراً واحداً تقريباً من التشويه والدسائس والاغتيال.

* وبـالرغم من التعميـة الهائلـة الـتي يمارسـها اليهـود على معتقـداتهم وأفكارهم ومخططاتهم فإن بوادر كشف هذه السخف قد بدا في الأفق ولا شك أن ظهورهم في فلسطين على هذا النحو الوقح سيسـاعد كثـيراً على فتح العيون التي أغلقت طويلاً وفتح القلوب المغلقة الـتي ظنت أن اليهـود قد تركوا معتقداتهم وتوراتهم منذ زمن طويـل، ولا شـك أيضـاً أن معركتنـا مـع اليهـود طويلـة جـداً وأننـا لن ننتصـر عليهم إلا إذا واكب الاسـتعداد العسـكري اسـتعداد إعلامي وتعليمي هائـل لمعرفـة من هم اليهـود وكيـف نشـأوا وكيـف سـاروا في تـاريخهم وإلى أين يسـيرون وكيـف يفكـرون ويخططون؟ فهل ستتجه وسائل الإعلام في بلادنا إلى دراسات وافية حول ذلك؟ وهل ستتجه الجامعات والمدرس إلى التعريف باليهود والتحذير منهم ومن شـرورهم كمـا ينبغي؟ لقـد ابتـدأت وتنبهت جامعـات في أوروبـا الآن لدراسة (ظاهرة) اليهود والتحذير منها وكنا نحن الذين يحمل قرآننا تعريفـاً كـاملاً بـاليهود أولى النـاس بـذلك فهـل سـنظل ننتظـر التعريـف الحقيقي باليهود حتى يأتينا من الغرب أيضاً، من عجب أننا نواجه اليهود عسكرياً في فلسطين منذ أكثر من ستين عاماً ومازالت معلوماتنا العامة عن اليهود في غاية الضعف فإلى متى؟

8 يوليو 1977

أنقذوا الفلسطينيين في الأرض المحتلة قبل فوات الأوان

الذين يظنون أن مذبحة دير ياسين التي نفذها مناحيم بيغن ومنظمته كانت إرهاباً مستنكراً ومرفوضاً عند اليهود مخطئون، وذلك أن قتل النساء والأطفال والرجال دين يتقرب به اليهود إلى الله بزعمهم ورفض اليهود أو بعضهم لهذا الأسلوب الهمجي يعتبر ردة ونكوصاً عن اليهودية، التي بأيدي اليهود اليوم وقد أسفرت إسرائيل عن وجهها العقائدي صريحاً في هذه الأيام وقد كانت تخفي هذا من قبل، فتدشين بيغن لمستعمرة (قدوم) بالقرب من سبسطية (السامرة) كأول عمل سياسي له، وأخباره أن الضفة الغربية أراض محررة لأنها أراضي يهودا والسامرة وأنها جزء من أرض التوراة ووطن اليهود، وتشكيله حكومته مع الحزب الديني اليهودي، وإطلاق يد هذا الحزب مع جماعة غوش إيمونيم في التعليم والداخلية والثقافة الدينية، يعني الالتزام الكامل بالشريعة اليهودية، وإقصاء الوجه اللاديني الذي تستر خلفه حزب العمل في السنوات الماضية، فإسرائيل التي كانت تحارب في الماضي للحصول على وطن تجمع فيه شتاتها وتحمي فيه اليهود من الاضطهاد في الأرض وبذلك استدرت عطف العالم الذي لا يفقه كثيراً العقيدة اليهودية قد غيرت لونها الآن وتريد أن تظهر أمام العالم بأنها صاحبة الحق الإلهي في سكنى فلسطين، وهذا الحق الإلهي في سكنى هذه الأرض -بزعم اليهود- يخول لهم استئصال سكان فلسطين مهما كانت جنسياتهم وألوانهم.

وعندما اعترض كارتر في أمريكا على زعامة بيغن لإسرائيل قال بيغن إن كارتر مؤمن وهو يقرأ التوراة.. فما الذي في التوراة يبيح لبيغن أن يتزعم إسرائيل؟ ويجعل من ماضيه -المستنكر عالمياً- ماضياً مشرفاً وإنجازاً دينياً؟.. لنقرأ هذه النصوص من التوراة المزورة بأيدي اليهود.. تصف التوراة دخول يوشع إلى (أريحا) وهي المدينة الأولى التي دخلوها مقاتلين بعد التيه "وصعد الشعب إلى المدينة كل رجل مع وجهه وأخذوا المدينة، وحرموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف" (يشوع الإصحاح السادس) والتحريم هنا يعني الذبح. وقد يظن أن هذا كان انتقاماً أو خطأ بل هو شريعة مقررة وهي عندهم أجدى وصايا الله لإسرائيل (يعقوب) بزعمهم.

ففي سفر التثنية (التشريع) الإصحاح السابع ما يأتي:

"متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها (يعنون أرض فلسطين) لتمتلكها، وطرد شعوباً كثيرة من أيامك الحثيين، والحراشيين، والأحوريين، والكنعانيين، والفريزيين، والحوريين، والبيوسيين، سبع شعوب أكثر وأعظم منك، ودفعهم الرب إلهك إمامك وضربتهم فإنك تحرمهم، لا تقطع لهم عهداً ولا تشفق عليهم.." وقد مضى تفسير التحريم وهو يعني

القتل بالسـيف، ولـذلك ذبح اليهـود النسـاء والأطفـال بالسـكاكين في ديـر ياسين مع إمكان القتل بالرصاص ولكن ليكون التنفيذ حرفياً.

والعجب كل العجب أن توراة اليهود المـزورة تجعـل القتـل الجمـاعي هـذا لسكان فلسطين فقط وأما شعوب الأراضي الأخرى المجـاورة لفلسـطين والتي من الممكن أن تستولي عليها اليهود، فإن التـوراة لا تـرى واجبـاً في حقهم إلا قتل الذكور فقط وهاك النص من التوراة:

"وحين تقـترب من مدينـة لكي تحاربهـا اسـتدعها إلى الصـلح فـإن أجابتـك فكل الشعب الموجود فيها يكون للتسخير ويسـتعبد لـك، وإن لم تسـالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها وإذا دفعهـا الـرب إلهـك إلى يـدك فاضـرب جميع ذكورها بحد السيف، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جـداً الـتي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا، وأما مـدن هـؤلاء الشـعوب الـتي يعطيـك الـرب نصـيباً فلا تسـتبق منهـا نسـمة ما".. (لاويين 20)، وفي هـذا النص مجموعة من الأحكام اليهودية وهي أن من دخل من الشعوب الفلسـطينية صلحاً مع اليهود كان هذا الشعب للتسخير والاستعباد، وأما من إذا قـاومت الغزو وحاربت فيجب إبادتهم جميعاً (فلا تستبق نسمة ما) وأما إن كان من الشعوب البعيدة عن فلسطين فالقتل للذكور فقـط إن حـاربوا والاسـتعباد إن دخلوا سلماً وصلحاً.   فهل فهم السادة العـرب من مريـدي الصـلح مـع اليهود ماذا يعني اليهود بالصلح؟! وهل فهم السادة العرب لماذا كانت تصر جولدا مائير على أنه لا يوجد هناك شعب يسمى بالشعب الفلسطيني!! أي أن وجوده محكم عليه بالفناء والزوال!!

قد يستغرب البعض هـذه التعـاليم مـع العلم أنهـا قطـرة من بحـر التعـاليم (الرجعية) وهـؤلاء المـدافعون عن اليهـود أكـثر من اليهـود أنفسـهم أقـول لهؤلاء لا يجوز أن تكونوا يهوداً أكثر من اليهود أنفسهم، فاليهود أنفسهم قد أعلنوا أنهم متمسكون بأحكام التوراة وأنهم مـا أتـوا إلى فلسـطين إلا بنـاء على وعدها المقدس، ولم يذوبوا في العالم كل هذه المدة إلا إيمانـاً بهـذه التعاليم وتصديقاً لها، وهم ينفذون منها ما تسمح لهم الظروف بذلك. ويوم يملكون القدرة على التنفيـذ فلن يتـأخروا مطلقـاً، وأنـا أتحـدى أن يعـرض على قادتهم ورؤسائهم هذه التعاليم وينكرونها ويتبرأون منها، وقـد شـاهدنا كيف ينفذونها بكل أمانة ودقة. ولا أقول أيضاً بأن كل يهـودي كـذلك فليس هنـاك مطلـق أبـداً في الأرض، بـل من اليهـود من يكفـر بهـذه التعـاليم ويستقبح أن يفعل مثل ذلك ولكن هؤلاء اليهود الذين ينكرون هذه التعـاليم محكوم عليهم بالإعدام والقتل في إسرائيل وقد يعيشون خارجها.

* واليوم تقف المنطقة كلها على شفير الحرب، هذه الحرب التي قلنا منـذ عام ونصف في هذه الزاوية أنها حتمية وأنها الطريق الوحيـد أمـام اليهـود، وذلـك أن الصـلح والرجـوع إلى حـدود 1967 يعـني نهايـة أحلامهم أو على الأقل تقهقرها إلى الحد الذي يعني هجرة معاكسـة وكبتـاً للآمـال اليهوديـة العريضة ويوم نضطر اليهود إلى ذلك سيقولون كما قال أستاذهم اليهـودي الأول (شمشون) "علي وعلى أعدائي يا رب" ولذلك فتفادي مخـاطر هـذه الحرب بكل ما أوتينا من قوة واجبنا الآن. ومن هذه المخاطر التي يجب أن يضـع لهـا ألـف حسـاب إحـراق بعض النفـط العـربي وإشـعال الأرض على

رؤوس أصحابها، ولو كانت أمريكا تملك البديل من الطاقة عن النفط العربي لطالته اليد الإسرائيلية وذلك أنه هو سبب همومها ومشاكلها اليوم بما أعطى العرب من قوة ونفوذ في العالم ومال لشراء السلاح. ومن هذه المخاطر وهذا هو موضوع تحذيري اليوم (تنظيف) أرض فلسطين من أهلها وستكون الفرصة مواتية لهؤلاء الوحوش تحت غطاء الحرب السريعة المرتقبة وإذا كانت مذبحة دير ياسين قد أفادت في تهجير 136 ألف فلسطيني فإن مذبحتين أو ثلاثاً في الأرض المحتلة قد تكفي لتهجير نصف مليون أو المليون الموجود داخل إسرائيل الآن وهو السبب الثاني لنكدها ومشاكلها. ولذلك فيجب على كل أولياء الأمور من الساسة العرب وضع الاحتياطات من الآن لحماية مليون أعزل تحت احتلال اليهود. وأما ضرب القوة العسكرية العربية فهو بالحسبان، والشيء الرابع هو المخيمات والقرى الفلسطينية خارج إسرائيل وسكاكين الانعزاليين تحد الآن لتشارك في المذبحة..

وأخيراً لعلي لم أسرف في التشاؤم، والحذر مطلوب، ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، {يأيها الذين آمنوا خذوا حذركم} ولكن أين المؤمنون؟!!

24 يونيو 1977

إلى الذين أعطوا اليهود

"صك غفران"

عندما قرر اليهود بناء دولة لهم في فلسطين أعلنوا للناس جميعاً أنهم شعب مضطهد مشرد بحاجة إلى وطن يؤويه وحكومة تنشر أمجاده القومية وتحافظ على مآثره الروحية. وأن فلسطين وطن بلا شعب وقد انطلت هذه الأكذوبة الخبيثة على العالم الغربي والشرقي في ذلك الوقت ولاقت عند الفرد النصراني هوى وراحة فقد رأى أن في قيام هذه الدولة ثأراً جديداً للحروب الصليبية القديمة، وتنفيساً عن عقدة الذنب تجاه اليهود الذي ظلموا في أوروبا وروسيا القيصرية دهورا من عمرهم وتمزيقاً لأمة يمكن من تنافسهم في السيطرة على العالم لما لها من ثروات وفيرة وموقع ممتاز، وحضارة سالفة وكثافة سكانية كبيرة. وكان وعد بلفور الذي أعتبر أول وثيقة سياسية رسمية تعترف بآمال اليهود هذه وأمانيهم التي كانت في وقتها ضرباً من الخيال والخرف والإيمان المطلق بالغيب الذي ينكره الغرب.

ولكن بالدأب والصبر والتخطيط الرهيب استطاع اليهود خداع العالم بأسره في جريمة لا مثيل لها في التاريخ اللهم إلا في هجرة الأوربيين إلى أمريكا وإبادتهم شعبها (الهنود الحمر) وبنائهم دولتهم على عظام هذا الشعب ورفاته. هذه الجريمة تتمثل باختصار في تهجير شعب كامل من أرضه وتشريده في العالم وبناء دولتهم على أنقاضه ورفاته.

ولا يخفى على مطلع أسلوب المكر والدهاء والخبث التي وصل اليهود به إلى هذه الغاية. فالأعلام الناجح لليهود الذي صورهم دائماً بصورة

المستضعف الـذي يريـد السـكن والمـأوى، والمسـالم الـذي يريـد السـلام وينشر الحب والأعمار، وتصـوير أعـدائهم (نحن) بصـورة الـوحش الضـاري الذي يريد افتراسهم وطردهم من أرض آبائهم وأجدادهم والذي يريد إبقـاء أرض تحت ملكه لا يستفيد بهـا ولا يزرعهـا ولا يسـتغل ثرواتهـا بـل هـو في غـنى عنهـا كـل هـذا أعطى العـالم صـورة عن شـرعية عمـل اليهـود في فلسطين ووجوب بقـائهم فيهـا وعقلانيـة إقامـة دولتهم عليهـا. هـذا الأعلام الخارجي الناجح انضم إليه العمل الداخلي الـدائب في تزهيـد الفلسـطيني في أرضه، وتشريده منها: بالإغراء تارة، وبالتهديـد والتخويـف تـارة أخـرى، وبدفنه فيها تارة ثالثة، ثم عمل اليهود الحثيث على مستوى الدول العربيـة هذه الـدول الـتي تـوجب وصـية على هـذا الشـعب وذلـك بإقامـة الجامعـة العربي. وعمـل هـذا الوصـي (الجامعـة العربيـة) منـذ تـولي هـذه الوصـاية بمنتهى الغباء والسذاجة. (ومسلسل هذا العمل يطـول شـرحه)، المهم أن اليهود استطاعوا في توجههم بالعمل نحو البلاد العربية، تمزيق هذه الدول، وإشـاعة الفتنـة والفوضـى فيهـا وأشـغالها بمشـاكلها الداخليـة عن عـدوها الحقيقي، وعن غنيمتها التي تهضمها في بطء وشراسة.

ومسلسل الحـروب الهزليـة الـتي تتـابعت بين الـدول العربيـة واليهـود قـد أوصلتنا -وهذا هو المهم- إلى مراد اليهـود النهـائي وهـو إقامـة دولتهم في فلسـطين واعـتراف العـالم أولاً بهـا ثم التصـديق والاعـتراف من الـدول العربيـة الـتي كـانت ومـا زالت تـدعي الوصـاية والحمايـة لأرض فلسـطين وشعب فلسطين. أقول المهم أننا وصلنا -بعد أربعة حروب هب أن النصر كان في ثلاث منها لليهود وفي الرابعة لنا- إلى مـراد اليهـود النهـائي الـذي وضعوه يوم ركبوا سفنهم متوجهين إلى فلسطين لإقامة دولتهم المنشـودة والتي كانت يومذاك في ضمير الغيب.

والآن يريد اليهود الحلقة النهائية من مسلسل أكـبر أكذوبـة عرفهـا العـالم، ولا أريد أن أقول أكبر ظلم عرفـه أيضـاً، والـذي يريـدون اليـوم أن يـبرموا "صك الشرعية" لليهود ويعطوهم فلسطين ويقروهم على البقاء بها وجمـع يهود العالم في كل مكان إليها نحب أن نذكرهم بما يأتي:

أولاً: الجرائم التي ارتكبها اليهود على هذه الأرض أكبر من أن يمنحوا معهـا "صك غفران" فدماء شهدائنا لم تجف بعـد والثكـالى اللاتي يبكين أبنـاءهن وأزواجهن لم تنقطع دموعهن والولـدان الـذين ينتظـرون عـودة آبـائهم من المعـارك مـازالوا ينتظـرون ولم يكـبروا بعـد، والشـعب المشـرد -وإن أكرهتموه لفظاظته أحياناً- مازال مشـرداً بعـد، وإذا علمتم مآسـيه غفـرتم فظاظته وثورته، ولا يجوز بتاتاً وقد نصبكم هذا الشعب أو نصبتكم الإنجلـيز عندما أسسوا الجامعة العربية أوصـياء عليـه أن تفرطـوا في هـذه الوصـية وأن تعطوا اليهود "صك غفران" لكل هذه الجرائم والمآسي.

ثانياً: الشريعة الـتي تسـتندون في حكمكم عليهـا لا تعطي المغتصـب حـق الملك، ولا توجـد شـريعة في الأرض ترضـى بهـذا، والسـلم والصـلح الـذي تلوحون لنا به ما وهو إلا إقرار للمغتصب، وتمليك للظالم فعلى أي شريعة ستستندون في هذا؟ شرعة الإسلام تأبى، وليس هنـاك شـرعة في الأرض أو قـانون يقـول إن الغصـب من طـرق التملـك، اللهم إلا أن تسـموا هـذا

الغصب بالواقعية، ونحن نقول إن الظلم إذا وقع فلا يكون حقاً بمجرد وقوعه، بل هو ظلم أيضاً وغصب فنحن معكم نعترف بالواقع وأن دولة اليهود قائمة الآن، ولكننا نفترق عنكم في أنكم تقولون إن دولتهم مادامت قد قامت فهي حق ويجوز أن تعطى صفة الشرعية، ونقول إن دولة اليهود باطل واقع ويجب أن يأتي اليوم الذي تزول فيه، وقد علمنا الله أن نكفر دائماً بالباطل فالشرك باطل وهو واقع ولا ينكر وجوده إلا مكابر، ولكن أمرنا بجهاد الباطل باليد واللسان والقلب وإقرار الباطل لا يجوز في شرعة الإسلام، فإذا قالت الدول الكبرى "روسيا وأمريكا" أن إسرائيل وجدت لتبقى وهي حق لأنها قائمة قلنا لهم أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده وإسرائيل باطل وإن كانت قائمة، لأنها قامت على الباطل والكذب والغش والخداع، وشريعتنا لا تبرر الكذب والغش والخداع بمجرد وقوعه.

ثالثاً: إلى الذين يريدون إعطاء اليهود "صك غفران" ماذا سنقول لأجيالنا الذين نعلمهم أن وعد بلفور وعد مشؤوم ووعد آثم وجريمة نكراء و.. و.. إلى آخر هذا الهراء الذي نردده في أسماع أبنائنا كل يوم وما جريمة وعد بلفور أمام صككم الذي تريدون عقده وأمام جريمتكم التي بيتم أمركم على ارتكابها، إن أصغر طالب في مدارسنا سيقول لأستاذه غداً: أستاذي إذا كان بلفور الإنجليزي قد عطف على أماني اليهود في إقامة دولة لهم في فلسطين فقد اعترفنا نحن بهذا الحق وأيدنا اليهود في هذه الأمنية! أتريدون منا أن نكابر ونقول: لا وعد بلفور آثم، "وصك الغفران والملكية" الذي تزمعون إبرامه لليهود حق ونصر وفتح مبين!! اتقوا الله في عقولنا يا قوم!! أم تريدون أن نمحوا تراثناً كله وأن نبصق على شعرائنا السالفين ومفكرينا الغابرين، وقادتنا المخلصين، بل أن يبصق عليكم أنتم لأننا ما صفقنا لكم إلا على أمل أن تحرروا أرضنا وتعيدوا مجدنا وتنقموا لأطفالنا وثكلانا وتعيدوا تاريخ أمتنا؟ ألا تذكرون أن حناجرنا التهبت من الصراخ بحياتكم عندما أعلنتم ذلك، وأيدينا احترقت من التصفيق لكم عندما ظننا أن فيكم لمحة من خالد وطارق وعمرو وسعد، أتريدون أن نتهم عقولنا وأن نقول لقد كنا وإياكم في ضلال مبين؟

رابعاً: نحن نسأل: من فوضكم في بيع حضارتنا على هذا النحو وفي هدم تاريخنا بهذه السهولة؟ لا أظن عربياً واحداً فضلاً عن أن يكون مسلماً يرضى بأن يقر الباطل بالصمت فضلاً على أن يقره بالكتابة والعهد.. إسرائيل أكبر أكذوبة عرفتها لأرض ولا ننكر أنها أكذوبة واقعة ولكن لابد أن يأتي اليوم الذي يفيق فيه العالم أجمع من سكرته وخمرته ومن تأثير هذا اللعب السحري اليهودي الذي خلب الأبصار وأعمى العيون، ونحن نعلم أيضاً أن زوال هذه الأكذوبة لن يكون إلا على أيدي المؤمنين الذين يعملون كيف يفرقون بين الكهانة والدين، وبين السحر والمعجزة وبين الفتح والظلم، وبين الحق والباطل.

خامساً: إذا كان الفلسطينيون قد ألجئوا بفعل الظلم الذي وقع عليهم من كل جانب أن تكون آخر أمانيهم عظمة من يد اليهود تسمي الضفة الغربية وغزة فحذار في مقابل هذه العظمة الجافة أن يعطوا عدو الله وعدوهم تنازلاً شرعياً عن فلسطين، وليس هناك فيما أعلم فلسطيني حر يقول إن

لليهود شرعية وحقاً في إقامة دولة لهم في فلسطين، والـذين يريـدون أن يتستروا وراء "الفلسطيني" الذي أهلوه لتوقيع هـذه الوثيقـة الظالمـة إنمـا يرتكبون أكبر جريمة في حق أنفسهم وأمتهم.

سادسـاً: يجب أن نعلم أن الكهانـة الدينيـة الـتي سـوغت لبعض رهبـان "النصارى" إعطاء بعض البشـر جـوازات مـرور إلى الجنـة ومنحتهم عفـواً شاملاً عن جميع خطاياهم على الأرض، وذلك في مقابـل عـرض من الـدنيا كان يأخذه الكاهن.

أقول يجب أن نعلم أن الكهانة السياسـية الـتي تمـارس الآن أعظم جرمـاً من تلك الكهانة الدينية التي نستنكرها جميعاً اليوم، فاحتكار الصواب الـذي تمارسونه، وتربية شعوبكم بمبدأ: آمن يا بني فما يقولـه الرؤسـاء حـق وإلا كفرت!

ولا تعـترض فتنطـرد، ولا يفهم في السياسـة إلا أهـل السياسـة.. الخ هـذا الفكر البغيض الذي يمارس الآن كل هـذه القواعـد الكهنوتيـة إذا ظننتم أن الشعوب قد هضمتها وآمنت بهـا فـأنتم مخطئـون.. وأنـه لمن السـذاجة أن تظنوا أنكم تستطيعون إبرام الصكوك الآثمة وعقـد العقـود الجـائرة وأكـل ثمنها المحرم ولا يجرفكم تيار الحق.

7 يناير 1977

خدعوك فقالوا "اعرف عدوك"

* يبدو أننا الآن بحاجة إلى الاعتقاد بأن اليهـود هم أخطـر عـدو نجابهـه في الوقت الحاضر، فهذا العدو بلا نزاع هو السبب الأكبر لمشكلاتنا الاقتصـادية والسياسية وكذلك النفسية والخلقية وبيان ذلـك أن مشـترياتنا من السـلاح ما هو موجود بحوزتنا، وما ضاع منه في جبهات القتال، وما ينتظر أن ننفق فيه بلايين الدولارات ما هو إلا لمواجهة هذا الخطر الأكبر، ومـا فقـدناه من شـهداء وقتلى ومشـردين ومن ديـار وأوطـان لا تقـدر بـأموال ويسـتحيل التعويض عنها، واليهود هم أكبر مشاكلنا السياسية فالزوابع السياسية التي تتعرض لها منطقتنا الإسلامية العربية مرتبطة أساسـاً بالأوضـاع الصـهيونية اليهودية، فالانقلابات والانقلابات المضادة - كانت تحمل شعار إخراج اليهود من فلسـطين ولا تقـدم مـبرراً لاسـتيلائها على الحكم أعظم وأحظى عنـد العامـة من عزمهـا على مـا يسـمى باسـترداد (الكرامـة العربيـة) وتخليص الأمة من شر اليهود، وكذلك الثورات وثورات التصحيح ، وتصحيح التصحيح، والأحزاب السياسـية على اختلاف انتماءاتهـا من اليمين إلى اليسـار وقـد ركب جميعها الموجة الفلسطينية للوصول إلى الشـهرة والحكم، وبقـاء أي حـاكم في العـالم العـربي على كرسـيه منـوط بتمسـكه دائمـاً بـالحق الفلسـطيني وحـرب اليهـود وتحقيـق النصـر عليهـا، باختصـار مشـاكلنا السياسية كلها مرتبطة بوضعنا مع اليهود وستظل هذه المشاكل السياسية ما بقي اليهود في هذه الأرض وسيكون البيان الأول في كل ثـورة وانقلاب في المستقبل متضمناً حرب اليهود وإخراجهم من فلسطين.. وكذلك الأمر في مشاكلنا النفسية فالآثار النفسية التي أحدثتها الهـزائم المتكـررة أمـام

اليهود ماثلة دائماً أمام أعيننا، والانفصام النفسي بين الشعوب والحكام لا يحدثه إلا التهاون في هذه القضية، والشعوب العربية تتقبل ظلم الحكام وبطشهم وتجويعهم ولا تتقبل ولن تتقبل سكوتهم عن بقاء اليهود في فلسطين.

هذه جوانب سريعة توضح إلى أي مدى تؤثر المشكلة اليهودية على حياتنا الاقتصادية والسياسية والنفسية.

* ولأن هذه المشاكل بهذا الحجم والتأثير لا أقول على نواح من حياتنا فقط، بل على وجودنا وبقائنا في هذه الأرض، فنحن الآن مع اليهود على مفترق الطرق: فإما إلى الخلوص من هذه المشاكل بإقرار اليهود في فلسطين، وإبرام صك الشرعية اليهودية لهم في هذه الأرض وقد ذكرنا في مقالات كثيرة ماذا يعني هذا وباختصار لا يعني هذا إلا نهاية لهذه الأمة وإدخالها في نير الاستعباد ما بقيت.. ويأبى الله والمؤمنون ذلك، وأما مواصلة السعي في طريق إزالة هذه الجرثومة الخبيثة والمرض الفتاك وهنا لابد من وقفة وسؤال كيف يمكن ذلك والمشاهد أنه في خلال ربع قرن تتعاظم قوة اليهود بإزاء قوتنا ولولا أن الله قدر لنا قوة ما سعينا إليها ولا حسبنا لها حساباً وهي قوة النفط لكان اليهود معنا اليوم في شأن آخر؟.

والجواب أن تعاظم قوة اليهود كان مردها في كل الأحوال إلينا لا إلى اليهود، فإسرائيل وهم صنعناه بأيدينا، وثبتناه بأخطائنا، وبخيانة الخائنين منا، هذا نقوله أولاً قبل أن نلقي اللوم على الاستعمار الإنجليزي ثم الأمريكي، فلا ينكر إلا مكابر دور انجلترا ومعها دول الاستعمار الأوروبي قاطبة ثم دور أمريكا بعد ذلك، ولا ينكر إلا عميل كذاب دور المعسكر الشيوعي في خلق إسرائيل ومساندتها والحفاظ عليها إلى اليوم، أقول قبل أن نلوم أولئك جميعاً فلنقف أولاً مع أنفسنا ولنعدد أخطاءنا ولنستفد من دروس الماضي وأولى هذه الأخطاء في نظري تحتاج إلى مراجعة هذه العبارة الصادقة "اعرف عدوك" والتي استخدمها أناس لا يعرفون العدو فضلّوا وأضلّوا وساهموا في الهزائم المتكررة لنا أمام العدو عسكرياً وسياسياً وإعلامياً.. فالمعلومات التافهة والمبتورة أفسدت رؤية شعوبنا لليهود، والمعلومات المبالغ فيها أيأست كثيراً منا في تحقيق النصر على اليهود وساعدت في خلق اليهودي الخرافي عندنا، وكذلك المعلومات المشوهة لليهودي الجبان ولقوته واستعداداته الهزيلة ولقوة العرب الهائلة وذلك قبل هزيمة سنة 1967 كانت من أهم أسباب تلك الهزيمة، ولذلك أصيبت مجموعة المثقفين وقراء الصحف وكتاب المقالات والأدباء بالانهيارات العصبية والاهتزازات النفسية بعد الهزيمة وذلك للصورة المشوهة والمعلومات المغلوطة عن قوة اليهود وقوة العرب، ولو كنا نرى الأمور على حقائقها لما أصيب منا هذا العدد الضخم بما أصيب والذين كانوا يفهمون الواقع كما هو قالوا لن ننتصر في معركة سنة 1967م وكان كاتب هذه السطور بحمد الله واحداً من هؤلاء، المهم أن الرؤية الزائفة التي يخلقها الإعلام في البلاد العربية لليهود هي من أكبر عوامل الهزيمة، بل لعلها أكبر عوامل الهزيمة على الإطلاق، وذلك أن المواقف العسكرية

والسياسية لا تتخذ إلا وفق المعرفة بالعدو وإذا كانت هذه المعرفة معرفــة زائفة مغشوشة كان الموقف العسكري فاشلاً وكذلك الموقف السياسي.

وبـالرغم من أنـني لن أقـدم رؤيـا صـحيحة وتصـوراً كـاملاً عن اليهـود في مقالي هذا -ولا أزعم أيضاً- أنني أملك هـذه الرؤيـا وهـذا التصـور، ولكنـني أعتقد أنني أستطيع أن أقدم جوانب صحيحة علمية لهـذه الرؤيـا ولعـل مـا قدمته سابقاً في هذا المنبر ساهم إلى حد ما في هذا وأرجو أيضاً أن أوفق مستقبلاً في بيان جوانب جديدة أقول بالرغم من كل ذلك فأنني أحــذر من الإعلام النـاقص والمغشـوش والمـزور الـذي يقـدم تحت عنـوان "اعـرف عدوك" ومن هذا الإعلام المغشوش أن إسرائيل منهـارة اقتصـادياً وأنهـا لا تسـتطيع أن تبقى إلا بالمسـاعدات، فالحقيقـة غـير ذلـك فهي أغـنى دولـة أوروبية وعجزها في مدفوعاتها غير حقيقي، وذلك للتسليح الخـرافي الـذي تتسلح به، وهي دولة مصدرة للسلاح وتستطيع أن تعيش على ذلك، وكذلك من الإعلام المزور أن إسرائيل هي بنت الاستعمار أو (ولد) أمريكا المـدلل وهذا لا يمثل من الحق شـيئاً، وقـد فصـلنا هـذا بحمـد اللـه في مقـال آخـر فإسرائيل لص وعميل يعمل للآخرين، ويسرق لنفسه، وهي دولة مسـتقلة، بـل لعلهـا أعظم اسـتقلالاً من دولــة كبريطانيـا الآن، ومن أكـبر الكـذب والافتراء والإعلام الزائف أن إسرائيل دولة تبحث عن السلام، وترضى بــه، بـل هي دولــة وشـعب لا يعيش إلا بـالحروب، وللحـروب والفتن، ولــذلك فالسلام لا يعني إلا نهاية هذه الدولة، وتفرق هذا الشعب، ومن أكبر الغش التفريق المزعوم بين الصهيونية واليهودية فمع إيماننا أنه ليس كـل يهـودي صهيوني فنحن نـؤمن أيضـاً أن اليهـود الـذين يعتقـدون بالصـهيونية هم في إسرائيل قلـة وشـذوذ والشـاذ لا يخـدش القاعـدة وهم يوصـمون بالخيانـة داخل المجتمع الإسـرائيلي، ولـذلك فـالتزوير الـذي مارسـه شـيوعيو البلاد العربية والذين روجوا لهذه الأكذوبة قـد سـاهم في إشـاعة القـول بإمكـان تخليص إسرائيل الصهيونية والبرجوازية الحاكمـة.. الخ هـذه الترهـات ومن الإعلام الناقص أيضاً إطلاق القول بـامتلاك إسـرائيل للأسـلحة الذريـة دون بيان جوانب الصورة الإسـرائيلية الكاملـة وهي أن هـذه الدولـة وإن ملكت الأسلحة الذرية، فإنها تملك موقفاً هشاً وواقعاً أليماً وستقضي على نفسـها قبـل أن تقضــي على غيرهــا، ولــذلك فالقنبلــة الذريــة لن تمـد في عمـر إسـرائيل ولن تمنـع بطش اللـه بهـا يـوم يتجـه المؤمنـون بـه في الطريـق الصحيح، وهذا وغيره كثير نسمعه كـل يـوم وهـو يشـوه الصـورة الحقيقيـة للدولة اليهودية وللإنسان اليهودي وبذلك نخطئ في وضع حساباتنا مع هـذا العدو، فمتى يوضع لنا إعلام سـليم صـادق لنعـرف أعـداءنا؟ ومـا القواعـد التي يجب أن يتبعها هذا الإعلام لتعريفنا باليهود؟ ولهذا مقال آخـر إن شـاء الله تعالى.

لماذا يتهالك الشيوعيون

على الصلح مع إسرائيل؟

لا يشعر كثير من المثقفين بالغرابة إذا علموا أن (المتآمرين) منا يهشون ويبشون للصلح مع إسرائيل ولكن قد يصابون بالدهشة إذا علموا أن (المتمركسين) منا أشد تلهفاً على الصلح مع إسرائيل، ولا عجب في كلا الأمرين.

كتب أحمد حمروش في روز اليوسف الاثنين 10/1/1977 مقالاً يفلسف فيه خيرات الصلح وبركاته على كل من العرب واليهود فيقول: "ستظل المنطقة بلا سلام مثل المريض الذي تنتابه رعشة الحمى مرات ومرات"!! وهكذا يصور الكاتب أن الحروب التي خاضتها هذه الأمة كانت رعشات حمى أي ظاهرة مرض ولم تكن ظاهرة صحة لأمة تدافع عن شرفها وأرضها وتراثها ونسائها ورجالها، ثم يدعونا إلي ترك هذا المرض والهلوسة وإلى أن نستعمل العقل فيقول: "ولا شك أن النظرة المتعقلة للأمور سواء في الدول العربية أو إسرائيل لا بد أن تدرك أن السلام ضرورة حيوية وهامة لبناء المجتمع"، هكذا ينصح الأستاذ أحمد حمروش العرب وإسرائيل بأن يتعقلوا ليبدأوا في بناء مجتمعهم ويذكر السبب في هذا فيقول: "إن أعقد ما يعرقل عملية النمو الاقتصادي هو سباق التسليح الذي ينهك الميزانية، ويجعل للأسلحة أسبقية على بناء المساكن والمدارس والمستشفيات، ويحيل المنطقة إلى (مستودع بارود) يهدد أمن شعوبها ويعرض سلام العالم للخطر"، وهكذا ينصحنا الكاتب بترك التسليح والاستعداد لبناء المساكن والمستشفيات جنباً إلى جنب مع اليهود الغازين الغاصبين المستعمرين.

ثم بعد ذلك يوجه نصحاً خاصاً إلى اليهود (أبناء العم) فيقول لهم: "ولن يكون السلام الذي يمكن أن تتحقق في جنيف خيراً للعرب وحدهم ولكنه سوف يكون خيراً أيضاً لشعب إسرائيل"!! هكذا والله.

ثم يستطرد الكاتب أحمد حمروش فيبين بركات الصلح مع اليهود خاصة فيذكر من هذه البركات أنهم سيستطيعون بالسلم بناء إسرائيل الكبرى وذلك أن الهجرة المعاكسة سببها الحرب وانه إذا استقر السلام انتفت هذه الهجرة واستطاعت إسرائيل إقناع يهود العالم بالسفر إلى إسرائيل ليس يهود روسيا وحدهم، بل أيضاً يهود فرنسا وأمريكا، يقول بالحرف الواحد بعد النص الآنف: "والحلم الصهيوني بأن يحتشد يهود العالم في أرض إسرائيل يثبت مع الأيام وقسوة الحروب أنه وهم كبير فهجرة 200.000 إسرائيل إلى أمريكا في تيار هجرة مضادة متزايد، وانخفاض نسبة المهاجرين من اليهود من الاتحاد السوفييتي ورفض أغلبيتهم (60%) الذهاب إلى إسرائيل وتتالي صدور قوانين حق عودة اليهود إلى الدول العربية، كل ذلك يؤكد أن الصهيونية تحكم على إسرائيل بأن تتحول إلى (جيتو كبير) والحقائق تثبت أن حلم الصهيونية لم يقنع يهود فرنسا وأمريكا بالرحيل إلى إسرائيل" أ.هـ، وهكذا ينصح الكاتب الصهاينة بألا يضروا بأحلامهم بواسطة الحرب وليقبلوا السلم لأن الوحيد الكفيل بتحقيق طموحاتهم وأحلامهم وهجرة يهود العالم أجمع إلى فلسطين.

ثم لا يكتفي أحمد حمروش بهـذا بـل ينصـح إخوانـه اليهـود بـأن لا يضـيعوا الفرصـة على اليهـود الرأسـماليين الأمريكـيين باسـتثمار أمـوالهم في بلاد النفط، فبعد أن يذكر أن في إسرائيل تيارين، تيار يريـد الصـلح وتيـار يريـد الحرب يقول: "ويثبت عامـل خـارجي ينمي هـذا التيـار (يعـني السـلم) هـو رغبة كبار الرأسماليين من اليهود الأمريكيين في التعاون مع أمـوال الـدول البترولية، وفرص هذا التعاون تضعف أمام التصادم السياسي أو العسـكري بين إسرائيل والدول العربية، وتزيد إذا تحقق السلام"، ويدلل الأستاذ أحمد حمروش على الرغبة في هذه المشاركة فيذكر أن مصـانع رينـو الفرنسـية احتاجت إلى قرض وأن البنك العربي في باريس أبـدى اسـتعداده للإسـهام فيه، مع بنوك أخـرى مشـترطاً ألا تكـون بينهمـا بنـوك يملكهـا يهـود، ولكن بالمفاوضات وافق البنك العربي على الإسهام مع البنوك اليهودية ثم يقـول أحمد حمروش معلقاً: "هي رغبة أخرى للسلام تنبث من منطلق آخر"!!.

وكل الذي ينصـحنا بـه الأسـتاذ أحمـد حمـروش لنحقـق السـلام الموعـودة ونجني مع اليهود الخيرات المشـتركة أن لا تظن أن السـلام يمكن تحقيقـه إلا باشتراك السوفييت الـذين دعـوا إلى جـنيف أولاً فيقـول: "ولا يجـوز أن يخطئ البعض فيعتقد أنه يمكن أن يتحقق سلام منفرد في غرفـة عمليـات أمريكية"، ويبشـرنا الأسـتاذ أحمـد حمـروش بـأن جروميكـو وزيـر خارجيـة السوفييت قال: "إن الطالع المزمن للأزمة لا يبرر الاستنتاج بـأن المشـكلة بغير حل" ثم يكتشف لنا الأستاذ أحمد حمروش قاعدة ذهبيـة جديـدة وهي أن النضال ليس فقط من أجل الحرب، بل أيضـاً من أجـل السـلام فيقـول بالنص وهي خاتمة مقاله: "وليس النضال فقط هو من أجـل الحـرب هنـاك نضال أيضاً من أجل السلام" أ.هـ، وهكذا أقول أنا أيها المناضلون من أجـل السلام، فأنتم لا تقلون شرفاً ومجـداً وعـزاً عن الأغبيـاء الـذين استشـهدوا على أرض فلسطين!!.

وبعد ماذا نقول يا إخوة؟!!

لو استأجر اليهود كاتباً ليمهد عند العرب للصلح الذي يقاتلون من أجله منـذ دنست أراضـيهم أرض فلسـطين فلن يسـتطيع –واللـه- أن يكتب أكـثر من هذا!.

وعلى كل حال نبشر اليهود بـأن لهم في أرضـنا من يهتم بمصـالحهم أكـثر منهم، ونضم رجاءنا مع رجـاء الأسـتاذ أحمـد حمـروش إلى الـذين يريـدون تحقيق السلم عن طريق أمريكا ألا ينسوا روسـيا وهم ذاهبـون إلى هنـاك، فاطمئن يا أستاذ حمروش.

وأما أنتم أيهـا المخلصـون من هـذه الأمـة فـاعلموا يقينـاً أنكم لن تطهـروا فلسطين من رجس اليهود حتى تطهروا حصونكم من الداخل.

الجوع الروحي يجتاح العالم

كان سقوط نظام الإقطاع في أوروبا، واندحار النظام الكنسي المساند له، وظهور الآلة الجديدة وبداية الاكتشافات العلمية كل ذلك كان مقدمة لبروز

عصر جديـد نسـتطيع أن نسـميه عصـر العلم المـادي والآلات، هـذا العصـر الذي امتد طيلة القرن التاسع عشـر وأوائـل القـرن العشـرين انقلبت فيـه أفكار الناس ومعتقداتهم فبينما كان جميع الناس -إلا مـا شـذ منهم- يـؤمن إيماناً ما بعقيدة غيبة وبشيء وراء الأسباب فـإن النـاس تحولـوا إلا القليـل منهم إلى الإيمان بالمادة فقط ويرفض كـل شـيء وراء الأسـباب وبـالكفر بكل ما لا تصل العلوم المادية والحـواس إليـه، وبهـذا انهـار الفكـر الـديني بوجه عام على سطح الكرة الأرضية، وحل محل الآلهة التي اعتنقها البشـر آلهة جديدة تتمثل في قدرة العلم المادي على صناعة المعجـزات وتسـخير الأرض والســماء وقهــر الحيــاة والتغلب على مشــاكلها وتســخير الأرض والسماء وقهر الحياة والتغلب على مشاكلها واكتشاف المجهـول أيـاً كـان، وبدأت مرحلة جديدة للسخرية من أهـل العقائـد الدينيـة أيـاً كـانت والحكم عليها جميعاً بحكم واحد وهي أنها من نسج خيال المشعوذين والدجالين، أو ممـا يضـيفه الإنسـان على الطبيعـة الـتي كـان الإنسـان يقـف حـائراً أمـا تصرفاتها الغربية كالعواصف والزلازل والبراكين.

وكما كان كثير من هذه العقائد الغيبية باطل في ذاته ولا يعدو كونه شعوذة وتدجيلاً ورجماً بـالغيب دون دليـل وبرهـان فقـد اتخـذ المغرضـون من هـذا الدليل على بطلان العقائد الإسلامية التي تستند إلى الدليل والبرهان ولكن أهل الحضارة الحديثة لم يكن عندهم الـوقت ليمـيزوا بين العقائـد الباطلـة والعقائد الحقـة فحكمـوا عليهـا جميعـاً بحكم واحـد ووضـعوها جميعـاً تحت قضـية واحـدة هـذه القضـية تقـول بمـا أن العقائـد الدينيــة كالهندوكيــة والنصرانية والبوذية لا تعدو أن تكـون ترهـات وخـزعبلات وبمـا أن الإسـلام أيضاً عقيدة دينية من هذه العقائد فهو كذلك، وتحت هذه القياس الشمولي الباطل جابه الإسـلام كمـا جـابهت العقائـد الأخـرى موجـة المـد الحضـاري المـادي وخسـر المسـلمون في هـذه المجابهـة كثـيراً من رجـالهم الـذين اهتزت عندهم العقائد الدينية الموروثة وانصرفوا إلى الإيمان بالإله الجديــد الذي يمثله العلم المادي الذي وصف بأنه على كل شيء قدير وبكل شـيء عليم.

وسعى الإنسان لاهثاً خلف هذا الإلـه الجديـد فلا يكـاد يظهـر مخـترع جديـد حتى يصفق الناس له، ولا تكون تظهر نظرية علميـة تفسـر شـيئاً من هـذا الكون حتى يسجد النـاس سـجدة شـكر في محـراب العلم، وابتـدأ علمـاء المادة ينكبون بالبحث والتجريب في كل ناحية من نواحي الحياة، وفي كـل يوم يرى الناس عجيباً وغريبـاً، وفي أثنـاء هـذا الـركض اللاهث نحـو غايـات العبادة المادية الجديدة فقد الناس عقائدهم القديمة وطلقوها وابتدأ الناس ينتظرون أن يحقق العلم المادي سعادة الإنسان على الأرض وراحته وأمنه ومسـتقبل أجيالـه، وأن يفسـر لهم لغـز الحيـاة والمـوت الـذي يتحكم في وجودهم وفنائهم وأن يجيب على أسئلتهم الحائرة، لماذا أوجدنا؟ وإلى أين نسير؟ ومن خلق هذا الكون؟ ولماذا تتصرف المادة حسـب قـوانين ثابتـة؟ ومن خلق هذه القـوانين؟.. الخ إلى مئـات من الأسـئلة الحـائرة ولكن هـذا الانتظار طال، بل كلما مرت أيام واكتشـف النـاس جديـداً في هـذا الكـون زادت الحيرة والإرباك وتبخرت آمال السعادة والأمن والاستقرار فالإنســان قد أصبح يعيش على أرض ادخر على سطحها من آلات الدمار والخراب ما

يكفي لتدمير الأرض عشـرات المـرات!! فـأين الأمن؟ ومـا زالت الجـرائح والأمــراض والأوبئــة والــزلازل.. تهــدد حيــاة الإنســان ووجــوده، وهــذه المخترعات الكثيرة ووسائل الراحة والرفاهية قد انقلبت بدلاً من أن تكون نعمة إلى أن تصبح هلاكاً للنفس والضمير وتشويهاً لجسم الإنسان وإفساداً لبيئتـه، والأسـئلة الحـائرة لا جـواب عليهـا، وابتـدأ الإنسـان يشـعر بضـالته وصغره عندما عاين عجائب الخلـق نحـوه فـرأى الأرض الصـغيرة الضـائعة وسط طوفان هائل من النجوم والكواكب والمجرات الـتي تسـبح في أمـاد فسـيحة لا يـدركها عقـل ولا يحيـط بهـا حسـاب أو علم ورأى الإنسـان أن المادة التي آمن بها تنغلق على سر عجيب هو سـر الـذرة والإلكـترون وإن هـذا الجـزء الـذي يتنـاهى في الصـغر هـو من أعجب الأمـور وإن لم يكن أعجبها ولم يدر الإنسان لليوم لماذا كان كل هذا؟

وفي منتصف هذا القرن العشرين وقف الناس من جديد على حافة الهاوية وابتدأ الكفر بالإله الجديد، وبدأ هذا الكفر من علماء المادة أنفسـهم الـذين قالوا لقد وصلنا إلي طريق مسدود، وابتدأ صراخ الناس من كل ناحيـة أننـا نتدمر.. نتمزق.. الأزمات.. أسلحة الدمار الحروب.. الصراع، وابتدأت حركة ردة جماعية جديـدة عن العبـادة الماديـة للإلـه المـادي.. ولكن هـذه الـردة تلـونت بـألوان شـتى، فقـد وجـد كثـير من النـاس سـعادتهم في الحبـوب المخدرة والمنومة التي تساعد الإنسان على الهروب من عالم الواقــع إلى عــالم الخيــال، واغــرق آخــرون في الجنس والمتــع الحســية إغراقــاً ليس للاستمتاع، ولكن للهروب أيضاً من واقع الحياة السيء، ولما لم يتحقق هذا الهـروب باللقـاء الفطـري بين الـذكر والأنـثى تحـول إلى الشـذوذ، وابتـدأ آخرون ينبشون في الأوراق القديمة ويفتشون في الديانات الغابرة عن إله جديد وتفسيرات أخرى للغز الحياة، وسعادة جديدة غير التي افتقـدوها من إلههم القديم، وراجت في أمريكا وأوروبا الآن الديانات الوثنية والخـزعبلات الصوفية الهندوكية، وبدأ الشعب الروسي الذي فُرض عليـه الإلحـاد فرضـاً منـذ سـتين عامـاً يعـاود الخطى إلى الكنيسـة ويحن إلى المسـاجد، ويعـود البوذيون إلى ترميم معابدهم ونصبهم.

باختصار لقد أعلنت المذاهب المادية الاجتماعية والاقتصادية الإفلاس وابتدأ الناس يصيخون السمع ويترقبون ظهور إله جديد.

والمسلمون أهل الدين الحق قد تـأثروا بلا شـك بظهـور إلـه العلم المـادي وباندحاره أيضاً، ولأن عامة المسلمين من العرب وإن كان غير العــرب من المسـلمين أكـثر عـدداً - فـإنهم أبطـأ أفاقـة من كبـوة، وأقـل استشـراقاً للمسـتقبل، وهــذا شـأن الجنس العــربي بوجــه عــام، أقــول لأن العــرب المسلمين هذه هي أخلاقهم الجبلية الأصيلة فإنهم لـذلك سـيتأخرون كثـيراً حتى يتقدموا إلى هذا العالم المضطرب ببضاعتهم النقيـة الجيـدة وبـدينهم الحق.

فالإسلام الحق فيه الإجابـة على أسـئلة النـاس الحـائرة وفي ظـل نظامـه الخلقي والاجتماعي يستطيع الناس أن يحققوا السعادة على الأرض، ولكن المرحلة الحالية التي تشهد هذه التحولات العجيبة من الكفر بالإلـه المـادي والاتجـاه نحـو آلهـة جديـدة لم يسـتطع مفكـرو المسـلمين وعلمـاؤهم أن

يستوعبوها، وليس في طوقهم وهم بهذه الحالة أن يقـدموا للنـاس البـديل لما هم فيه من شقاء وبؤس وضياع.

ولذلك فلابد من ثورة فكرية عقائدية جديـدة تسـتطيع بعث المسـلمين من جديد وتقديم غذاء جيد للجوع الروحي الذي يجتاح العالم في الراهن، فأين يا ترى يوجد هذا البعث وتتحقق هذه الثورة الفكرية العقائدية؟.

9 سبتمبر 1977

الفساد.. من سيحاسب من؟

يموج العالم في العصر الـراهن بشـيء يسـمى الفسـاد الإداري واسـتغلال النفوذ والرشوة، فالفضائح السياسية والمالية نسمع عنها كـل يـوم تقريبـاً، ولا تكـاد تخلـو دولـة من دول العـالم من اكتشـاف أنـواع من الفسـاد في إداراتها وموظفيها كباراً وصـغاراً فـالووترجيت واللوكهيـد، وهـدايا نيكسـون ورشاوي الكونجرس وفضائح أوروبا وآسيا كـل ذلـك فقـرات من مسلسـل يومي للفساد السياسي والإداري والمالي.

والبلاد العربيـــة الإســـلامية من أعظم بلاد اللـــه ابتلاء بكـــل هـــذه الأنـــواع فالصعاليك (الصعلوك في لغة العرب الـذي لا مـال عنـه) الـذين يسـتولون شـيئاً من أمـوال النـاس سـرعان مـا يصـبحون من أهـل الملايين هـذا في القمة، وأما العمـال الصـغار الـذين يتولـون المصـالح الصـغيرة كالجمـارك والتراخيص والتموين فلا يكاد يسلم أحد من شرهم على طول حدود بلادنـا الإسلامية والعربية.

وبجانب كثرة الفساد على هذا النحو كثر أيضاً الحديث عن الفسـاد، فالكـل يشـكو ويتهم الآخـرين ويـزعم أنـه ينشـد الإصلاح ولا يحب الفسـاد وكـأن المفسدين ليسـوا من أهـل الأرض، وإذا جئت تنـاقش بعض الـذين ينهبـون عن الفسـاد وتعلمهم أنهم أيضـاً لا يتقـون اللـه فيمـا خـولهم إيـاه وأنهم يسرقون أيضاً ويغشون أخبروك أن ما يفعلونه لا يساوي شيئاً إذا قيس بما يفعله الآخرون فـالأمر عنـدهم نسـبي فقـط بمعـنى أنهم يختلسـون دينـاراً وغيرهم يختلس ألفاً.

والعجب حقـاً أن الحكومـات في بلادنـا العربيـة تعمـد إلى محاربـة الفسـاد بطرق بدائية جداً ولعلها مشجعة على الفساد لا ملغية له.

ومن هـذه الطـرق تشـكيل لجـان التحقيـق في الفسـاد!! وإحصـاء تركـات الناس ثم قياس الزيادة في نماء الثروة!!.

فأما تشكيل لجان حكومية للتحقيق في الفساد فهو وضع غـير منطقي لأن المفـروض أن الحكومـة بجميـع عمالهـا (موظفيهـا) وحـدة واحـدة وهي مسؤولة أمام الشعب لا أمام نفسها عن الفساد فكيف يحـق للحكومـة أن تحاكم نفسها، كيف يكون المتهم حكماً ومتهماً في آن واحد؟!

وأما قياس الزيادة في أموال الناس ومقارنة ذلك بدخولهم المنظورة فهـو شيء يدعو إلى العجب حقـاً فالـدخول المشـروعة متعـددة منهـا المـيراث

والهدية والهبة والعمل (الراتب الوظيفي) والأعمال الحرة المسندة للزوجات والأولاد والأقارب في ظل القوانين التي تحرم على الموظف الحكومي العمل الحر، ولن يعجز أي موظف غبي أن ينسب الزيادة الهائلة في أمواله وممتلكاته إلى واحدة من المصادر السابقة، ثم نحن في عصر البنوك والحسابات السرية، وتهريب العملة فكيف ستستطيع لجان إحصاء الثروة صيد هذه الأسماك في أعماق هذه المحيطات.. ملهاة!! مأساة!.

وهنا يرد السؤال.. وما العمل وكيف الطريق إلى القضاء على الفساد الوظيفي والإداري؟ وللإجابة على هذا السؤال لابد من اتباع الخطوات الآتية:

أولاً: لابد من تعريف من هو العامل (الموظف) وما الحكومة وما دورها الحقيقي في المجتمع وهنا يجب أن نعلم أن الحكومة مهمتها تنفيذية فقط وهي وكيلة عن الشعب والشعب هو الذي وكلها وليس الله سبحانه وتعالى فالله لم يوكل أحداً من عباده على أحد حتى رسوله قال الله له: {وما أرسلناك عليهم وكيلاً} وما دامت هي وكيلة عن الشعب فلا يجوز لها التصرف في ماله إذا إلا بإذنه، بل لا يجوز لها أي تصرف مطلقاً إلا بإذن هذا الموكل، ومعنى هذا أنها مسؤولة أمام الشعب، وليس الشعب مسؤولاً أمامها ومسؤوليتها هذه في المهام التي أنيطت بها ومنها الأمن والدفاع والعدل (أخذ الحق من الظالم للمظلوم) والرعاية (كفالة المحتاجين والفقراء..) والتنمية أصبحت مهمة أساسية من مهمات الحكومة الحديثة والحكومة بجميع موظفيها مسؤولة عن كل هذه المهمات.

ثانياً: لابد وأن يكون للشعب الصورة الصحيحة التي يستطيع بها أن يراقب الحكومة وأن يحاسب أفرادها، وأن يقاضيهم إذا كانت له خصومة مع أحدهم وأدنى هذه الصور هو حرية الرأي والتمكن من رفع قرار الاتهام وإذا كنا نقول بأن أمريكا بها فساد في القمة وأن نيكسون هو بطل فضيحة ووترجيت فيجب أن لا ننسى أيضاً أن الذي اكتشف هذه الفضيحة صحفي وأن القانون قد حماه حتى استطاع أن يطيح برئيس الدولة.

ثالثاً: من الذي سيحكم بين المدعي والمدعى عليه، فإذا ادعت الحكومة على فرد ما بأنه أساء أو سرق أو شهر أو سب وإذا ادعى فرد من الشعب أن أحد أفراد الحكومة أساء أو تعدى أو ظلم فمن الذي سيحكم؟ وهنا لابد من العلم أن السلطة الثالثة في الدولة ونعني بها السلطة القضائية يجب تحريرها من سلطة الحكومة لأنها قاضية عليها وليست تابعة لها، فسلطة القضاء يجب أن تكون السلطة العليا في الدولة ولذلك فالمكان الصحيح للتقاضي والتحقيق في الفساد هو القضاء وليس هو اللجان التي تشكلها الحكومة لتحاكم نفسها!!.

رابعاً: إذا تحققت الأمور السابقة فعند ذلك يجب وضع قانون واضح ليحاسب الناس على أساسه وفي ضوئه حتى نستطيع الحكم والتفريق بين ما هو فساد وما هو غير ذلك، إذ كثيراً ما يحاسب الموظفون على التوافه من التصرفات، وتترك العظائم أننا نختلف كثيراً في مفهوم الفساد ولذلك لا بد من وضع مفاهيم محددة حتى يستطيع الناس التفريق بين الممنوع والمشروع.

خامساً: لابد من التركيز على أن الأعمال والوظائف الحكومية كبيرة كانت أو صغيرة إنما هي تكليف وأمانة ومسؤولية لا تشريف وغنيمة ومحسوبية ولابد من تطبيق ذلك ويحصل هذا إذا أبعدنا الحريصين على المناصب الحكومية وكلفنا بها المخلصين الذين لا يحرصون عليها ولا يسعون لها ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [إنا لا نولي هذا الأمر رجلاً طلبه ولا أحداً حرص عليه]، ثم يجب أيضاً جعل الراتب الحكومي راتباً للكفالة فقط حتى يزهد الناس في الوظيفة الحكومية وأن نقرب بين الرواتب العليا والدنيا ونلغي الفروق الشاسعة بينهما وتبقى الفروق لطبيعة العمل فقط وما يتطلبه من جهد وأدوات وما فيه من أخطار.

سادساً: لابد من توجه الأمة حكومة وشعباً إلى العناية بالتربية الخلقية وهذا يعني أن نوجه اهتماماً إلى الأسرة والمدرسة لغرس المبادئ الفاضلة وتعليم الأمانة والصدق والعطف على الآخرين ومواساة المحتاجين وكذلك لننفر من الغش والكذب والظلم.. باختصار نحن في حاجة إلى ثورة خلقية وخاصة في ميدان الأسرة والمدرسة، فالموظف الغاش المختلس لا شك أنه كان ابناً عاقاً وتلميذاً غشاشاً كذاباً لم يجد التربية الصحيحة في هذه المحاضر.

سابعاً: لابد من وضع أهداف سامية تسير الأمة إليها كالعز والسيادة وتحقيق كلمة الله في الأرض، وإيجاد الفرد الصالح، وأما أن تكون أهداف الدولة لا تتعدى الرفاه والدنيا والوناسة، فكيف نعيب على الناس بعد ذلك إذا حصلوا على هذه الغايات بأي طريق؟!

هذه قواعد أساسية لابد وأن يضعها المسؤولون الذين يريدون حقاً القضاء على الفساد في أجهزة الدولة وإلا فلا نعجب إذا انتهت هذه الإجراءات التي تجري لمحاسبة الفساد في دولنا العربية والإسلامية إلى فراغ.

الجانب الخلقي في الأزمة الاقتصادية

يشهد العالم في العصر الراهن أزمة عنيفة في قضاياه الاقتصادية وتبدو ملامح هذه الأزمة في الصراع حول الطاقة، والأسواق ومشاكل التضخم والبطالة، وقد فجرت هذه الأزمة في كل هذه النواحي الصراع بين ما يسمى بالشمال والجنوب أي الدول الغنية والدول الفقيرة، وبين الدول الغنية بعضها مع بعض وكذلك بين الدول المنتجة للبترول والتي تكاد أن تفقد وحدتها في هذا الصراع الرهيب نحو البقاء في عالم متقاتل متصارع.

وهذه الأزمة العالمية تلفنا من كل صوب لأننا جزء من هذا العالم نتأثر بما حدث فيه، والفرد العادي في أي مجتمع يناله نصيب من هذه الأزمات التي تجتاح العالم، فالمسكن والطعام والمركب والكساء كل ذلك يرتبط بالطاقة والصناعة والتجارة الخارجية، والتضخيم والبطالة، ولذلك فليس هناك من إنسان بمنأى عن هذه الأزمة.

وبالرغم من الاجتماعات المستمرة والمؤتمرات والصراعات فإن الأزمة تزداد تفاقماً عاماً بعد عام ويبدو أن استمر الحال على ما هو عليه أن

يصفي الناس بعضهم بعضاً في صراع رهيب على البقاء قبل نهاية هذا القرن.

وقد يظن بعض الناس أن هذه الأزمة راجعة فقط إلى قلة الإمكانيات وازدياد السكان ولذلك ينصرف النظر إلى توسيع دائرة هذه الإمكانيات ومحاولة التقليل من الانفجار السكاني، ولكن ثمة جوانب لهذه الأزمة لم تراع حق رعايتها ولم يبحث عن علاج حقيقي لها، وهذه الأزمة هي الجوانب الخلقية.

والحق أن معظم مشكلاتنا الاقتصادية هي مشكلات خلقية قبل أن تكون ندرة في الحاجات وزيادة في السكان، وهذه بعض الجوانب الخلقية التي أهملنا علاجها وتسبب وما زالت تتسبب في إيلام العالم وكثرة مشاكله:

أولاً: الإسراف والبذخ والترف، هذه الأمراض الثلاثة وهي من أخلاق الجاهليات القديمة وهي سمة مميزة لجاهلية هذا القرن، وهذه الأخلاق التي أصبحت سمة عامة للمترفين من أغنياء هذا العالم والتي تهدر - ولا نبالغ أكثر من ربع اقتصاد العالم فالرياش الفاخرة، وأدوات الزينة التي تكلف الملايين، وولائم الشهرة وأفراح الشهرة وحفلاتها التي تكلف أضعاف ذلك والإسراف في الطاقة والمياه وباختصار (عدم صون النعمة) الذي أصبح خلقاً مميزاً للإنسان المادي المحب لنفسه المترف هو من أكبر عوامل الأزمة الاقتصادية. وإذا راجع كل منا نفسه فإنه سيجد أن ما لا ينتفع به من طعام وشراب وماء وكهرباء وحفلات فاخرة من الممكن أن تعيش عليه أسرة بكاملها، ولذلك فالفرد العصري الجاهل بوجه عام فرد غير اقتصادي وقد اعتنى الإسلام بتربية الإنسان الاقتصادي الذي يقدر النعمة فنهى عن الترف والبذخ وجعل الإسراف حتى في ماء الوضوء -وهو عبادة- حرام وذلك ليكون غيره من باب الأولى والأحرى وجعل الإسلام الفرد عابداً لله باقتصاده في مأكله ومشربه وحياته كلها، قال تعالى واصفاً عباده: {والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً}.

ثانياً: الجشع والطمع وحب الذات والتكالب على الحطام، وهذه كلها أصبحت أيضاً صفات أساسية لإنسان العصر المادي نتاج الحضارة الأوروبية الخبيثة، وهذا الجشع والطمع لا يقف عند حد فالذين يكسبون الملايين من الأموال كل يوم ومع ذلك يناورون ويغشون ويحتكرون ويغالون ليكسبوا مزيداً من الملايين هؤلاء أناس بلا أخلاق فزيادة المال بالنسبة لهؤلاء لا يعني مطلقاً إلا إشباع صفة الطمع والجشع في الإنسان وذلك أن المال في ذاته وسيلة إلى المنافع وليس منفعة بذاته فأنت لا تلبس الدنانير إذا عريت، ولا تأكلها إذا جعت، ولا تقيك حر الشمس وبرد الشتاء ولكنها وسيلة إلى ذلك والزيادة المطلقة في هذه الوسائل ليس له ثمرة فعلية مطلقاً فيستوي في النهاية من يملك المليون ومن يملك مائة المليون لأن حاجات الإنسان محدودة في الطعام والشراب والمسكن ومهما أوتي من الأموال الإضافية فإنها لا توجد له حاجات وطاقات فوق طاقات الإنسان وإنما تنحرف الفطرة فيكون الطعام تأنقاً وبذخاً وإسرافاً، والزواج إفساداً وعبثاً، والسكن شهرة وبذخاً وتعطيلاً لغرف وقصور ورياش بلا حاجة، وهكذا فالتسابق نحو المال إنما هو تسابق لإشباع الطمع والجشع وهي

صفات دميمة أو تسابق لإشباع انحراف الفطرة وانحـراف الفطـرة مـدمر للأمم والشعوب، كما قال تعالى: {وإذا أردنا أن نهلك قريـة أمرنـا مترفيهـا ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً}.

وذلـك أن انحـراف الفطـرة يـؤدي إلى إهـدار الإمكانيـات وإيجـاد الصـراع والعـداوة والبغضـاء فـأنت لا تكـره غنيـاً يأكـل الضـروري ويشـرب ويلبس ويسكن للحاجة إلى ذلك ولكنك تحسـده أو تحتقـره وتزدريـه إذا رأيت أنـه يتلف الطعام في موائد لا ينتفع بها، ولباس للشهرة، وسكن يتحول الـذهب فيه إلى صنابير في دورات المياه، ومن هنا يتولد الحقد والحسد ثم تنفجـر هذه الأحقاد في ثورات مدمرة لا تبقي ولا تذر.

ثالثاً: انعدام الشعـور بـالأخوة وحاجـة الفقـير، وهـذه ثمـرة ثالثـة من ثمـار الإسراف والبذخ والطمع والجشـع فالمسـرف الطمـاع الجشـع لا يمكن أن يشعر بحاجة الفقير والمسـكين وهـو في سـبيل جشـعه لا يمـانع أن يـزداد ماله من قوت المساكن وعرقهم وسـعيهم وكـدهم، وكمثـال مباشـر لهـذه الأخلاق الخبيثـة الـتي طغت على مجتمعنـا فصـاحب العمـل الـذي يوظـف عمـالاً هنـا ويكسـب من وراء عملهم الآلاف والملايين لا يرضـى أن يسـكن هؤلاء العمال في عماراته السكنية بنصف أجورهم، بل يحتاج العامل الفني (الذي يتقاضى مـا بين 90-150 دينـار)، إلى مائـة أخـر ليسـكن في سـكن مناسـب مـع العلم أن السـكن على أكـبر تقـدير هـو ثلث حاجـة الإنسـان واقتصادياً يجب أن يكون ربع دخل الإنسان وذلـك أن الفـرد العـادي يحتـاج ليعيش إلى سكن وطعام وكساء ودواء وتعليم وادخار، فـإذا اسـتغرق أجـر السكن راتب العامل كله، فماذا يصنع في ضروراته الأخرى وهـؤلاء إمـا أن يتجهوا إلى السرقة والغش، وإما إلى الثورة والتـدمير وكلا هـذين الأمـرين مدمر للمجتمعات.

* والعجيب أن الجشـع والطمـع حمـل الأغنيـاء إلى البنـاء الفخم المـترف وتركوا البناء التجاري المتوسط للهروب من السكان الفقراء والمتوسطين وإسـكان الأغنيـاء، وكـل هـذه الأمـوال الفائضـة الـتي توضـع في (الرخـام والمزايكو والمطاط، والموسيقى الموزعة على الشـقق) تـؤدي إلى زيـادة الإنفاق فيمـا لا يفيـد أصـلاً وإن كـان الأغنيـاء يظنـون أنهـا تزيـد الإيجـارات وبالتـالي يـزداد دخلهم، وهـذا الخلـق الثـالث الـرديء أعـني عـدم الشـعور بحاجات الفقراء ومحدودي الدخل سيؤدي حتماً إلى الدمار والخـراب، فـإن أقل ثمرات هـذا الخلـق هـو الحقـد والحسـد والغش والسـرقة واسـتعجال عذاب الرب ونقمته وهذا ما أصبحنا نسمعه في كل مكان.

* هذه في الحقيقـة جولـة سـريعة في الجـانب الخلقي الـذي أهملنـا بحثـه للخروج من مشاكلنا الاقتصادية وإن كنا قد ذكرنـا ثلاثـة أخلاق فقـط، فإنـه ينـدرج تحت هـذا آلاف من السـلوك السـيء الـذي رمتنـا بـه الحضـارة الأوروبية، فالملايين من الدنانير التي تنفـق على (المـودات) والمجـوهرات والتحف الفارغة، وزينة النساء والأضياع التافهة، والتدخين، كـل هـذا يعجـل بدمار العالم ونهايته والعلاج من هذا الـدمار قبـل أن ينهي وجودنـا هـو أننـا نستضرع المسؤولين أن ينظروا إلى الجـوانب الخلقيـة وهم يحـاولون حـل المشاكل الاقتصادية والأخلاق، وإن كـان معظمهـا ذاتيـاً ولا يفـرض بقـانون

فـإن هنـاك جـوانب من الأخلاق من الممكن أن يتـدخل القـانون لفرضـها، وكذلك يجب أن نعـالج المشـاكل الاقتصـادية بنظـرة شـمولية يـراعي حـق الجميع في الحياة الطيبة لا حق الأغنياء فقـط في الكسـب وزيـادة رؤوس أموالهم بأي طريق ولو كان بالامتياز على غيرهم والنهب والسرقة.

التنفيس السياسي

* يُقال في اللغة نفس ينفس تنفيساً ونفساً أي وسع وأفسح وأطـال، ومن هذا المعنى قول النبي صلى الله عليـه وسـلم [من نفس عن مـؤمن كربـة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة] أي وسع مـؤمن على أخيه وأعانه في مصيبة.

والتنفيس يكـون دائمـاً في أوقـات الأزمـات والمحن وكـل مـأزوم وكـروب ومضيق عليه يحتاج إلى ترسيع وتنفيس وإلا هلـك وأهلـك فللإنسـان طاقـة يقف عنـدها، وكـذلك للمجتمعـات والجماعـات طاقـات ووسـع واحتمـال لا تتعداه وإذا زاد عن حده أدى إلى الانفجار والثورة.

وهذا المعنى النفسي معلوم جيداً في السياسة ولذلك يعمد محترفوهـا في أوقات الأزمات والمحن النفسية إلى إفساح المجال بمقدار معين للإعراب عن الضيق والتنفيس عن النفس فإذا حصل الترويح والتنفيس عاد الضغط والإكراه حتى يبلغ الاحتمال مداه ثم أعيـدت عمليـة التنفيس، وهكـذا حـتى يتضح الأمر ويصل إلى مداه، تماماً كما لجأ مصـمموا القـدور البخاريـة إلى إيجاد غطاء التنفيس عن القدر والذي يسمح بمرور الكميـات الإضـافية من البخار المضغوط ويبقى الضغط داخل القدر عنـد مـدى معين وبهـذا ينضـج الطعام تحت الضغط العالي ولا ينفجر القدر.

* ومنذ أن حـاول الاسـتعمار وعملاؤه زرع إسـرائيل في جسـم هـذه الأمـة وهم يخـدرون الجسـم إلى الحـد الـذي لا يحس بالجراحـة وينشـطونه إلى الحد الذي لا يموت مع هذه الزراعة، أو بالأحرى هم ينضجون هـذا الطعـام (الطبخة) العسيرة جـداً والقاسـية جـداً على الاسـتواء بزيـادة الضـغط في القـدور وبالسـماح بـإخراج الكميـات الزائـدة من البخـار، وهكـذا لا تـزال عظامنا تحت الضغط والنيران حتى نقر بوجود إسرائيل وأنها حقيقة واقعـة وتستوي الطبخة جيداً ويعيش العربي مع الإسرائيلي.

* هذه مقدمة مطولة جداً لموضوعنا ضربنا له هذه الأمثلة الحسـية لنقربـه من الذهن وذلك أن كثيرين منا يخلطون بين النقد وتصـحيح مسـار الحكم، وتسـديد الحـاكم، وبين مـا يجـري على السـاحة العربيـة من "التنفيس السياسي" الذي لا يراد به شيئاً مما سبق أصلاً وإنما يراد به فقط التخفيف عن صدور الناس بالقدر الذي يـؤهلهم إلى السـير في طريـق الحـاكم إلى منتهاه دون أن تتقطع قلوبهم أو ينفجروا انفجاراً مدمراً.

وقد أخذ هذا "التنفيس" في بلادنا العربية صوراً في غايـة الغرابـة والعجب فأول صور هذا التنفيس هو "النكتة السياسية" وهي تأليفة محبوكـة تصـور الواقع السياسي الخاطئ في أسلوب هزلي ضاحك ومع القهقهة والضـحك

من القلب الذي ينفجر بعد هذه النكتة يشعر القائل والسـامع أنـه نفث عن صدره وأخرج البخار الزائـد الـذي لـو بقي لـدمر حياتـه ودفعـه إلى الثـورة والعنف.

ويشبه هذا الأسلوب من أساليب التنفيس "الكاريكاتير" السياسي فهـو في حقيقته رسم مضحك يصور الموقف السياسي الخـاطئ ويـدفعنا أيضـاً إلى الضحك والقهقهة وبالتالي الراحة والرضـا وبـذلك نكـون مـؤهلين غـداً إلى جرعة جديدة من الألم فجرعة جديدة من الضحك وهكذا.. ويرقى عن هـذا درجة الكتابة السياسية الساخرة، وتكـاد تكـون جميـع الكتابـات السياسـية العربية التي لا تنهج نهج الحاكم على هذا النحو وذلك أن المعارضة بالكلمة الجـادة خطـرة جـداً في مجتمعاتنـا وتـؤدي إلى مـا تـؤدي إليـه من سـجن وحرمان وتشرد، وأما إذا خـرجت هـذه الكتابـات في أسـلوب هـازل فإنهـا تصبح لدى الحكام نوعاً من التنفيس والتفريج عن قلوب المجروحين، وأمـا المسرحيات والتمثيليات السياسية فهي جميعـاً في بلادنـا العربيـة من أهم أساليب التنفيس والترويح عن أمة وشعب تقطع أوصـاله بالسـكاكين وهـو يستسـلم السـاعات الطويلـة لضـحك جنـوني على سياسـات الحكـام واعوجاجهم وهي تفيـد أنهـا تعطي المشـاهدين جرعـة طويلـة من الراحـة والضـحك والاسـترخاء "والانشـكاح" (حسـب تعبـير رواد المسـرح) وبـذلك يكونون مهيأين لجرعات جديـدة من الألم والخنـوع والـذل، وهكـذا دواليـك والمتدينون منا يمارسون لوناً آخر من ألوان التنفيس والـترويح عن النفس وهذا يتمثل في خطب الجمعـة الناريـة حيث يصـعد الخطيب المنـبر منتفخ الأوداج محمر العينين فيلقي الناس بالحمم والزبد سـاباً اليهـود وأعـوانهم، والمستعمرين وعملاءهم، منادياً بالجهـاد المقـدس لطـردهم وتطهـير البلاد والعبـاد منهم وتمتلئ قلـوب النـاس ونفوسـهم بالحمـاس الفـارغ وتنتهي الخطبـة والصـلاة ويشـعر الخطيب أنـه قـد أدى واجبـه بـالقول ويشـعر المصلون أنهم قد أدوا واجبهم بالسـماع ويشـعر الجميـع براحـة واسـترخاء بعد قمة التوتر والحماس، وهكذا تتكرر الأدوار كل أسـبوع فيعتـاد المصـلي أن يمتلي ويفرغ ويمتلئ ويفرغ ثم يتبلد الذهن والشـعور فلا يجـد المتـدين منا إزاء كل خطب ومكروه إلا أن يسترجع ويحوقل (اسـترجع: أي قـال إن الله وإنا إليه راجعون وحوقل: أي قـال لا حـول ولا قـوة إلا باللـه)، ثم بعـد ذلك يظن أنه قد أدى دوره وقام بواجبه، وهذا لون آخر من ألوان التنفيس.

* كل هذه الألوان السابقة لا تشكل في مجموعها نقداً حقيقياً ولا معارضـة ولا تسديداً للحاكم ونصحاً له كما أراد الله سبحانه وتعالى، لأسـباب يطـول شرحها، ومع أن هـذه الألـوان المختلفـة من ألـوان التنفيس الـتي تمـارس على الساحة العربية والإسلامية لا تشـكل في مجموعهـا ضـيقاً للحكـام ولا إزعاجاً لهم، بل على العكس تساعد في تهيئة المناخ للسياسات المغلوطة أو كما قلنا سـابقاً تنعش الجسـم المخـدر الـذي تـزرع إسـرائيل فيـه ببطء شديد، أو قل تساعد في إخراج كمية من البخـار المضـغوط في قـدر يغلي بطعـام غليـظ.. أقـول بـالرغم من نفـع هـذه الألـوان من ألـوان التنفيس للسياسات الخاطئة، فإنه يلجأ أحياناً إلى إلغائها وكتمهـا فكم من مسـرحية ألغيت ومن قصـيدة شـعرية صـودرت، ومن خطيب منـع من منـبره ومن محترف للتنكيت والإضحاك أودع السجن!!

ويبدو أن الحكام الذين يعمدون إلى إلغـاء هـذه الأنـواع من أنـواع التنفيس عن الناس لم يستفيدوا بحكاية شوقي الشعرية الرمزية "الأسد والضفدع" الذي يشبه فيها الحكم بالأسد والمعارضة التنفيسية بالضفادع فيقول:

قالوا:

استـوى الليث على عرشه ... فجيء بالمجلس بالضفـدع

وقيل للسلطـان هذي التي ... بالأمس أدت عالي المسمـع

تنقنق الدهـــر بلا علة ... وتدعى في المـاء ما تدعى

فانظر إليك الأمر في دينها ... ومر نعلقها في الأربـــع

فنهض الفيل وزيـر العلا ... وقال يا ذا الشرف الأرفـع

لا خير في الملك ولا عزه ... إن ضاق جاه الليث بالضفدع

فكتب الليث أمـــاناً لها ... وزاد أن جـــــاد بمستنقع

وهكذا بشفاعة الفيـل عفـا السـلطان عن الضـفادع وزادهـا مسـتنقعاً آخـر تنقنق فيه إذ ماذا ستفعل الضفادع؟! ولكن هنـاك من السـلاطين أيضـاً من يزعجها نقيق الضفادع فتبعث في آثارهم وتقتفي حركاتهم.

* المهم أرجو أن لا نخلط دائماً بين "الأمر بالمعروف الشـرعي" والتنفيس السياسي.

العرب والمستقبل البائس

عرفنا في المقال السابق أن الساسة العرب قد مارسوا ثلاث طـرق لحـل ما يسمى "بالمشـكلة الفلسـطينية" وأن هـذه الطـرق الثلاث هي: التهديـد بحرب التحرير، وممارسـة الحـرب الجزئيـة، والضـغط على أمريكـا بسـلاح البترول وغيره لتضغط على إسرائيل وقد وصـلت السياسـة العربيـة اليـوم إلى مفترق الطرق، فإما أن ينجح الطريق الثالث (طريق أمريكـا للسـلام) وإما تعود السياسة العربية مرة ثانية إلى التهديد والوعيد والحرب الجزئية.

وقد عرفنا بيقين أيضاً أن إسرائيل دولة تعمل لحساب نفسـها، وأنهـا تتخـذ قرارها في أرضها ومن رجالها ثم تضغط شرقاً وغرباً لتنفيذ قراراتها، وأنهـا ليست ذيلاً منفذاً كما يدعي المدعون، ثم هي أيضاً ليست إلهاً متصرفاً في كل شيء ومسخراً للشرق والغرب كما يتهوك المتهوكون.

واليوم لنفهم الصـورة بكـل أبعادهـا ينبغي أن نعلم أن هنـاك أطرافـاً ثلاثـة على الإجمال لا على التفصيل: الطرف الأول هم نحن، والطرف الثاني هم اليهود والطرف الثالث هو الدول الكبرى.

فأما الدول الكبرى فقد علمنا في الأسـبوع الماضـي أنهـا تريـد حلاً وسـطاً للصراع بين اليهـود والعـرب، وذلـك ليسـتمر تـدفق البـترول العـربي إليـه،

وليتخلص من ظلموا اليهود منهم قديمة من عقدة الذنب تجاههم وليحولـوا بين المسلمين وأن يتوحدوا ويكونوا قوة ثالثة في العالم.

ونخص من مواقف الـدول الكـبرى موقـف أمريكـا بالـذات، فأمريكـا الـتي تولت كبر هذه الأكذوبـة وحملت 99% من أوراق اللعبـة كمـا قيـل، تجابـه اليوم موقفاً لا تحسد عليه: فقـد صـرح الـرئيس الأمـريكي كـارتر بوجـوب إيجاد وطن للفلسطينيين، وقـد جـاوز أعظم ساسـة العـرب تفـاؤلاً إذ حـدد قرار الأمم المتحدة الصادر عام 1947 كأسـاس عـادل لقسـمة فلسـطين بين العرب واليهود، وهذه الأقوال على كل حال تصطدم وتتناقض تماماً مع ما صرح به ساسة إسرائيل الآن.

وأمـا اليهـود فقـد وصـلوا اليـوم إلى الموقـف الجلي الواضـح الـذي كـانوا يخفونه قديماً وهو أنهم يطالبون بوطنهم الأصلي الذي منحهم الله إياه في التوراة والذي حققوه قديماً من الفرات إلى النيل، وقد أخرجوا منـه ظلمـاً واليوم يحررونه من المعتدين!! ومناحيم بيغن (قاتل الأطفال والنسـاء) قـد قال ذلك للعالم بكل صراحة ووضوح، وخلف هذا الزعيم الإسرائيلي جموع الشعب اليهـودي الـذي أعطـاه ثقتـه في انتخابـات عامـة مـع إعلانـه لهـذه الأهداف والغايات في حملته الانتخابية.

وأما الدول العربية فلها موقفان: الموقف الأول موقف الساسة بوجه عـام وهم مـع إعلانهم القبـول بالحـل السـلمي الـذي ارتضـته الـدول الكـبرى ومازالت تضغط للوصول إليه إلا أنهم اليوم بين شقي الرحى الشـق الأول الشعوب العربية الـتي لا ترضـى في قـرارة نفسـها بغـير التحريـر الكامـل لأرض فلسطين من دنس اليهود بديلاً، وبين الموقف اليهودي المسـتند إلى الواقع والمتمسـك بكـل شـبر وصـل إليـه في حـرب تحطمت فيهـا الإرادة العربية أمامه، وصفق العالم فيها لجرأته وقوته وكان هذا عام 1967، وأما الموقف الثاني للدول العربية، فهو موقـف الشـعوب وهي شـعوب مغلوبـة على أمرها لا تشـارك بـأي صـورة من الصـور في صـنع القـرار السياسـي وهذه الشعوب وإن كانت لا ترضى بغير التحرير الكامل لفلسطين بـديلاً إلا أنها واقعة دائماً بين الضغط والانفجار و(الترويح أو التنفيس السياسي كمـا ذكرنا هذا في مقال سابق).

وهنا نصل إلى السؤال وما الحل، وقد وصلت جميع أطـراف المشـكلة إلى التقابل والتناقض؟ هل ستنتصر الإرادة الإسرائيلية في الاحتفـاظ بـالأرض؟ وما موقف أمريكا والساسة العرب إذن؟ هل يعني هـذا تفجـر الحـرب من جديد وإذا كان ثمَّ حـرب فعلى من سـتكون الـدائرة؟ أم ستنتصـر الإرادة الأمريكية ويرضخ اليهود ويذعنون وينسحبون من الأراضـي المحتلـة مقابـل ما يعطيهم العرب من صلح وسلام؟ وإذا تم هذا الأمر على هذا النحو، فهل يكون هذا نصـراً للعـرب أو نصـراً لإسـرائيل أو خسـارة لهمـا جميعـاً؟ ومـا موقف الشعوب العربية إذا تم السلام أو تمت الحرب؟!

* للإجابة على هذه الأسئلة نقول:

نحن الآن أمام احتمالات أهمها ما يلي:

أولاً: انتصــار الإرادة الإســرائيلية وهــذا يعــني بالضــرورة عــدم الإذعــان لمقترحات أمريكا الخاصة بالسلام، وسيجر هذا حتمـاً الساسـة العـرب إلى حـرب لم يسـتعدوا لهـا يقنيـاً، وسـيكون في هـذا إحـراج بـالغ لأمريكـا في العـالم، وقـد يضـع هـذا المنطقـة بأسـرها مـرة ثانيـة في أحضـان النفـوذ السوفييتي، ولن توافق أمريكا بالطبع على هذه الحرب إلا إذا ضمنت عـدم المساس بوصول البترول إليها، ولن يكون ذلك إلا في ظل حرب خاطفة لا يفيق العرب إلا بعد نهايتهـا، والـذين يـرون هـذا الاحتمـال قريبـاً لا يجـدون مسرحاً لهذه الحـرب إلا الأردن وجنـوب لبنـان وذلـك بهـدف إنهـاء الوجـود الفلسطيني، وأخذ أرض للمسـاومة عليهـا مسـتقبلاً وإذا قـامت مثـل هـذه الحرب فسيعود إلى العيان مأساة دير ياسين ليس في قرية واحدة فقــط، ولكن في مخيمات بأكملها وسيشترك في هذه المذبحة اليهـود والنصـارى، وبالرغم من أن هذا هو الحل الوحيد أمام الإدارة الإسرائيلية الجديدة، فـإن هذا الحل سيصطدم بالإدارة الأمريكية، ويقينا لا تستطيع إسـرائيل الـدخول في حرب إلا تحت مظلة أو سماح لدولة كبرى وليس أمام إسـرائيل اليـوم غير أمريكا، فهل ستستطيع إسرائيل إقناع أمريكا بأنهـا الحاميـة لمصـالحها في المنطقة؟ وهل ستضمن أمريكا أن لا يتفجر الوضع وتـزول الحكومـات التي سارت خلفها طيلـة هـذه السـنوات، قـد يشـجع أمريكـا على المضـي خلف الإرادة الإسرائيلية أن الشعوب العربية الموجـودة الآن هي الشـعوب الـتي رأت في اعـتزال الزعمـاء العـرب الـذين حققـوا أعظم هزيمـة في التاريخ كارثة أكبر من تلك الهزيمة، وقد يشجعها أيضاً أن هـذه الشـعوب لا وزن لها في أي معادلـة سياسـية في هـذه المنطقـة.. وهـذه حقيقـة يجب علينا الاعتراف بها وعدم إنكارهـا، على كـل حـال إذا ضـمنت أمريكـا بقـاء مصالحها في هذه المنطقة، وآمنت أنـه لليهـود القـدرة على حراسـة هـذه المصالح فستقوم الحرب حتماً وسنجد أن كلام كارتر في دفاعه عن حقوق الإنسان ما هو إلا وسيلة من وسـائل الحـرب البـاردة بين أمريكـا والاتحـاد السوفييتي، وأن الشعب الفلسطيني لا يدخل يقينـاً في حس كـارتر عنـدما يتحدث عن حقوق الإنسان، وسـيكون من السـهل على أمريكـا ابتلاع هـذه الأقـوال الكثـيرة الـتي سـقطت من فم الـرئيس الأمـريكي المفتـوح كمـا يسمونه هناك.

ثانياً: الاحتمال الثاني هو انتصـار الإدارة الأمريكيـة والضـغط على إسـرائيل للقبول بما قبل بـه الساسـة العـرب (المعتـدلون) وهـذا يعـني في النهايـة كارثة بالنسبة للشعوب العربية وكارثـة أيضـاً في نظـر الشـعب والحكومـة الإسرائيلية العربية وكارثـة أيضـاً في نظـر الشـعب والحكومـة الإسـرائيلية وتتويجــاً عظيمــاً ونصــراً مــؤزراً للسياســة الأمريكيــة، وتثبتــاً إلى حين - لأصدقائها في المنطقة العربية.

وبالرغم من أن وسائل الإعلام جميعها ستنطلق لتعلن -إذا تم هـذا- انتصـار الإرادة العربية ونجاح السياسة السلمية، وستؤلف كتيب وتدبج مقالات في فنون النضال السلمي الـذي اسـتطاع بـه العـرب أن يفـوزوا بالقضـية وأن يرجعوا الشعب الفلسطيني إلى وطنه ودياره.

أقول بالرغم من كل هذا فإنه يجب على العرب أن يسموا هذا اليوم الـذي يتم فيه هذا بيوم الذل العربي، وذلك أنه سيجسد لنا المعاني التالية:

أولاً: إننا أعطينا صك الشرعية لمن ذبحونا وشتتونا وأخرجونا من ديارنا عندما تنازلوا لنا عن شيء مما اغتصبوه. ثانياً: أن العرب ولأول مرة في تاريخهم يجعلون نصر أمريكا في الحفاظ على مصالحها نصراً لهم، وأنهم قد وكلوا غيرهم بمهمة التحرير والدفاع عنهم. وثالثاً: أن العرب وللأسف تفرق بين أفراد العصابة الواحدة، فتعادي المباشر بالقتل والسرقة فقط، وأما المخططون والمساعدون والمظاهرون لأفراد العصابة فهم يصادقونهم ويوادونهم ويتخذونهم أولياء. ورابعاً: أن العقلية العربية التي رأت في اعتزال رؤسائها وضياع الأنظمة الحاكمة كارثة أكبر من ضياع الأوطان والأموال وقتل الآلاف هذه العقلية هي هي لم تتغير.

ثالثاً: والاحتمال الثالث والأخير هي المماطلة والتسويف، ولكن ماذا سيقول الساسة العرب للشعوب التي تنتظر!! لقد أفرغت الجعبة من الوعود أو كادت، وسراب الحل السلمي قد أنهاه الزعيم الإسرائيلي بكلمات قليلة واضحة صريحة: "الإنسان لا يحتل وطنه الضفة الغربية منطقة محررة".

هذه هي الاحتمالات الثلاثة المنظورة: الحرب، الذل السلمي، التسويف. وهذه الاحتمالات الثلاثة تشكل جميعها مستقبلاً بائساً للعرب فبعضها شر من بعض وليس أمامنا إن أردنا خيراً إلا حل رابع وهذا مكان وقت تفصيله وبيانه الأسبوع الآتي إن شاء الله.

3/6/1977

الانتظار ليس صناعة

سياسية ولا عسكرية

* العالم العربي اليوم في حالة انتظار!!

وهذا الانتظار معلق باحتمالات ثلاثة -ذكرناها في الأسبوع الماضي- وهي: الحرب الخامسة التي تريد إسرائيل أن تخرج بها من أزمتها أو السلام الأمريكي، أو التسويف والتأجيل، وهذا التسويف والتأجيل في النهاية يعود إلى الاحتمالين الأولين، وإذا كان الاحتمال الأول (الحرب) يعني تغليب المصلحة الإسرائيلية والاحتمال الثاني يعني تغليب المصلحة الأمريكية، والاحتمال الثالث يعني أن الصهاينة والأمريكيين كل منهم يحتاج إلى فترة من الوقت ليقنع الآخر بوجهة نظره أو ليجيء الآخر إلى وجهة نظره، فمعنى هذا أننا لا نملك من حلول مشكلتنا شيئاً وأننا لا نصنع إلا الانتظار.

وبالطبع السلم في مصلحة أمريكا لأنه ضمان لتدفق الثروة والبترول إليها.. ولكن لماذا تختار إسرائيل الحرب؟

وإسرائيل تختار الحرب لأنه خيارها الوحيد، فالسلم تراه في غير صالحها فشعور اليهود دائماً هو شعور اللص الذي اغتصب شيئاً في غفلة من صاحبه، وضعف ومع أن صاحب الشيء يُراد منه أن يتنازل عن جزء من حقه وشهد العالم على ذلك إلا أن هذا اللص لا يمكن أن يرتاح مهما كانت

المواثيق، ولذلك تطلب إسـرائيل المسـتحيل ليكـون هنـاك سـلام حقيقي، فهي لا تطلب فقـط الحـدود المفتوحـة والتمثيـل الدبلوماسـي والتجـارة المتبادلة وإنما تريد منا أن نغير مناهج التعليم والتربية في بلادنا وهذا يعني التخلي عن تراثنـا وسـلخ جلودنـا وطمس حضـارتنا ليسـتطيع اليهـودي في زعمهم أن يعيش مع العربي، وإذا كان كارتر قد ضمن لهم ذلـك في مـدى ثمانية أعوام فهو مخطئ حقاً، فالتراث والحضارة الإسلامية باقيـة مـا بقي الجديدان والعداوة بين اليهود والعرب باقية أيضاً ما بقي الاسمان.

والانتظار الذي نصنعه نحن ليس صناعة سياسية ولا صناعة عسكرية، وإنما الانتظار يعني التعليـق والتيـئيس والتـدويخ لنرضـى بعـد ذلـك بمـا يقسـمه الأعداء لنا من خيار.

وهنا يأتي سؤال: هل عدمنا الخيار في مشكلة فلسطين؟ وهـل فقـدنا كـل أنواع المبادرات، ولم يبق في أيدينا من أوراق اللعبة شـيء (كمـا يقولـون) أم أن هناك خياراً رابعاً بأيدينا؟

فيما أظن أن جميع الاختيارات والحلول مـازالت بأيـدينا وإذا لم تكن فيجب أن تكون وهذه بعض منافذ نشير إليها إشارة فقط دون بسط وتدليل:

أولاً: في معركة (السلم) إن صح هذا التعبير فاليهود يملكون شهادة مزورة لحقهم في فلسطين وهذه الشهادة المـزورة هي حقهم التـاريخي في أنـه كان لهم دولة في يـوم مـا في فلسـطين، وحقهم الـديني الـذي تشـهد بـه التوراة أما الحق التاريخي فهو باطل لأنه ليس هناك من مكـان في الأرض إلا وقد ملك بوضع اليد مرات عديدة، وأما شهادة التوراة، فقـد كـانت يـوم قام اليهود يوماً من عمرهم بدين الله، ثم عندما تخلفـوا عنـه شـتت الـرب شـملهم وقطعهم في الأرض أممـاً، وإن كـان احتلالهم الأخـير لفلسـطين بالقوة والحرب، فإن قوانين الأمم المتحدة التي تزعم إسرائيل أنهـا إحـدى دولها لا تجيز ذلك، وباختصار إسرائيل لا أقول تمثل دور المغتصب، بل هي فعلاً اللص المحـترف الـذي يعيش على وطن مغتصـب، وفي مقابـل ذلـك هناك أهـل الـوطن مـازالوا يحملـون في جيـوبهم سـندات (التطـويب) من الحكومة العثمانية والإنجليزية والأردنية والمصرية.

هــذه المقابلــة -الســاذجة جــداً- بين حــق اليهــود في فلســطين وحــق الفلسطينيين فيها تصور إلى أي حد أننا فشلنا في إقناع ما يسـمى بـالرأي العام بلغته وقوانينه التفاهة التي يتحاكم إليها، وتصور أيضـاً إلى حـد فشـل إعلامنـا العـربي ليس فقــط في أن يقنعـوا من يمـدون إسـرائيل بالمـال والسلاح أن للعرب الحق في فلسطين بل فشل الإعلام العـربي أيضـاً في أن يخبر العالم الغربي أن هناك شـعباً حيـاً يسـكن الكـرة الأرضـية يسـمى بالشعب الفلسطيني!! وهذا يـدل على أنـه ليس صـحيحاً أن دولنـا تخـوض حرباً سلمية ضـد إسـرائيل لأنـه حـتى هـذه الحـرب الكلاميـة الإخباريـة لم تمارس إلا بشكل تافه جداً، (وأرجو أن نقـرأ شـيئاً عن دور الإعلام العـربي في أمريكا).

وهذا الذي نسمعه بين الحين والآخر من قضية كسب الرأي العام العـالمي إنما هو تافه جداً بما ينبغي أن يكون، فإذا علمنا أن جهوداً قليلة في كسـب

الرأي العام قد آتت ثمارها سريعاً وخاصة في أفريقيا علمنا إلى أي حد أننا نمارس انتظاراً مملاً تافهاً.

ثانياً: زعماء إسرائيل قد كفونا مؤونة نبش جذور القضية فقد كان الساسة العرب لا يقدمون مشكلة فلسطين للعالم إلا على أن الفلسطينيين شعباً مشرداً طرده اليهود من دياره وأنه شعب مسالم يحب الخير للناس جميعاً.. الخ هذه المقولة الهزيلة التي رددت على المسامع حتى آذتها.. وكان هؤلاء الساسة وأجهزتهم الإعلامية يأبون ويأنفون أن يقولوا إن اليهود قد جاءوا إلى فلسطين بعقلية عنصرية موغلة في القدم تزعم حقاً في فلسطين للآباء والأجداد، وكانوا يأنفون أيضاً أن يقولوا إن اليهود يحاربون في فلسطين بعقيدة دينية حتى لا يقول المتدينون منا أدخلوا الدين إلى المعركة كما أدخل أعداؤنا الدين هناك، وحيث إن الدين يؤذي مسامع هؤلاء السادة فقد أبعدوه عن المعركة.. ومع أبعاده أيضاً في معركة سنة 1967 قام بوق من أبواق الباطل ليبرر الهزيمة فقال لقد هزمنا لأننا كنا نقف على أرضية هشة وهذه الأرضية الهشة هي الأرضية الدينية!! المهم نأسف لهذا الاستطراد ونعود إلى الموضوع فنقول: إذا كانت إسرائيل قد أرجعت القضية إلى جذورها وأعلنت بكل صلافة أن الضفة هي (أرض يهودا والسامرة) وهي أرض محررة وأننا عدنا إلى وطننا بعد إبعاد طويل، فلماذا نستحي اليوم أن نقول إن إسرائيل سرطان يجب أن يزول، وأنه لا سلم مع هذا السرطان؟ لماذا لا نعيد ترتيب أوراق القضية ونعلن على الملأ من جديد أنه يجب على اليهود أن يعودوا من حيث أتوا، ولماذا لا نطلق اسار العقيدة الدينية الإسلامية الصحيحة لنقضي على العقيدة الدينية اليهودية المفتراة. ولماذا لا نبني الجيش المسلم ليهزم الجيش اليهودي، لماذا لا نرجع أسباب الصراع إلى أصولها وجذورها، وقد كشف عدونا عن وجهة الصريح، ثم السلم الذي تطلبه إسرائيل هو المستحيل بعينه لأنها تطلب منا أن نغير عقولنا ومناهج التعليم في بلادنا وأن نغير تربيتنا ليستطيع اليهودي أن يعيش بسلام مع العربي!! باختصار اليهود يريدون منا أن نغير طبائعنا ونسلخ جلودنا ونتخلص من تاريخنا وتراثنا ليكون السلام معهم حقيقياً، ولم يسموا كل ما تعهد به الساسة العرب إلا أنه هدنة وليس سلاماً، فهل نستطيع أن نفعل كل ذلك بأنفسنا ليرضى اليهود عنا؟ ولماذا؟ وفي مقابل أي شيء سنفعل ذلك!! باختصار إسرائيل تطلب المستحيل وإذا وصل عدوك إلى أن يطلب منك أن تنسلخ من دينك وتغير تاريخك وترفض تراثك ليتنازل لك عن قطعة أرض من أرضك لتعيش عليها ثم نرضى بذلك.. فبطن الأرض خير لك من ظهرها، ثم إذا وصل اليهود إلى هذا المستوى من طلب الباطل فلماذا لا نقولها الآن للعالم صريحة إسرائيل بلد صنعه الباطل ويجب أن يزول.

رابعاً: إسرائيل كيان هش لأنه قام على باطل وزور واغتصاب، وهو كيان هش أيضاً لأنه كيان مفتعل معتسف فقد أخرج أفراد هذا الكيان من أوطانهم التي عاشوا فيها اعتسافاً وزوراً وبالحيلة والمكر فقد وعدتهم الصهيونية بعقيدة دينية هم أكفر الناس بها وأشدهم عداوة لها، وبرابطة قومية عرقية مزورة هم لم يراعوا حقها فالتفريق بين اليهودي الشرقي والغربي قائم وبجنة موعودة على الأرض ملؤها السمن والعسل والسلام،

فكانت جحيماً منتظراً ملؤها المشاكل والهموم والخوف، والـذين يعيشـون في إسرائيل الآن فقط يعيشون بالوهم والأمل، الوهم الكاذب في السـلام والأمل البعيد في السمن والعسل، ومثـل هـذا الكيـان الهش لا يـدوم لأنـه يخالف سنن الله وطبائع الأشياء باختصار إسرائيل وهم صنعناه بأيدينا ويوم نملك المبادرة لاستئصال هذا السرطان فلن يكلفنا ذلك غير إعـداد حقيقي للرجال وترتيب آخر لأوراق القضية وهزة صغيرة لهذا الكيان المفتعل، كما حـدث في رمضـان عـام 1393هـ، فهـل نسـحب الأوراق من يـد أمريكـا وإسرائيل ويكون الاختيار لنا والانتظار لهم؟

10/6/1977

على من ستطبقون حكم المرتد؟

تعـاظمت الـدعوة في هـذه الأيـام للعـودة إلى ظلال الشـريعة الإسـلامية والاحتكام إلى أحكام القرآن والسنة، وبينما كـانت هـذه الـدعوة محصـورة في الجماعـات الإسـلامية وبعض علمـاء الإسـلام انطلقت أخـيراً من خلال الأجهزة الرسمية، والحكومات القائمـة، وبصـرف النظـر عن أسـباب هـذه الدعوة وخلفياتها فـإن الرجـوع حـق والاحتكـام إلى شـريعة القـرآن واجب ونبذ هذه الشريعة كفر وردة.

والمشكلة الحقيقية التي يجابهها الداعون إلى تطبيق أحكـام الشـريعة هي نقطة البدء، من أين نبدأ بتطـبيق الشـريعة؟ ولسـت أدري مـا السـبب في بروز قانون العقوبات في الشريعة في البداية؟ ثم ما السبب أيضـاً في أن تكـون معاقبـة الخصـوم والمخـالفين هي البنـد الأول في تطـبيق الشـريعة الإسـلامية؟ هـل لأن الـداعين إلى الإسـلام لا يـرون أن هنـاك أهم وأولى بـالتطبيق من الشـريعة الإسـلامية غـير العقوبـات؟ أم لأن المخـالفين في الرأي والعقيدة هم أولى الناس بتطبيق الشريعة عليهم؟

* وقد قلنا بأن مشكلة البدء هي أعظم المشاكل وذلك لأننا ابتعـدنا ابتعـاداً عظيماً عن الشريعة الإسلامية وقـد أصـبح هـذا الابتعـاد في كـل شـأن من شـؤوننا تقريبـاً، فنظم الحكم والسياسـة والاقتصـاد والاجتمـاع والتعليم والثقافة قد اصطبغت جميعها بصبغة بعيدة عن الإسـلام ممـا لا يخفى على مطلع عليم بالإسلام الحق الذي أنزله الله سبحانه وتعالى، ولا يقول عاقـل أيضاً إننا نستطيع أن نعود في كل هذه الشؤون إلى شـريعة الإسـلام بيـوم واحد، ومعنى هذا أننا سنقدم ونؤخر في العمل بالشريعة الإسلامية إن كنـا ننوي حقاً العودة إلى رحابها، وإذا كنا سنقدم ونؤخر فـإن العقـل والمنطـق والحكمة والسياسة الشرعية كل ذلك يوجب البدء بالأهم، وإذا كنا سـنبحث عن الأهم في تطيق الشريعة، فـإن إقـرار الوحدانيـة للـه سـبحانه وتعـالى والدعوة إلى ذلك هو أهم المهمات وأولى الأولويات.

وإقرار التوحيد يعني الإعلان بأن الدولة حكومة وشـعباً إنمـا تقـوم للإسـلام وبالإسلام وهذا يعـني أن الجميـع في خدمـة الإسـلام، وأن سياسـة الدولـة العليا هي في توحيد اللـه والـدعوة إليـه ونبـذ كـل مـا يخـالف ذلـك، وممـا يخالف ذلك التسبيح بحمد الملوك والرؤساء صباح مساء، والاحتكام في أي

خلاف لغير القرآن والسنة.. إن إعلاناً كهذا يعني بداية للطريق الصحيح في العودة إلى الإسلام يأتي بعد ذلك إقـرار هـذا المبـدأ بالـدعوة إليـه بحكمـة وعلى بصـيرة وعلى مكث أيضـاً ونعـني بـالمكث الـتريث والعمـل الـدائب المتسم بالصبر والأناة لتربية النـاس على الإسـلام لا لحملهم عليـه بالعصا والإرهاب.. نقول إذا كان الداعون إلى تحكيم الشريعة يريدون الخـير حقـاً لأنفسهم وللناس فعليهم دخول البيوت من أبوابها والبيت الإسلامي لا يبـدأ بتقطيع الرؤوس باسم الإسلام وإنما يبدأ بالدعوة الحكيمة إلى الله سبحانه وتعالى ومن الخير لأمـة الإسـلام أن يبـدأ الحـاكم فيهـا باتبـاع الحكمـة في الدعوة إلى الله، ومن الحكمة إفساح المجال لصـوت الحـق أن يصـل إلى الناس، وستكون أكبر خدمة للمسلمين في العصر الراهن من حكـامهم أن يرفعوا أيديهم عن الدعاة الحقيقـيين إلى اللـه سـبحانه وتعـالى، ويفسـحوا صدورهم لسماع كلمة اللـه جـل وعلا، ويسـمحوا بـأن تعـاد صـياغة منـاهج التعليم والتربية وفق الإسلام، وأن يعملوا على تنقية مجتمعاتنا من الفسـاد بالهـدوء والحكمـة، وأن ينصـفوا الشـعوب من أنفسـهم فيعيشـوا في مستواهم ويسـمعوا لشـكاتهم وأن يتصـفوا بالرحمـة والعـدل، وأن يعملـوا على مداواة جراح الأمة المثخنة بـالجراح والآلام، وأن يعملـوا على إطعـام الجياع، وإكساء العراة، ومسح الدموع من أعين الثكالى والمحرومين.

على حكامنا إن أرادوا حقاً الدعوة إلى الله والاحتكـام إلى شـريعة القـرآن أن يقربوا أهل الأخلاق والدين والفضيلة والعفاف، وأن يبعدوا عن بطـانتهم أهل النفاق والكذب والغش والسرقة، وهذه بدايات متواضعة جداً للـدخول في البيت الإسلامي الطيب الطاهر.

وأما البدء بتطـبيق حكم المرتـد، فإنـه يحمـل آفـات عظيمـة على الإسـلام والمسلمين؟ فعلى من ستطبقون حكم المرتد في وقتنا هذا؟

هل ستطبقونه على المسلم المتـأول لكلام اللـه وكلام رسـوله؟ ومـا أكـثر التأويل في زماننـا؟ ولعلـه لا يخلـوا مـذاهب عقائـدي أو بدعـة ظهـرت في إسلام إلا ولها الآن أنصار ومشايعون، ومن فضول القول أن نقـول إن كـل أصحاب غلة وفرقة يرون مخالفيهم مرتـدين خـارجين عن الإسـلام أو على الأقل يلزمونهم الكفر، أم هل ستطبقونه على الذين تركوا الصلاة والصـوم متعمدين مجاهرين؟ وما هو موقفكم غداً من العصاة المصرّين المجـاهرين وكما هو معلوم من الإسلام أن من جحد شيئاً معلوماً من الدين بالضـرورة فهو كافر، فالحجـاب الشـرعي للمـرأة من المعلـوم من الـدين بالضـرورة فهل ستطبقون حكم المرتد على كـل امـرأة لا تلـتزم بالحجـاب الشـرعي وعلى كل كاتب يقول بأن الإسلام رجعية والحجـاب رجعيـة والـزواج بـأربع رجعية؟.

وما موقفكم غداً ممن يرفض الحكم بالشريعة والله يقـول {ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئـك هم الكـافرون} ويقـول {فلا وربـك لا يؤمنـون حـتى يحكمـوك في شـجر بينهم ثم لا يجـدوا في أنفسـهم حرجـاً ممـا قضـيت ويسلموا تسـليماً} فمـا مـوقفكم غـداً ممن يحكم بغـير شـريعة القـرآن أو يتحاكم إلى غير حكم الله هل ستطبقون عليه أيضاً حكم المرتد؟!.

يبدو بعد هذا الإيضاح أن تطبيق حكم المرتد سابق لأوانه جداً، فالمجتمع بكل طوائفه يعيش في ردة حقيقية إلا من عصم الله وهؤلاء المعصومون قلة –ولا نكابر- والإسلام الحق يحتاج منا إلى جهود طويلة مخلصة مثابرة والعبء الأكبر من ذلك يقع على الحكام وهم مسؤولون بين يدي الله غداً عن هذه الأمانة ودعواتنا لهم أن يوفق الله أهل الإخلاص والتقوى منهم إلى سلوك سبيله، وأن يلهم الجميع العودة الحقة إلى شريعته.

5 أغسطس 1977

الدوَّامة

أصدق وصف من الممكن أن نصف به حالة الأمة الإسلامية اليوم هو أنها تعيش في الدوامة، فالتمزق السياسي، والنزاعات الإقليمية، والانفصال النفسي، وضياع الأهداف وابتعاد الآمال بالعزة والسيادة، واللهث وراء الأحداث المتناقضة المتشابكة وعدم فهم ما يدور.. كل هذه ملامح واضحة للدوامة التي تلف العالم الإسلامي.

وليس العالم الإسلامي وحده في هذه الدوامة، بل إن شعوب الأرض جميعاً قد أصبحت أجزاء تائهة وسط هذه الآلة الرهيبة التي تطحن الجميع بلا رحمة، فالأزمات النفسية، والصراعات الدولية، والتسابق الجنوني نحو مصادر الطاقة والمواد الخام، والأسواق والإنتاج الصناعي المجنون لكل شيء وبلا حساب، والركض اللاهث نحو أسلحة الدمار والفناء.. كل هذا وغيره جعل إنسان العصر هو إنسان الصراع أو الإنسان التائه، وجعل السمة الأساسية لعصرنا الرهيب هو "الصراع".

ولو خرجنا قليلاً بأنفسنا من الدوامة لنلقي نظرة عامة من خارجها لوجدنا أن البداية لهذه الدوامة المعقدة هو انتهاء الحرب العالمية الثانية وسقوط انجلترا وفرنسا اللتين خرجتا منتصرتين ظاهراً ولكن منهزمتين حقيقة واللتين أفسحتا المجال مرغمتين لدولتين أخريين هما أمريكا وروسيا، وببروز هاتين الدولتين منذ ذلك الوقت وإلى اليوم نشأ استعمار جديد حل مكان الاستعمار الإنجليزي والفرنسي التقليدي القديم.. وبحلول الاستعمار الجديد تغيرت كافة الأساليب الاستعمارية القديمة التي كانت تعتمد على الجيوش الغازية والمعاهدات التي تخول للمستعمر الاستئثار بالسياسة الخارجية والأمن الداخلي والحماية الخارجية إلى استعمار جديد يعتمد على المعاهدات الاقتصادية، والألاعيب السياسية والعملاء المدربين.

وإذا كان الاستعمار القديم قد خلق أبطالاً شجعاناً سواء من الجيوش الاستعمارية أو من الشعوب التي حارب أبطالها دفاعاً عن أرضها وحماها، فإن البطولة الجديدة التي خلقها الاستعمار الجديد ليست هي بطولة الحروب، وركوب الأخطار، وإنما هي اليوم اتقان فن الكذب والدهاء واللف والدوران والمناورة، فالاستعمار الجديد استعمار تصنعه أجهزة المخابرات التي لا يوجد في قواميسها وسيلة ممنوعة للوصول إلى الأهداف، وهذه الأجهزة الرهيبة التي يستحيل على من هم خارجها أن يعرفوا ما يدور فيها يتحكمون بكل شيء تقريباً حتى برؤساء الدول العظمى التي تدبر عجلة

هــذه الدوامــة، هــذا الأخطبــوط الخفي الــذي لا يعمــل إلا في الظلام هــو المحرك الحقيقي للدوامـة العالميـة الـتي نعيشـها اليـوم، وهـذه المظـاهر والظواهر السياسـية الـتي نشـاهدها في كـل مكـان من ثـورات وانقلابـات وحــروب وتصــريحات وتهديــدات يســتحيل تفســيرها إلا وفــق المعــادلات المعقدة التي تحكم هذه السياسة الخفية، والذين يحاولون منا تفسير هـذه الظـواهر السياسـية بعيـداً عن فهم هـذه المعـادلات المعقـدة يقعـون في التناقض ثم في الحيرة والالباس ثم في اليأس واعتزال الفهم والتفكير..

بعد هذا العرض السريع والموجز لمظاهر الدوامة التي تلف العالم يرد هذا السؤال: ألا يمكن أن نخرج من هذه الدوامة؟

والجواب: يجب أن نعلم أولاً أننا لا نعيش وحدنا في هذا العالم، وأن الحدود السياسية أصـبحت الآن خطوطـاً وهميـة على الخرائـط وأن الـوقت الـذي كانت تستطيع فيه دولة ما أن تغلق فيه الأبواب على نفسـها وتعيش بعيـداً عن العالم قد انتهى والعالم اليوم قد أصبح قرية صـغيرة فمن بيتـك اليـوم ترفع سماعة التليفون وتخـاطب صـديقاً في أمريكـا وصـديقاً آخـر (بمجـرد إدارة القـرص) في اليابـان، والغـزو الإعلامي الخـارجي دخـل الـبيوت إلى مخادع الزوجـات وليس هنـاك مكـان في العـالم اليـوم بمنـأى عن الحـرب المدمرة والمصالح الاقتصادية تشابكت بحيث لو حـدث إضـراب عمـال في مكان ما من العالم لتأثرت أجزاء كثيرة له، ولو احترقت نصف آبار البترول في العالم اليوم دفعة واحدة لعاد الناس جميعاً إلى ما قبل الآلة ولانــدثرت الحضـارة الحديثـة، وأي خلـل في مـيزان القـوى، وفي ضـبط النفس بين روسيا وأمريكا يعرض العالم للدمار، ولقد وقـف العـالم على هـذه الهاويـة مرات عديـدة وكـادت أن تقـع الكارثـة، وكـل يـوم يـأتي يزيـد من احتمـال الوصول إلى حافة الهاوية.. باختصار لسنا وحدنا في هذا العالم، ولكن ثمـة أمم ودول كانت تعـاني مثلنـا هـذه الحالـة من الضـياع والـدوار والشـتات، ولكن بفضل رجال مخلصين من أبنائها اسـتطاعت أن تخـرج ولـو قليلاً من الدوامة الروسية الأمريكية مع أنها مع ذلـك لم تتخلص نهائيـاً وهـذه الـدول هي: الصين، واليابان، وألمانيا، ولست بصدد بيان الدور الذي اضـطلعت بـه كل دولة منها لتتخلص جزئيـاً من التكـالب والسـيطرة الروسـية الأمريكيـة عليها. وأما منطقتنا الإسلامية والعربية منها بالذات فما زالت نهبـاً للصـراع بين العملاقين، ومجريــات الأحــداث فيهــا لا يمكن فهمــه بعيــداً عن هــذا الصراع.

وهناك أمران اثنان يجعلان هذا الصراع شرساً أليماً فالعامل الأول هو هـذه المميزات الظاهرة التي تتمتع بها هذه المنطقة من التوسط الجغرافي بين دول العـالم والـثروات الهائلـة الـتي يزخـر بهـا الـوطن الإسـلامي العـربي (البترول، والزراعة). والعامل الثاني هو وجود إسـرائيل هـذه الدولـة الـتي عاشت عميلاً أميناً للشيوعية العالميـة والرأسـمالية العالميـة في آن واحـد والتي تختلف الدول الكبرى دائماً حول مصالح كل منها، ولكنها تلتقي دائماً حول بقاء إسـرائيل في أرض فلسـطين، ويسـتحيل على اليهـود أن يقبلـوا أمة إسلامية موحدة خارجة عن اللعبة العالمية والصـراع الـدولي والدوامـة الرهيبة.

هذه الخطوط العامة التي نضعها بين يدي القـارئ لملامح الدوامـة الرهيبـة التي تلف عالمنا الإسلامي سيستطيع بها أي فرد أتاه الله نصيباً من الـذكاء والفهم أن يحـل شـيئاً من معضـلة الحـرب اللبنانيـة، وأن يفهم جانبـاً من معضلة الحـرب-المصـرية-الليبيـة، وأن يـدرك لمـاذا وفي بلادنـا الإسـلامية بالذات يصاب الناس بالإحباط وخيبة الأمل والدهشة وعدم الفهم والتعصب الأعمى، وأيضـاً بـالتطرف واسـتعمال العنـف أنهـا جميعـاً محـاولات يائسـة للخروج من الدوامة.

29 يوليو 1977

لحساب من تعمل إسرائيل؟

أصبح واضحاً الآن أن منتهى آمال السياسة العربية هـو إزالـة إسـرائيل عن الأراضي التي احتلتها عـام 1967 في مقابـل السـكوت النهـائي عن وجـود إسرائيل في بقية فلسطين، وإعطائها صك غفران لإساءاتها السابقة وصك أمان لحياتها المستقلة وفتح الطريق أمام نشوء علاقات عاديـة بين اليهـود وجيرانهم من العرب، ويتصور السـادة الرؤسـاء أن بهـذا الحـل سـيحققون المكاسب التالية:

أولاً: التخلص من عقـدة الفلسـطينيين وذلـك يجمعهم في "وطن" وإلقـاء المسؤوليات والهموم الفلسطينية على الفلسطينيين..

ثانياً: تفرغ الدول العربية التي تضـررت بـالحروب المتلاحقـة مـع إسـرائيل لمعارك التنميـة والخـروج من الضـائقات الاقتصـادية الـتي تعانيهـا وخاصـة مصر وسوريا.

ثالثاً: استمرار تدفق النفط إلى الغرب والشرق، وذلك بما يتيحه الاستقرار الذي سيوفره البعد عن الحروب، ويعني هذا استمرار تدفق الثروة والغـنى على دول النفط، وتحررها ولو نسبياً من مشاكل الدعم للدول المواجهة.

وهذا الهدف النهـائي أو مـع -حسـن الظن- المـرحلي للساسـة العـرب قـد تبلور بشكل نهائي عنـد الساسـة العـرب بعـد هزيمـة 1967 ولـذلك قبلت الدول العربية بقرار الأمم المتحدة رقم 242 وقبلت أيضاً بمبـادرة روجـرز وكل هذه كانت خطوات نحو هذا الهدف، وجميع البيانـات المشـتركة الـتي أعلن عنها بعد لقاءات عربية ودوليـة كـانت تحمـل في طياتهـا هـذه الغايـة كـالقول بأحقيـة كـل دول المنطقـة في العيش بسـلام داخـل حـدود آمنـة ومعترف بها.. الخ.

وهذه الغاية النهائية المنشودة لإنهاء الصراع العربي الإسرائيلي ليست في الحقيقـة في صـناعة العـرب ولا من اخـتراع زعمـاء السياسـة ولكنهـا في الحقيقـة هي الحـل الوسـط الـذي تريـده القـوى الدوليـة الكـبرى روسـيا وأمريكا، بل وأيضاً الدول الشرقية والغربية عامة وهذا ما تعرب عنه جميـع البيانات السياسية لهذه الـدول في كـل مناسـبة تتعلـق بهـذا الصـراع، وإن كان هناك خلاف قائم فإنما هو في التفصـيلات والأشـكال والسـبل ليحقـق ذلك فقـط وليس في الجـوهر أو المضـمون، كـالخلاف القـديم بين روسـيا

وأمريكا هل يوصل إلى هذا الحل دفعة واحدة أو على دفعات (خطوة خطوة) والخلاف بين روسيا وأمريكا: هل يمثل الفلسطينيون في جنيف (مؤتمر السلام) بوفد مستقل أو بوفد ضمن الدول العربية، أو وفد ضمن الأردن.. الخ، وكلها خلافات شكلية لا يغير من المضمون شيئاً..

هذا الهدف الغالي للدول الكبرى وللسياسة العربية أيضاً قد اتخذ الساسة العرب للوصول إليه طرقاً مختلفة نستطيع أن نجملها فيما يأتي:

أولاً: التهديد باستعمال القوة، وقد فعلت مصر هذا بعد هزيمة 67 حيث أعلن مراراً عن إعادة تكوين الجيش المصري بعد الهزيمة وإعادة تسليحه بأفضل بما كان وتهديد عبدالناصر بالخطابات النارية كقوله: "سنحررها شبراً شبراً، وما أخذ بالقوة لا يرد إلا بالقوة.. الخ" هذه المقولات، التي لم تغن شيئاً في زحزحة الإسرائيليين عن مواقفهم أو رضوخهم لقرارات الأمم المتحدة أو انسحابهم.

ثانياً: استخدام الحرب الجزئية، وقد فعلت مصر هذا أيضاً لتمارس بحرب الاستنزاف على ضفتي القناة، ولكن هذه الحرب كانت خسارة عظيمة للعرب، فقد خربت على آثار هذه الحرب مدن القناة الثلاث.. (السويس، وبور سعيد، والإسماعيلية) وهجر أهلها، وكلفت مصر الكثير من أموالها ورجالها وقادتها أيضاً..

ولكن حرب 1973م الجزئية التي باغتت اليهود في وقت ما كانوا يحلمون فيه بأن للعرب قدرة على الوقوف أمامهم وبأخذهم تصريحات الرئيس السادات بالحسم والحرب مأخذ الهزل، هذه الحرب كانت قمة موفقة لحرب الاستنزاف فقد صدمت المجتمع الإسرائيلي صدمة كبيرة ولكنه أفاق على أثرها أكثر تصميماً وتشبثاً بالأرض وأكثر عزماً على البقاء في مواقعه.

ثالثاً: استمالة الدول الكبرى لتضغط على إسرائيل بقبول (الحل العادل) وقد اتخذت هذه الاستمالة صوراً شتى فمن التهديد بقطع البترول عنهم، إلى التهديد بسحب الأرصدة (الأموال)، إلى السير في الفلك الروسي أو الأمريكي، وذلك بإعطاء التسهيلات العسكرية والاقتصادية وتحقيق مآرب أخرى لبعض الدول الكبرى ضد بعضها الآخر.

وهذه هي الورقة الأخيرة المتبقية في أيدي الدول، أعني أنه لم يبق من الساسة، العرب لإقناع إسرائيل بقبول الحل الوسط إلا الضغط على الدول الكبرى لتضغط بدورها على إسرائيل لقبول هذا الحل العادل.

وهذه الورقة أعني هذا الطريق الثالث للوصول إلى الحل قد أعطاه الساسة العرب كل الأهمية وعلقوا عليه كل آمالهم، بل قال الرئيس أنور السادات إن أمريكا تحمل في يديها 99% من أوراق القضية ومعنى هذا أنها تستطيع إجبار اليهود على القبول بما تريد وقد علل الرئيس السادات هذا بأن إسرائيل تحصل من أمريكا على الزبد والسلاح أي على الضرورات العسكرية، والكماليات الغذائية، وهذا يعني أن إسرائيل في يد أمريكا تماماً وهذا يعني أن الضغط على أمريكا يعني الضغط على إسرائيل.

هذا الطريق الثالث الذي عول عليه الساسة العرب وأعطوه هـذه الأهميـة سيكون فشله أيضاً في تحقيـق التسـوية المنشـودة بمثابـة كارثـة ونكسـة جديـدة بالنسـبة للسياسـة العربيـة، وهنـا يطـرأ سـؤال، مـا البـديل أمـام السياسة العربية إذا فشل هذا الطريق الثالث؟ ولا يمكننا الإجابة على هـذا السؤال إلا إذا عرفنـا أولاً الإجابـة على الأسـئلة التاليـة: من الـذي يخطـط سياسة إسرائيل هل هي أمريكا؟ أعني هل حقيقة القول بأن إسرائيل ذنب صغير للسياسة الأمريكية، أو كما يُقال منفذ حقير لسياسة الـبيت الأبيض؟ أم هل عكس هذا هو الصحيح وهي أن أمريكا (بجلالـة قـدرها) تسـير وفـق السياسات الصهيونية والضغوط اليهودية التي تتحكم فيها؟ أم أن إسـرائيل شيء آخر لا هو هذا ولا ذاك؟

القول الأول أعني القول بأن إسرائيل هي طفل أمريكا المدلل هـو القـول الذي أفرز سعي العرب في طريقهم الثالث أعني القول بأن الضـغط على أمريكا يعني الضغط على إسرائيل، وهو القـول الـذي جعلنـا نفقـد القـدرة والاعتماد على أنفسنا ونلقي بثقلنا كلـه: أموالنـا وبترولنـا وسياسـاتنا تحت أقدام الغرب ليقوم بدوره بإقناع طفله بالعدول عن حماقاته.

والقول الثاني وهـو الغـالب والشـائع في كتابـات الإسـلاميين للأسـف وهـو يصور اليهود حكـام العـالم من شـرقه وغربـه وشـماله وجنوبـه وإن جميـع الـدول والحكومـات تسـير خلـف الحكومـة الخفيـة الـتي كونتهـا الأفكـار الصهيونية، وهذا القول يفرز آراء مضحكة في السياسة والاقتصاد بـل يكـاد أن يلغي سنة الله في الكون ويجعل هذه الحكومة الخفية هي الـرب الـذي يملك التـدبير في هـذا الكـون، ويفـرز هـذا القـول أيضـاً أشخاصـاً يتلفتـون وراءهم في كل خطوة خوفاً من العين الصهيونية الـتي تـراقب النـاس في السر والعلن، ويفرز أيضاً اتهام كل إنسان مهمـا كـان معتقـده ولونـه بأنـه عميل للماسونية والصهيونية..!!

والحق أن إسرائيل ليست هذا ولا هذا فلا هي طفل أمريكا المـدلل ولا هي سيدة أمريكا والمتصرفة في شؤونها، وإذا أردنا وصـفاً مختصـراً لإسـرائيل وعلاقاتها الدولية مع العالم فإننـا نقـول: "إسـرائيل هي العميـل المحـترف الذي يشتغل لنفسه، وإسرائيل دولة مستقلة سياسياً في حقيقتهـا، ولكنهـا تبدو تابعة منفذة في ظاهرها"، "إسرائيل هي هذا القرصـان المـاهر الـذي استطاع أن يسرق وطناً بأكمله وأن يشرد شعباً بأكمله على مـرأى العـالم وبصره وقد استطاع أن يقنع جميـع اللصـوص والقراصـنة العـالميين ببعض المكاسب في مقابل السكوت والموافقة على هذه الجريمـة".. "إسـرائيل هي هذا المحامي المنافق الكـذاب والبـارع أيضـاً الـذي اسـتطاع أن يلبس المعتدي لباس المظلوم وأن يخلع على صـاحب الحـق لبـاس الظـالم، وأن يضـلل القـادة، ويسـعر المتفـرجين والمشـاهدين ويحـرق قلـوب أصـحاب الحق، ويفوز بالقضية".

هل عرفتم يا سادة من هي إسرائيل؟

إسـرائيل وضـعت أهـدافها النهائيـة في عـام 1897 أي قبـل ثمـانين عامـاً كاملة، نـافقت السـلطان العثمـاني عبدالحميـد وقبلت قدميـه ليسـمح لهـا بمأوى لليهود في فلسطين فأبى فألبت عليه حتى أنهت الخلافة، ثم سارت

في ركاب انكلترا لتسمح لها بمأوى في فلسطين وفعل الإنجليز ثم عندما أرادوا أن يجاوز اليهود هذا الهدف حاول الإنجليز منعهم فحاربوهم وتعقبوا ضباطهم في فلسطين لقتلهم، إسرائيل عملت لحساب الشيوعية، فنشرت مبادئها وقدمت لها الأموال الأمريكية الصهيونية لإقامة ثورتها في روسيا، وحصلت منها في مقابل ذلك على تدريب عصاباتها في تشيكوسلوفاكيا والحصول على الاعتراف بها في عام 1948، ثم قالت بعد ذلك لروسيا لا، في مناسبات كثيرة.

إسرائيل عملت لحساب فرنسا وقدمت لها تسهيلات كثيرة وحصلت منها على مفاعلها الذري في ديمونة أسرار الكمية الذرية على الأسلحة التي انتصرت بها في 1967، ودخلت حرب 1956 تحت جناحها مع انجلترا واليوم تقول إسرائيل لفرنسا لا في مواقف كثيرة.

وإسرائيل عملت ومازالت تعمل لحساب أمريكا، وهذا أشهر من أن يدلل عليه، ولكنها قالت لا لأمريكا في مناسبات كثيرة، فلم توافق لأمريكا على التفتيش على مفاعلاتها الذرية ولم توافق على مبادرة روجرز، واليوم تقول إسرائيل لأمريكا كارتر لا، وذلك رداً على مشروعاته وآماله في التسوية السلمية.

ولا يعني هذا بالطبع أن إسرائيل تعارض حيث تشاء وتوافق حيث تشاء، لا، ولكنها تحسب قوتها ومقدرتها وتقول نعم أو لا في الوقت والظرف المناسب لها ولقوتها وحجمها، وهي في كل ذلك تشتغل لحسابها، ويظن السذج أنها تشتغل لحساب الآخرين.. حقاً أنها ترضي الآخرين ليسكتوا أو ليساعدوا أو ليؤيدوا.. ولكنها لا تعمل في النهاية لحسابهم وإنما تعمل لحساب إسرائيل.

واليوم تقول إسرائيل لأمريكا "لا" للتسوية السلمية على هذا النحو ولن نتراجع شبراً واحداً عن (أرضنا المحررة) في الضفة الغربية وغزة، فماذا ستصنع أمريكا؟ وماذا سيصنع الساسة العرب؟ وما هي الخيارات أما أطراف النزاع، الجواب على هذه الأسئلة في الأسبوع الآتي إن شاء الله..

27 مايو 1977

كارتر و "القاضي سليم"

* الرئيس الأمريكي كارتر قد صرح عدة تصريحات متناقضة حول قضية واحدة وهي قضية فلسطين، وهذه التصريحات المتناقضة صدرت عن الرئيس بعد قراءة لتقرير أو لقاء مع رئيس، فبينما كان الرئيس الأمريكي يقوم بحملته الانتخابية هاجم هو الرئيس فورد بأنه لم يعط إسرائيل الدعم الكافي لصمودها ضد جيرانها العرب الذين يريدون تدميرها، ومعلوم أن فورد قد ساعد إسرائيل بما لم يساعدها رؤساء أمريكا جميعاً الذين تعاقبوا قبل فورد منذ عام 1948، وبهذا التصريح حصل كارتر على نصيب الأسد من دعاية اليهود في أمريكا وأصواتهم وبعد أن تولى كارتر الحكم وفاز على منافسه اعتمد تقريراً لمعهد برزنسكي وضع كأساس لحل (عادل)

بين العرب واليهود وهذا التقرير يوصي بانسحاب إسرائيل من الأراضي المحتلة بعد عام 1967 وقيام مناطق منزوعة السلاح وإقامة سلم دائم وعلاقات طبيعية بين إسرائيل وجيرانها، ويبدو أن كارتر الذي أخذ على عاتقه منذ أول شهر تولي فيها الرئاسة أن يحكم بمبادئ خلقية وأن يدافع عن حقوق الإنسان وجد أن الشعب الفلسطيني قد اضطهد فصرح تصريحاً غريباً وهو أن يكون قرار الأمم المتحدة الصادر سنة 1947 والذي ينص على تقسيم فلسطين بين العرب واليهود هو الأساس لحل المشكلة وأن يعوض تبعاً لذلك العرب الذين تركوا ديارهم في حرب سنة 1948 وهذا شيء لم يطالب به حتى رؤساء العرب أنفسهم الذين يسعون للصلح والسلام. وبعد هذه التصريحات تنامت حملة الدعاية ضد كارتر ووصف بأنه "صاحب الفم المفتوح" ولذلك وجدناه قد غير آراءه هذه ثانية عندما قابل الرئيس السادات، واقترح أن ينسحب الإسرائيليون إلى حدود 67 شريطة أن تكون لهم حدود أخرى على نهر الأردن يبنون عليها وسائل لدفاعهم وأمنهم وهذا ما رفضه الرئيس السادات وأخبر أنه اختلف بشأنه مع كارتر. ويبدو أن كارتر غير رأيه ثانية أيضاً بعد لقائه مع الأمير فهد ولي عهد المملكة العربية السعودية.

والشيء العجيب حقاً. أن كارتر نفى بشدة تصريحات بيغن عندما افتتح مستعمر "قدوم-سبسطية" وقال عن الضفة العربية أنها أرض محررة لأن الإنسان لا يحتل وطنه. وقد رد بيغن على استنكار كارتر قائلاً "أن كارتر يؤمن بالتوراة فلماذا يستنكر تحريرنا لأرض الآباء وسأناقشه في هذا عند زيارتي له" وقد كان، فقد استقبل كارتر بيغن استقبالاً حاراً وكان نقاشهما السياسي مستنداً إلى نصوص التوراة وبينما كان بيغن (اليهودي المتعصب) يتلعثم أحياناً في قراءته لبعض نصوص التوراة كان كارتر يكمل له النص بقراءة سليمة من الذاكرة فكارتر يحفظ التوراة تماما. وغني عن البيان أن بيغن قد اقنع كارتر بوجوب بقاء اليهود في الضفة الغربية وباستحالة انسحابهم منها ولذلك افتتح ثلاث مستعمرات جديدة في الضفة الغربية بعد عودته، وظن البعض هذه خيانة من بيغن لكارتر ولكن الصحيح أنه اتفاق فإن كارتر قد سئل -كما نشرت التايم- عن فعلة بيغن هذه وموقف أمريكا منها فقال كارتر "أنا لا أستطيع أن أتكلم باسم بيغن وتصرف بيغن هذا يخالف موقف أمريكا الوطني" ومفهوم المخالفة لهذا القول يعني أن موقف كارتر الشخصي لا يتنافى مع موقف بيغن وتصرفاته السياسية وبذلك تخلى كارتر عن كل تصريحاته ومواقفه السابقة وتحول من النقيض إلى النقيض. وتشبه مواقف كارتر هذه القصة المشهورة عن القاضي سليم الذي ما كاد يعين قاضياً حتى آتاه رجل فعرض عليه شكوى مؤثرة حزينة فتأثر لها ورأى قبل أن يسمع الطرف الآخر - أن الحق معه فقال له: الحق لك وحكمت لك بكذا وكذا. ولكنه ما كاد يفعل حتى أتى خصمه وقص قصة أشد تأثيراً وأعمل في النفس من قصة خصمه فتراجع القاضي سليم عن حكمه السابق وقال: لا الحق معك أنت وحكمت له بكذا وكذا! ولكنه ما كاد يدخل ليستريح عند زوجته حتى بادرته قائلة: ويحك يا سليم!! كيف تصنع هذا يا رجل. تسمع من الخصم الأول ثم تحكم له. دون أن تسمع من الطرف الآخر ثم تسمع من خصمه وتحكم له. فقال القاضي سليم: الحق معك أنت.

* والآن بصرف النظر عما يقال من تبرير لهذه التناقضات بأنها سياسـية أو (دبلوماسية) فإنها توجب علينا أن نراجع حساباتنا مع أمريكـا قبـل أن تحـل الكارثــة. وذلــك أن سياســة الكــذب لا تعتمــد على التنــاقض ولكن على الانســجام فالــذين يكــذبون في سياســتهم يعتمــدون تســوية كــذباتهم وانسـجامها ولـذلك فـإن تصـريحات كـارتر المتناقضـة مـا هي إلا تنـازلات حقيقية وتغييرات جذرية لفهمه لقضية فلسـطين ومعـنى هـذا أنـه مسـتعد لتغيـير موقفـه غـدا إذا لاح في الأفـق أبـواب جديـدة من الضـغط والتـأثير وليس صــحيحاً أيضــاً أن الــرئيس في بلــد كأمريكــا منفــذ فقــط لآراء المؤسسـات السياسـية القائمـة بـل أن طبـاع الـرئيس ومزاجـه وعقيدتـه ومثالياته وأخلاقه لها تأثير كبير في اتخاذ القرار السياسي في بلد كأمريكــا وهذا يعني أن تعاملنا مع أمريكا فورد مثلاً ليس كتعاملنا مـع أمريكـا كـارتر للاختلاف الهائل بين الرجلين. والطرف الآخر في مشـكلتنا نحن هم اليهـود وهم شعب كان وما يزال دائماً على استعداد لأن يدمر نفسه ويدمر العـالم إذا حوصر في الموقف الصعب. وقد ذكرنا مراراً أن انسحاب إسـرائيل من الضفة الغربية وغزة وإقامة كيـان فلسـطيني فيهمـا هـو الموقـف الصـعب بالنسبة لإسرائيل وما زلنا نقول أنها لن ترضى به مطلقاً مهمـا حـدث وقـد استطاعت إسرائيل كسب الجولة الآن بإقنـاع كـارتر بعـدم الانسـحاب من هذه الأراضي والبحث عن حل آخر. والرؤسـاء العـرب الـذين تعـاقبوا على أمريكا وحصلوا على وعود كارتر السابقة قد جاء بيغن بعـدهم ونسـفها من أساسها (والله أعلم ما الذي اتفقا عليه في الخفاء) والمشكلة الـتي كـانت قائمة أمام أمريكا هي مشكلة البترول ويبدو أن إسـرائيل قـد دبـرت امـراً الآن لاحتلال منابع النفط والحيلولة دون قطع امداداته عن أمريكا في حالة نشوب حرب جديدة، وبذلك أخذت إسرائيل الآن طرف الخيـط من أمريكـا التي كانت قـد دربت فرقـاً من جيوشـها على حـرب الصـحراء عنـدما هـدد كيسنجر باحتلال منابع النفط.

* الذي يبدو الآن أن الدول العربية قد فقدت خيار السلم وقد سقط سـلاح الضغط على أمريكا الذي شهره العرب واسـتطاعت إسـرائيل الآن أبطـال مفعوله وليس أمـام الساسـة العـرب الآن إلا القبـول بالاستسـلام الكامـل لإســرائيل فيمــا حصـلت عليــه من أراض بـل والتنــازل لهـا عن حصـة من البترول العربي، أو الاستعداد لحرب خامسة جديدة، ولقد حذرنا منذ قرابـة عام بأننا سنصل حتماً إلى هذه النتيجـة وأن إسـرائيل لن تتنـازل عن شـبر واحد من الأرض حتى في مقابل السلام.

والآن على الـدول العربيـة المسـارعة بتحصـين منـابع النفـط، والاسـتعداد للحرب الخامسـة الـتي سـتبدأها إسـرائيل.. ولتعلم الأنظمـة العربيـة الـتي أرادت أن تسـابق إسـرائيل في كسـب ود أمريكـا والحصـول على تأييـدها والقيام بالدور الذي تقوم به إسرائيل لأمريكا أنها لن تجـاري إسـرائيل في ذلك فقد صـرح مسـؤول كبـير في المخـابرات الأمريكيـة أن إسـرائيل قـد زودت الولايات المتحدة بمعلومات طيلة السنوات الماضية لا تقـدر بثمن!! فقيام بعض الأنظمة العربية بدور الشرطي الأمريكي في المنطقة لن يفيد أيضاً في كسب ولاء أمريكـا وإنمـا سـيؤدي في النهايـة إلى تقسـيم الـدول العربية بين روسيا وأمريكا وإلى قتل المسلم بيد المسلم ولاية لأعداء اللـه

وهذه هي الردة الحقيقية كما قال تعالى:{يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض، ومن يتولهم منكم فإنـه منهم أن اللـه لا يهدي القوم الظالمين}. أقـول يجب على الساسـة العـرب الآن الـدعوة إلى مصالحة حقيقية تحت شعار الأمة الإسلامية الواحـدة واطلاع الشـعوب على حقيقـة الخلاف بين البلاد العربيـة عملاً بقولـه تعـالى: {وأن طائفتـان من المؤمـنين اقتتلـوا فأصـلحوا بينهمـا فـإن بغت إحـداهما على الأخـرى فقاتلوا الـتي تبغي حـتى تفيء إلى أمـر اللـه فـإن فـاءت فأصـلحوا بينهمـا بالعدل وأقسطوا أن الله يحب المقسطين}.

ثم بعد ذلك قطع حبل التنازلات للعدو وملاقاته صفاً واحداً، وتوكيـل طـرف واحد للتفاوض عن الدول الإسلامية العربية كلهـا بـدلاً من هـذه التناقضـات في المواقف وسماع مبعوث أمريكا كلاماً مختلفاً في كل بلـد عـربي يصـل إليه، واطلاع الأمة أولاً بـأول عمـا يـدور من مفاوضـات وبهـذا نسـتطيع أن نقف صفاً واحداً في وجه أعدائنا، وبذلك نطلـع الـرئيس كـارتر أو القاضـي سليم على مشكلتنا بصورة سليمة.

12 أغسطس 1977

وااسلاماه!!

* عنـدما أعلن الـرئيس أنـور السـادات عزمـه وتصـميمه على السـعي في سبيل السلام ولو ذهب إلى إسرائيل، وكان ذلك أمـام البرلمـان المصـري. قضيت يوماً بائساً حزيناً، وحمـل النـاس الـذين التقيت بهم في ذلـك اليـوم كلام الرئيس السادات هذا محمل الهزل والمنـاورة.. ولكنـني قلت لهم أن إسـرائيل ستسـتغل ذلـك وأني أرى أن الـرئيس السـادات لن يسـتطيع أن يرجع عن عزمه هذا إذ أحرجه اليهود ودعـوه إلى هنـاك، وقـد كـان.. ويـوم ذهب الرئيس للقاء أعداء أمتنـا التقليـديين كـان اللـه قـد أكرمنـا بحج بيتـه المقدس في مكة المكرمة كان الناس مذهولين مندهشين لا يصـدقون مـا يسمعون ويلعنون ويكفرون ويدعون.. وجاءني أحدهم وقـال: أتصـدق حقـاً أن الرئيس أنور السادات قد ذهب إلى اليهود وجلس معهم!! أنا لا أستطيع أن أصدق ذلك!!.. وشغل الناس بأداء المناسك وخطب خطيب المسـلمين في مسجد نمرة بعرفات فدعا على اليهـود قـائلاً: اللهم أهلـك اليهـود ومن والاهم.. وردد ذلـك مـراراً، ورد النـاس وراءه في حرقـة بالغـة وألم قاتـل. وتفرق الحجيج إلى ديارهم.. وعدنا لنشهد المأساة ولنقرأ ونسمع ما تقذفه المطابع من غثاء. وما تبثه الإذاعات من هراء عدنا لنعيش مأساة أمتنـا في وقت أضحى فيه الحق باطلاً والباطل حقاً، والعدو صديقاً، والصديق عــدوا. عدنا لنجد النهار أشد ظلمة من الليل. والليل لا ينتظر الناس فجرا وراءه..

لقد أعطى الرئيس السادات اليهود في خطابـه أمـام الكنيسـت منتهى مـا طلبوه وما كانوا يحلمون به قبل أن تصل الليكود إلى الحكم.. فمنذ هزيمـة 67 وهم يقولـون لنـا الأرض في مقابـل السـلام.. وكـذلك قـالوا بعـد 73. قطعة أرض بقطعة من السـلام.. وبعـد وصـول منـاحيم بيغن قـال: الأرض مقدسة وهي أرض الآبـاء والأجـداد ولن نتنـازل عن أرض يهـودا والسـامرة

(الضفة الغربية) وقد أصر بيغن على هـذا الموقـف منـذ تـولى الحكم وإلى يومنا هذا ولم تغير زيارة الرئيس له شـيئاً بـل زاده ذلـك إصـرارا وتمسـكاً ويقينا بأنه حتما واصل إلى ما يريد.. الاحتفاظ بالأرض ونيل السلام وتحقيق الاستسلام..

وغدا سيأتي اليهود إلى القاهرة. أرض الكنانة التي حفظ الله برجالهـا أمـة الإسلام من أكبر خطرين علي مدار التاريخ: خطر التتار وخطـر الصـليبيين. وسيحفظ الله بشعبها ورجالها أمتنا أيضاً من خطر اليهود الـذي لا يقـل عن خطر التتار والصليبيين.. أقـول غـدا سـيأتي فـروخ اليهـود إلى أرض مصـر أعزة فاتحين يبحثون عن أمنهم وسلامتهم الأبدية -في ظنهم- وسـيحاولون عزل مصر عن الأمة الإسلامية، سيحاولون استبدال صحراء سـيناء بـإخراج مصر من التصدي لأعظم خطر يواجه الأمة الإسلامية في تاريخهـا الحـديث خطر اليهود. فهل سينجحون؟!. لقد قـال الـرئيس السـادات أنـه لن يوقـع صلحاً منفرداً مع إسرائيل ونرجو أن يتمسك بكلمته هذه وإلا فسـيعني هـذا الكارثة..

كنا نظن أننا كمسلمين وكعرب لا نجمع على شيء إجماعنا على أن اليهـود خطر يجب استئصاله من جسم الأمة أن عـاجلاً أو آجلاً أو على الأقـل يجب احتواؤه والإحاطة به. أو يجب هضمه وتذويبه والسـيطرة عليـه تحت أعلام الإسلام ورايات القرآن، ولقد وسع صـدر المسـلمين في تـاريخهم الطويـل أن يحتو المسـتأمنين والمعاهـدين والمسـالمين.. أقـول كنـا نظن أن هـذه الحقيقة (الخطر اليهودي) لا مـراء فيهـا ولا جـدال بين رجلين ينتميـان إلى هذه الأمة عقيدة وتاريخا وثقافة وعاطفة.. ولكننا نجد الآن أن هذه الحقيقة أصبحت مجال خلاف بل وتضاد.. وقبل سنوات لم يجرؤ أحد أن يقول: نمـد يدنا بالصلح والسلام مع اليهود إلا أصوات منكرة من بعض الشـيوعيين في فلسـطين ومصـر، ولقـد زين أولئـك السـلم مـع اليهـود بمـا شـاءت لهم شياطينهم أن يزينوه ولكننا نجد اليوم رؤساء الدول الإسـلامية إلا من رحم اللـه منهم يزينـون لنـا السـلام ويحسـنونه لأممهم بمـا لم يسـتطع اليهـود أنفسهم أن يفعلوه وكأن السلام مع اليهود أضحى ضالة الأمة الذي تنشـده منذ فجر التاريخ..

والنفسية اليهودية التي نجابهها منذ سـبعين سـنة على أرض فلسـطين هي نفسها النفسية اليهودية منذ بدء تاريخهم. فـاليهود يحملـون أوزار الماضـي وحقد القرون وسيظلون يحتفظون بذلك ويحفظونه في صدورهم مـا بقـوا على الأرض إلا من شـذ منهم فليسـوا سـواء.. ومـا زالـوا ينظـرون إلى المسـلمين اليـوم بمنظـار أسـلافهم الـذين أجلـوا عن الجزيـرة في خيـبر والنضير وقينقـاع، وقتلـوا في قريظـة. بـل ويحنـون إلى العـودة إلى هنـاك ويسعون لذلك وليس المجال مجال التدليل على ما أقول، وكـل قـول غـير ذلك هراء. بل مازال اليهود ينظـرون إلى المصـريين أنهم أولئـك الفراعنـة الذين أذلوهم في مصر وقتلوا أبناءهم واستحيوا نساءهم مع أن المصـريين قد انتقلـوا بحمـد اللـه إلى الإسلام ولا يعـادون اليهـود لجنسـهم كمـا كـان الفراعنة، وإنما يقاتلونهم الآن وغدا إن شاء الله لخبثهم ومكـرهم وظلمهم وتشريدهم لإخوانهم في العقيـدة.. والحـواجز النفسـية الـتي يبنيهـا اليهـود حول أنفسهم لا يمكن لأحـد مهمـا كـان أن يهـدمها من صـدورهم حـتى لـو

أعطوا مفاتيح القاهرة ودمشق، ودخلوا المدينة المنورة فاتحين فلن يتخلى اليهود عن حقد القرون، الذين عاشوا به ومازالوا يعيشون..

وإذا حاول الرئيس السادات أن يهدم هـذه الحـواجز النفسـية بزيارتـه لهم، وتودده إليهم فإنه لن يصل إلى ذلـك ولكنـه قـد يصـل إلى بعض هـذا عنـد الشعب المصري فقط ذلك الشعب الطيب الذي ينسى الإساءة ويعفو عن المظالم بكلمة واحدة من كلمات العواطـف. ولكن هـل في ذلـك مصـلحة للأمة في العصر الراهن. هل هناك مصلحة من كسر جدار العداء والبغضـاء في نفوسنا لليهود الذين دنسوا مقدساتنا وما زالوا، وقتلوا أبناءنـا وإخواننـا وبناتنا ولا يزالون!؟ هل من المصلحة والواجب أن نصفح عن العدو ومازال في خنادقه يحاربنا، وأن نسامحه وما زالت دماؤنا تقطر وسـكينه تلمـع في يده.. ولقد قال الرئيس السـادات نفسـه أن الحـرب كـانت ستنشـب قبـل عشرة أيام فقط من زيارته للقدس!؟.

لمـاذا نريـد أذن أن نكسـر حـاجز العـداء من نفوسـنا لليهـود وهـو أضـعف الإيمان الذي نزاوله!؟ حتى كراهية اليهود وبغضهم يريد الـرئيس السـادات أن يجردنا منه، لا يا سـيادة الـرئيس أن بغض اليهـود وكـراهيتهم باقيـة في قلب كل مؤمن طالما هم معتدون مغتصـبون محـاربون للـه ولرسـوله لأن هـذا منكـر والرسـول يقـول من رأى منكم منكـراً فليغـيره بيـده، فـإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان. (وفي رواية) وليس وراء ذلـك من الإيمـان حبـة خـردل، فـإذا تخلينـا عن بغض اليهـود الظالمين المعتدين بقلوبنا فقد تخلينا عن آخر ذرة من الإيمان في قلوبنا..

ونرجو يا سيادة الرئيس أن تكون زيارتك للقدس اعذاراً لليهود أن يرجعـوا عن غيهم ومكرهم وعلـوهم وفسـادهم، وأن تعـود إلى مصـر أرض الكنانـة لتنفخ روح العزة والأباء في شعبها وجيشها، وأن تطالب المسلمين في كل الأرض أن يهبوا لرفـع الظلم والعـار عنهم وأن يبـذلوا النفس والنفيس في ذلك وأن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله!!.. ولقـد قلت أن اللـه اختـارك لتحكم مصـر في هـذه الفـترة الحرجـة من تـاريخ الأمـة وأن أقـل واجب يفرضه عليك الدين ويأمر به الله ألا تتعامل مع عـدو يريـد أن يكـون كلمة الشيطان والطغيان والظلم هي العليا، ويريد أن تكون كلمة اللـه هي السفلى. ولن يكون ذلك أبدا..

وأعلم يا سيادة الرئيس أن شـهادة التـاريخ لا تـرحم وأنـك ملاق ربـك غـدا وسائلك عن أمة محمد ماذا صنعت بها، وماذا صنعت لها. وأظنـك لا تكـذب بوعد الله!! وأنت الآن تتخذ أخطر قرار في تاريخ الأمة فأمـا أن تسـير في ركابها وتحمل رايتها وتجاهد لإعزازهـا ونصـرتها ولا تمكن عـدواً ظالمـاً من رقابها، وبذلك تعيش أعظم أيام في حياتك ويخلد التاريخ ذكـراك ومـا عنـد الله أكبر من ذلك..

ونرجو ألا تكون الثانية.. وما زال أملنا في رجل دخل أول حـرب فعليـة مـع اليهود وزلزل كيانهم، أن يصدق الله مرة أخرى..

2 ديسمبر 1977

هل زيارة الرئيس للقدس

هي إرادة الله وبشارة القرآن؟!

* نشرت جريدة الأهرام المصرية مقالاً للأستاذ محمد حسن التهامي نائب رئيس الوزراء في جمهورية مصر العربية بعنوان "عودة القدس" وفي هذا المقال ناقش صاحبه زيارة الرئيس أنور السادات إلى القدس من الناحية الروحية (على حد قوله) فذكر أن هذه الزيارة هي رسالة الله القدرية إلى بني إسرائيل، وأنها قد جاءت في القرآن الكريم، قال بالنص: "فأما الدوافع الروحية منها. وقد سألني عنها الكثيرون من المؤمنين والحجاج فتعجبت وقلت للسائلين ولنفسي قول الله: {أفلا يتدبرون القرآن} وما فيه من نور ووضوح.. أفلا تسمع قول الله تعالى في سورة الإسراء.. {ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا أن أحسنتم لأنفسكم وأن أسأتم فلها، فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة، وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم أن يرحمكم وأن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا}.." ثم فسر الكاتب هذه الآية بأن الله رد الكرة لبني إسرائيل في عام 67 وأنهم احسنوا فلهم ما تمنوا.. ويفسر الإحسان هنا بأنه احترام الرسالات والعيش مع أهل الأديان بسلام. ثم فسر الكاتب قول الله تعالى: {ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس}.. الآية أن حبل الناس المقصود في الآية هو أن يعيشوا معنا بسلام. وأن هذا الحبل هو الرسالة التي قام بها الرئيس أنور السادات ليوصلها إليهم. يقول: "ذلك هو حبل الناس أي صلتهم بالناس ورباطهم مع الناس أن أرادوا الحسنى والتعايش مع الناس بما يقبله الناس.." الخ.

وجعل الكاتب زيارة الرئيس إلى إسرائيل امتداداً لدخول عمر بن الخطاب وصلاح الدين إلى هذه الأرض. وركز في غير موضع من مقاله أن هذه الزيارة كانت تجسيداً لإرادة الله وتكليفاً منه حيث يقول.. عن شعوره وهو مرافق للرئيس في هذه الرحلة: "وهناك تجدد العهد في القلب وبالروح بالذكرى وبالإيحاء، وبجلال الموقف، ورهبة الخوف من الله، وبميزان المسئولية، والتكليف الذي أراده الله تعالى بوجودنا في مصلى الأنبياء والرسل فعندئذ ثبت اليقين بأن الله تعالى قد أراد بهذا الوجود خيرا".. ويقول في موضع آخر: "ولم يبق بعد هذه الرسالة التي أرادها الله تعالى إلى بني إسرائيل وإلى العالم أجمع ألا أن ندعوا لمصر ومن معها من العرب والمؤمنين بوحدة الكلمة.." الخ..

* ويهمنا في هذا الصدد أولاً الذب عن كتاب الله وبيان الحق في آياته التي استدل بها صاحب المقال. ومعرفة ما إذا كانت هذه الزيارة تحقيقا لإرادة الله حقاً أم لا. فنقول:

أولاً: قوله تعالى: {وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين}، معناه أي أخبرناهم في كتابهم التوراة أنهم سيفسدون في الأرض وذلك بعلوهم على الناس وعبادتهم لغير الله سبحانه وتعالى وتحريمهم الحلال وتحليلهم الحرام وقتلهم الأنبياء بغير حق وهذا مفصل في القرآن ولا يتسع المقام لسرده وذلك بعد أن كانوا قائمين برسالة الله

من التوحيد والعبادة مطيعين لرسلهم من لدن موسى عليه السلام وقد كان هذا الفساد بعد إقامتهم اليهودية الأولى بقيادة يوشع بن نون (شعيا) ثم أخبر سبحانه أنه سيسلط عليهم من يحطم دولتهم ويزيل كبرياءهم، قال تعالى: {فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولا}. وقد كان بالفعل فقد دخل الفرس إلى مملكتهم بقيادة نبوخذنصر وجاسوا خلال ديارهم في فلسطين وقتلوا من قتلوا منهم ونفوا الباقين إلى بابل. ولكن الله سبحانه من عليهم مرة ثانية بالتجمع في فلسطين بعد أن من عليهم (قادش) القائد الفارسي بالعودة حيث كانوا مملكتهم الثانية التي قويت بقيادة داود ثم بقيادة سليمان عليهما السلام. ولكنهم بعد ذلك عادوا إلى الإفساد والعلو في الأرض فأرسل الله عليهم الرومان الذين دخلوا فلسطين وهدموا هيكلهم الذي بناه سليمان ونكلوا بهم واحتقروهم وشتتوهم في الأرض وجعلوا قبلتهم (الصخرة) مكاناً لمزابلهم. قال تعالى: {فإذا جاء وعد الآخرة} أي الهلاك الثاني لكم بعد الإفساد.. {ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة، وليتبروا ما علو تتبيرا}. أي ليبيدوا ويهلكوا ما أعليتموه من بناء ونحو ذلك ويخربوه. وقد كان فقد حطم الرومان حضارة بني إسرائيل في فلسطين وسووها بالأرض.. ثم أخبرهم تعالى وهددهم بأنهم أن عادوا مرة ثانية للإفساد في الأرض، عاد الله وسلط عليهم من يذلهم ويهلكهم كما فعل بهم على يد محمد صلى الله عليه وسلم حيث أفسدوا في المدينة وخانوا وغشوا وتمالئوا فقتل الله منهم من قتل وأخرج منهم من أخرج كما قال تعالى: {وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقا، وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطئوها وكان الله على كل شيء قديرا}.. وقد نزل هذا في بني قريظة. وأما في بني النضير فقد قال تعالى بعد إجلائهم عن المدينة: {هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار}..

* ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار. فأخبر سبحانه هنا أنه هو الذي أخرجهم وأنه هو الذي ألقى في قلوبهم الرعب أنه هو الذي كتب عليهم الجلاء أي الإخراج من المدينة وأنه لو لم يفعل بهم الجلاء لعذبهم عذاباً آخر أكبر من هذا الجلاء. وهذه إرادة الله سبحانه وتعالى في بني إسرائيل التي أجراها على يد محمد صلى الله عليه وسلم هي أرادته إلى يوم القيامة التي يجريها على من يشاء من عباده. كما قال تعالى: {وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب أن ربك سريع العقاب وأنه لغفور رحيم} فارسال الله عليهم عبر التاريخ وعلى مدار الزمان إلى قيام الساعة من يسومهم سوء العذاب هو إرادة الله الثابتة في قرآنه وتوراته وإنجيله وأي مطلع على هذه الكتب يعلم هذا بما لا يجد مجالاً للشك وذلك ليس ظلماً من الله ولكنه عقاب عادل في مقابل ظلمهم ومكرهم وسعيهم للفساد في الأرض وتجارتهم بالحروب وتعطشهم إلى دماء غيرهم كما قال تعالى واصفاً إياهم: {وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه

مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيـدن كثـيراً منهم مـا أنـزل إليـك من ربـك طغياناً وكفرا، وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلمـا أوقـدوا نـارا للحـرب أطفأهـا اللـه، ويسـعون في الأرض فسـادا واللـه لا يحب المفسدين}..

فـإذا فهم هـذا فيسـتحيل عقلاً وشـرعاً أن تكـون إرادة اللـه أن ينعمـوا بالاستقرار والسلام. بـل ينبغي أن نحكم أن الـذي يسـعى في سـبيل ذلـك إنما يسعى مضاداً ومعارضاً لإرادة الله الكونية القدرية التي لا تتخلف..

وإذا حدث لبعض الوقت ولفـترة مـا أن ينعم اليهـود في الأرض بالاسـتقرار والسلام فلا يكون هذا إلا لعاملين اثنين لا ثالث لهما..

العامـل الأول أن يقومـوا برسـالة اللـه في الأرض وأن ينشـروا التوحيـد ويقيموا الصلاة ولا يكون ذلـك إلا باتبـاعهم محمـد صـلى اللـه عليـه وسـلم والدخول في الإسلام. واليهود في فلسطين الآن ليسوا كذلك..

والعامل الثاني أن يمدهم الله سبحانه وتعالى بإمداد وحبـل من عنـده وأن يمدهم الناس لتتحقق حكمة يريدها الله سـبحانه وتعـالى وهـذا لا يكـون إلا استثناء من القاعدة العامة في بقائهم مشتتين مقهورين إلي قيام الساعة. وقد فصل الله ذلك في القرآن حيث قال لرسـوله والمؤمـنين معـه عنهم: {لن يضروكم إلا أذى، وأن يقاتلوكم يولـوكم الأدبـار ثم لا ينصـرون}. وقـد كان، فقد كان ضررهم للرسول والمؤمـنين مجـرد الأذى فقـط فلم يقتلـوا من المسلمين في صدر الإسلام عدداً يـذكر ولم يهزمـوهم في معركـة مـع تبجحهم وغطرستهم وحصونهم واستعانتهم بكل القوى المشركة المحيطـة بهم. وقد فصل الله أسباب ذلك فقال: {ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من اللـه وحبـل من النـاس، وبـاءوا بغضـب من اللـه وضـربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلـك بما عصوا، وكانوا يعتدون..}.

وفي هـذه الآيـة يتـبين لنـا أن الذلـة والمسـكنة مضـروبتان عليهم ومعـنى الضرب هو اللزوم والمصاحبة وكأنه طابع لازم كما تضرب النقـود بصـورها وكتابتها. وفاعل ذلك هو الله وأنه لا انفكاك لهم عن ذلك إلا بحبـل اللـه أي إمداد منه وسبب منه لحكمة يريدها، وكذلك حبـل من النـاس. ولا شـك أن هذا الحبل الذي يصلهم الناس به وإن كان كائنـا بمشـيئة اللـه أيضـاً إلا أننـا منهيون كمسلمين عن ذلك..

وخلاصة الأمر أن اليهود مطرودون من رحمة الله وأمنه وسلامه ما عاشـوا وإذا تحقق لهم ذلك في وقت ما فإنمـا هـو شـيء عـارض وشـذوذ يخـالف القاعدة..

* وبذلك يتبين لنا إرادة الله حقاً باليهود وصنيعه بهم وعلى ضوء ذلك يقـرر المؤمنون حقاً طـريقهم معهم وأنـه طريـق الضـرب على أيـديهم وقتـالهم لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى..

* وأما كلام سعادة الوزير أن الزيارة للقدس كانت تشبه فتح عمر ودخـول صلاح الدين فأظنني لست بحاجة إلى عقد مقارنة لبيان فساد هذا القياس،

وإذا كان مثل ذلك يحتاج إلى دليل وإيضاح بطلت فائدة الكلام وسقطت مهمة الدليل..

وليس يصح في الأذهان شيء   إذا احتاج النهار إلى دليل

9 ديسمبر 1977

رياح الجاهلية تهب على العالم الإسلامي

* كان أعظم إنجاز حضاري للإسلام أن جمع قبائل العرب المتفرقة المتناحرة في هذه الجزيرة في وحدة إنسانية وحضارية يرفرف عليها السلام والعدل، وكان أعظم من ذلك تأليفه بين العرب الذين قاربوا بالإسلام وبين شعوب الشام والعراق ومصر والمغرب وفارس وما وراء ذلك، وقد كان يسكن هذه الأقاليم شعوب شتى من الكلدانيين والآشوريين والبابليين والقبط والبربر وشعوب أخرى كثيرة، ولم تمض فترة وجيزة حتى أضحت هذه الشعوب المتفرقة المتناحرة شعباً واحداً يدين بالإسلام ويتكلم بلغة القرآن ويرفض ماضيه الجاهلي، ويعيش لواقعه ومستقبله الإسلامي الحضاري. ولم يبق من هذه الشعوب على دينه الجاهلي القديم إلا فئات قليلة جداً لم يصلها الإسلام..

* وفي إطار هذه الوحدة الحضارية الأخلاقية عاشت شعوب هذه المنطقة (العالم الإسلامي) أعظم أيام حياتها على الإطلاق: عزة في الدنيا، وسيادة في الأرض، وهداية إلى طريق الرشد وامتثالاً للأخلاق الطيبة، وابتعاداً عن العصبيات الجاهلية، والنعرات الإقليمية والقومية..

* وبالرغم من أنه كانت تصطبغ الحياة السياسية للعالم الإسلامي بصبغة الحاكم إلا أن الشعور العام لشعوب هذه المنطقة كان مع الأخوة الإسلامية، فالخلافة الراشدة كانت إسلامية خالصة، ودولة بني أمية كانت سياسياً ذات صبغة عربية، ودولة بني العباس كانت فارسية الصبغة في السياسة والحكم، ودويلات الطوائف كانت بحسب حكامها، ودولة بني عثمان تعصبت في أواخر عهدها للأتراك. أقول بالرغم من كل ذلك فإن مشاعر العامة وسلوكهم كان مع الرابطة الإسلامية.

* وعندما أراد الإنجليز والفرنسيون اقتسام العالم الإسلامي عمدوا إلى تقسيمه جغرافياً، أولاً ثم ثقافياً وفكرياً وعقائدياً، فبلاد الشام الدولة الواحدة في كل تاريخها أصبحت أربع دول اخترعوا لها أسماء من تحت الأرض فقبل خمسين عاماً فقط لم يكن أحد يعرف ما معنى سوريا، ولا ماذا تعنى كلمة فلسطين!! ولا ما هو شرق الأردن. ولم يكن ثمة شعب يسمى الشعب السوري أو الشعب الفلسطيني، أو الأردني أو اللبناني. بل كان كل أولئك شعب واحد يدين بالإسلام وينتمي إلى العروبة. وانطلت حيلة ساسة فرنسا وبريطانيا على المغفلين والسذج فانطلقوا يرددونها في عماية وجهل، وهكذا صنع مع بقية العالم الإسلامي شرقاً وغرباً. وبوحي من ملكة بريطانيا أسست الجامعة العربية فكانت أول منار سياسي يقوم على غير الإسلام شعاراً وتجمعاً. ورفعت الإعلام والبيارق الإقليمية لتعلن ميلاد تاريخ جديد لأبناء الأمة الإسلامية: ميلاد ملوك ورؤساء الأقاليم!!

* عندما قام فريـق الضـباط الأحـرار بـانقلابهم ضـد نظـام الملـك فـاروق، أعلنوا للعالم أن مبرر قيامهم هـو تصـحيح أوضـاع نظـام الحكم في مصـر، ورفع العار عنها فيما لحق بها من هزيمة في فلسطين وأعلن عبـد الناصـر بعد ذلك أنه أول رئيس مصري يحكم مصـر منـذ ثلاثـة آلاف سـنة متخطيـاً تاريخ مصر السابق بعروبته وإسلامه إلى الفراعنة، وحملوا تمثال رمسيس الثاني (فرعون مصر) من الأقصر إلى ميدان في القاهرة. وأشـادوا بـدعاة الإقليمية المصريين من الكتاب والمؤلفين. ولكن عبـد الناصـر سـرعان مـا تحـول عن مسـاره إلى المنـاداة بالقوميـة العربيـة فرفـع شـعارها، وألهب بخطبه الحماسية مشاعر أبناء العروبة شرقاً وغرباً الذين أذلهم الاسـتعمار وفرق جموعهم، فاستجابت لـه جمـاهير العروبـة الـذين اشـتاقوا إلى بعث تراثهم القديم، واحياء أمجادهم الغابرة، ولكن عبد الناصر بدلاً من أن يضـع الدعوة إلى القومية العربية في مكانهـا الصـحيح من الإسـلام فرغهـا منـه، واسـتورد مضـموناً اشـتراكياً أراد أن يصـبغه بالإسـلام فلم يسـتطع وابتـدأ يضرب بسفينته بين القوى المتصارعة شرقاً وغرباً ويناور بها يميناً وشـمالاً حـتى تحطمت السـفينة بمن فيهـا في حزيـران سـنة 1967، وعـاش بقيـة عمره يريد أن يجمع حطام السفينة ويزيل آثار العدوان فلم يستطع..

* كانت هزيمة عام 1967 هزيمة للأمة كلها ونهاية لدعوة القومية العربية، وكانت مصر وما زالت وستظل إلى أمد يعلمه الله رأس هذه الأمة وحاملة لوائها، وقد أعلن الرئيس أنور السادات بعد عبدالناصر أنه لن يستمر معلقاً بين السلم والحرب، وطلب السلم مراراً قبل عام 1973 وقال له كسينجر رأس أميركا المدبر في وقته لا سلم مع اليهود إلا بكسر شوكتهم، فـافعلوا هذا إن استطعتم!! وكـانت معركـة سـنة 1973 ثم طلب السـلم الـذي مـا زالت خطواته إلى الآن دون جدوى..

* ومهما اختلف الناس حول النتائج التي ستسفر عنها هذه الخطـوات فـإن ثمـة بـاب من الجحيم قـد فتح على الأمـة لا يعلم إلا اللـه سـبحانه وتعـالى مداه، وهذا الباب هو الدعوة إلى الإقليمية، ونبش آثار الجاهليـة، فـإذا كـان الذين حولوا مسار القضية الفلسطينية من مسـارها الإسـلامي الـديني إلى مسار قومي عربي. قد أخطأوا وأساءوا لقضايا الأمة وشـعوبها فـإن الـذين يطرحون قضية فلسطين في منطلق إقليمي أشد خطأً وأكبر إساءة للأمـة وتاريخها والمهم أن هذا المنطلـق الجديـد لعلاج هـذه القضـية قـد أدى إلى التنابز بالألقاب وأحياء النعرات الجاهلية الإقليمية البائـدة. وبـالرغم من أن احتلال اليهود لهذا الجزء من الوطن الإسلامي كان عاملاً للتقارب والاتحاد، إلا أنــه بهــذا الطــرح الجديــد قــد أصــبح عــاملاً للفرقــة والخلاف واحيــاء للجاهليات القديمة التي عفا عليها الزمان.

* وبعد فليس هناك مسلم ولا عربي صـحيح النسـبة إلى العروبـة يـأبى أن تكون مصر وأن تظل رائدة ورأسـاً لهـذه الأمـة، ولا أن يكـون رئيسـها الأخ الأكبر لإخوانه وزملائه.. ولكن المسـلمين لا يعلمـون من مصـر إلا أنهـا بلـد المسـلمين وكنانـة الإسـلام، وحاميـة أوطانـه في كـل تاريخهـا مـع التتـار والصـليبيين. وكـذلك مـع اليهـود والصـهاينة. أمـا أن تكـون مصـر هي بلـد الفراعنة، والأهرام وأبي الهول فلا.. فهذا أمر قد جاوزته مصر منـذ أكرمهـا الله برسالة الإسلام ورفرفت عليها أعلام القرآن وتكلم أهلها بلغة العرب..

* ثم أما بعد فإن رياح الجاهلية التي بانت تقصف بالإسلام والمسلمين شرقاً وغرباً يوشك أن تدمرنا فثقافة بابل وأشور تطغى اليوم على ثقافة العباسيين في الرافدين، والشعوبية والباطنية والصليبية تعصف ببلاد الشام وتطغى ثقافتهم على ثقافة بني أمية، والعرب والبربر في المغرب يتنازعون على الصحراء، والقحطانيون في اليمن يقتتلون على الحكم والرياسة، والقرامطة يحيون في أقصى الجزيرة ذكر قرمط ويدفنون تراث محمد بن عبدالله، وبنو يعرب يحركون الجيوش في جنوب الجزيرة ليقتتلوا. ومن قبل فرطوا في جزر بأكملها. ومصر تريد العودة إلى الفرعونية والقبطية..

* باختصار رياح الجاهلية تهب على عالمنا الإسلامي من كل جانب والمحزن في الأمر أن الشعوبية والباطنية والقرمطية والإقليمية بكل صورها. لها أبواق ووسائل أعلام وأجهزة كاملة لتزوير التاريخ وتغيير الحقائق والإسلام وحده لا صوت له في ديار الإسلام!! فليهنأ بنو إسرائيل النصر المؤزر، ليحققوا حلمهم الذي طالما انتظروه وهي دولة من الفرات إلى النيل وليقيموا العلاقات بين دولتهم وبين دول الطوائف والأقاليم من حولهم، وليشترطوا لأنفسهم ما يشتهون. فالعدو الذي يستطيع أن يهزمهم ويعرف مكائدهم، ويرد كيدهم إلى نحورهم غائب عن الميدان. أنه الإسلام ولا صوت له الآن!!

16 ديسمبر 1977

الشعوب والسحرة..

* يركض الناس في هذه المنطقة (العالم الإسلامي العربي) وراء الأحداث بغباء وبلاهة، وتفاجئهم الأحداث فيصابون بالدهشة والابلاس والحيرة، ويذهبون بعد ذلك في تفسيرها كل مذهب.. ويظلون يختصمون ويتشاجرون حتى يقع لهم حدث يذهلهم عن الماضي فينتقلون للتفكير فيه، وينسون الحدث الماضي تماما وهكذا، شأنهم في ذلك شأن تلاميذ مدرسة تجمعوا لمشاهدة (حاو) أو ساحر ماهر فلا يزال يذهلهم بحركاته وألاعيبه، وبين كل لعبة وأخرى يختصمون ويتشاجرون كيف خرجت البيضة من مؤخرة التلميذ، وكيف طارت الحمامة من فمه!!.

* ونحن في هذه المنطقة التي يتحكم فيها الساحر الأمريكي والحاوي الروسي، والشيطان اليهودي نرى في كل يوم ألاعيب مدهشة، وحوادث مضحكة مبكية!!.

* ويظن الناس أنه لا ارتباط بتاتاً بين الأسباب ومسبباتها، ولا بين الأمور ونتائجها. لأنهم يرون دائماً أن نتيجة كل شيء على غير أسبابها الظاهرة تماما. فقليل جداً من كان يعلم أن زحف الجيوش العربية نحو إسرائيل عام 1967 سيؤدي إلى هزيمة لا مثيل لها في التاريخ وقليل أيضاً تصوروا أو تخيلوا أنه سيأتي اليوم الذي يصاب بعض منا فيه بعقدة الذنب لأنهم حاربوا اليهود في الماضي، وأنهم كانوا يحاربون في غير قضية، ويموتون هدراً وغباء!!

* وهذا قليل الذي يرى نتائج الحوادث قبل أن تقع ومآل الأمور قبل وقوعها يعيش في أحزان متصلة وينظر الناس إليه دائماً نظرة الريبة والاستغراب وقد يثني الناس على فهمه وعقله بعد حدوث ما توقع ولكن السحرة الماهرون لا يمهلون الجمهور حتى يشغلوهم بحادث جديد.

* دعونا نسأل أنفسنا لماذا نفاجأ دائماً بالقرار السياسي؟ ولماذا نذهب دائماً في تفسيره كل مذهب!!.

والجواب باختصار: أننا نعل ذلك لسببين:

أولاً: إننا لا نشترك في القرار السياسي، فالشعوب في الوطن الإسلامي كم ولا وزن له مطلقاً في قرار سياسي. وتزييف اراداته سهل جداً في أي استفتاء. ونستطيع أن نجد للرأي ونقيضه مؤيدين ومشايعين. بل يستطيع الدهاة أن يستخرجوا من القرآن والسنة أيضاً ما يؤيد الرأي ونقيضه فإذا اتخذنا قرار الحرب مثلاً قال القائلون وافتى المفتون:

{فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الاعلون} وإذا اتخذنا قرار السلم خطب الخطباء وتكلم أهل الإفتاء قائلين: {فإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله}، وإذا أردنا حب اليهود والإشادة بهم قلنا أنهم أبناء العمومة وقد قال الله فيهم: {يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين}. وقوله تعالى أيضاً:

{ولقد اخترناهم على علم على العالمين}. وإذا اتخذنا قرار بغضهم ومذمتهم قلنا: إنهم.. وأنهم.. وقال الله فيهم: {ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا ألا بحبل من الله وحبل من الناس. وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة..} الآية.

وهكذا يستطيع المزيفون أن يزيفوا إرادة الشعب لأنه لا رأي له، وكذلك حكم الله وحكم رسوله.. لأن الذين يفتون بهذا أيضاً لا رأي لهم. واقتطاع الآيات وتحريف الكلم عن مواضعه سهل أيضاً لمن أراد ذلك.

وأما السبب الثاني فهو ما ذكرت في صدر المقال من أن الجمهور الذي يشاهد السحر تنحبس أنفاسه دائماً عن رؤية الماضي والمستقبل ويعيش فقط في ظل اللعبة الحاضرة والتي لا يربطها بأسبابها الماضية ولا يفكر بتاتاً في نتائجها الآتية أنه يفكر فقط مشدوداً مدهوشا كيف ستنتهي هذه اللعبة العجيبة؟!.

* وتعالوا الآن نشاهد هل قرار السلم مع اليهود الذي اتخذته القيادات السياسية مفاجأة؟! ونتيجة غير متوقعة؟ أم هو نتيجة منطقية لأسباب ومسببات واقعية؟! وقبل أن نتفهم معا الجواب دعونا من أن نقع فريسة للحادث الوقتي الذي يشغل بالنا، وهو زيارة القدس ومؤتمر القاهرة.. للنس هذه الحوادث الحاضرة ولنفكر في أساس المشكلة ولبها. ولست في مجال استعراض تاريخ هذه المشكلة فإن هذا أمر يطول ولكن بتعريف موجز لمشكلتنا مع اليهود نقول: اليهود شعب مشرد منذ ألفي سنة وكانت له دولة يوما ما في فلسطين ويريد العودة إلى هذا المكان ليبني دولته من جديد وهذه الأرض يحكمها شعب اعتنق الإسلام وهو جزء من أمته وقد

تكلم العربية ونسب إليهـا. هـذه القضـية الواضـحة انتقلت في مـدى ثلاثين سنة فقط على النحو التالي من قضية تهم كل مسـلم إلى قضـية تهم كـل العرب فقط ثم إلى قضية تهم الفلسطينيين أولاً لأنهم حسب قول القائلين أهل المشكلة وأصحابها ثم قضية تحملها منظمات متنافسة على الأقـل أن لم نقل متعادية متحاربة وفي إطار هذا التنافس تختلف الأنظمة السياسـية والشعوب أيضاً من الذي يحق لـه أن يمثـل الشـعب الفلسـطيني هـل هي منظمة التحرير أم عـرب الضـفة؟؟ وهكـذا بتقليص هـذه المشـكلة من أن تكون همـا يحملـه كـل مسـلم في الأرض ويطـالب شـرعاً وديناً وسياسـة بتحريرها إلى قضية يمثلها عرب الضفة الغربية فقط!! أو منظمـة التحريـر فقط!! ويظل السحرة والحواة يشغلون الجمهور بـالألاعيب السـحرية: من الخائن ومن الوطـني؟ ويضـحك السـاحر اليهـودي ملء شـدقيه وهـو يجـد تلاميذ المدرسة يتخاصمون ويتجادلون ويقولون.. كيف خرجت هـذه اللعبـة العجيبة!!.

* صلينا المغـرب وجلسـنا بعـد الصـلاة، وعرفـني أحـد الـزملاء بشـاب في مقتبل العمر أراه لأول مرة وسألني ما رأيك في الأحداث الجاريـة فـانبرى لشاب قائلاً قبل أن أجيب: بصراحة: السلم والصلح مـع اليهـود هـو الخـير. فنحن لم نكسب من الحرب شيئاً، ومنذ وصولي إلى الكويت تأسـفت على الأيـــام الـــتي حاربتهـــا وأنـــا جنـــدي في الجيش الثـــالث (المصـــري). أن الفلسطينيين يحاربونني في رزقي هنا بل يحاربون كل مصري!!.

فقلت له: اي أخي انظر خطورة القرار الذي وصلت إليه! لقد وصــلت إلى أن اليهود أقرب لك من إخوانك الفلسطينيين وهم مسلمون وعـرب أيضـاً. فقال لقد كنا في الجيش الثالث وكنا نتبادل القذف بالنيران مع اليهـود كـل يوم وكان بيننا وبينهم أمتار قليلة وكان معنا مهندس زراعي مصري وقــال: والله لأذهب إلى اليهود لأعلم لماذا يحاربوننا.. وذهب إليهم فـأكرموه غايـة الإكرام وتحدث معهم طويلاً وخرجنا بنتيجة أنـه لا فائـدة من حربنـا معهم!! بصراحة لو دعيت إلى الحرب مرة ثانية فلن استجيب!. وقـال آخـر: لمـاذا أحـــارب من أجـــل الفلســـطينيين.. هم أغـــنى منـــا وهم أولى بالـــدفاع عن وطنهم.. وكنا نتحدث مع بعض المثقفين فانبرى فلسطيني منهم قـائلاً: أنـا لا تمثلني منظمة التحرير.. لقد اثروا من ورائنا!! الخ.. انظروا كيف وصلنا، وكيف تناقضت آراؤنا في مشكلتنا بعد أن طورناهـا إلى الحـد الـذي أصـبح لكل واحد منا رأي يخالف الآخر فيها، وانظروا على الجـانب الآخـر الأفكـار اليهودية التي تجمع اليهود عليه في أول مؤتمر صـهيوني لهم في سويسـرا هي نفس الأفكار والمبادئ التي يعلنها اليهود ويفاوضون عليهـا في السـلم ويقاتلون عليها في الحرب. الموقف اليهودي من إقامة الدولة اليهوديـــة لم يتغير قيد شعرة منذ بدأ العمل الحقيقي لإقامتها والموقـف العـربي يتلـون ويتغير ويتناقض كل يوم. وما ذلك إلا لأن السحرة والحواة يشغلون النـاس عن المشكلة الحقيقة بألاعيب شيطانية تخطف أبصارهم، وتبلبل عقــولهم، وحـــول هـــذه الألاعيب تتفـــرق الشـــعوب ويلعن بعضـــها بعضـــاً، وتتمـــزق الجماعـات ويلعن كـل منـا الآخـر ثم نلعن جميعـاً الأمـة الـتي ننتمي إليهـا، ويبدوا من سير الأحداث أن الأمة التي ننتمي إليها لن تفيق إفاقة حقيقيـــة، وتتخلص من سحر السحرة، ولعب الحواة، إلا إذا وجد العرب أنفسهم غـداً

عمالاً في مؤسسات اليهود نهاراً، وخماراً وسكارى في حاناتهم ليلاً، وقد وجدوا بناتهم وأخواتهم أيضاً يمتهن كل شيء ليحصلن على لقمة الخبز وعند ذلك قد تدب الحمية في النفوس من جديد، وعند ذلك أيضاً قد ينقلب السحر على الساحر ويقوم في الأمة من ينقذها بكتاب الله وسنة رسوله فيوحد صفوفها، وينهي خلافها وتفرقها، ويقودها إلى العزة والمجد.

23 ديسمبر 1977

من نحن؟ وأين نحن الآن؟

* ها قد وصلت العربة إلى القاع فعلاً، وابتدأنا نتحسس أقدامنا من جديد، فالذين ينظرون إلى الأمام قليلاً كانوا يعرفون أين ستقع العربة، وأما الآخرون فإنهم يفيقون تباعاً، وسنحتاج إلى عامين أو ثلاثة حتى يعرف المذهولون مكانهم الصحيح، وحتى يعود الشاردون من هول المفاجأة والانفجار!! وسيكون السؤال الذي يسأله الناس بعضهم بعضاً أين نحن الآن؟! وسيختلف الناس بالطبع كما هم مختلفون الآن، فبعضهم سيقول: نحن الآن في موقع جيد، وفي أرض خضراء، وواد فسيح، وسيقول آخرون، كلا بل نحن في مستنقع عفن، وفي أرض سيئة وواقع كريه ويبدأ هؤلاء وهؤلاء يعدون الضحايا ويحصون القتلى فالمستبشرون والمتفائلون بالواقع الجديد سيقولون عن الضحايا والقتلى أنهم أغبياء لأنهم لم يمسكوا بالعربة جيداً، ولم يحسنوا الركوب في القطار وأما المتشائمون والمستبصرون فسيقولون إنهم ضحايا وأنهم شهداء!! وهذه المعركة الكلامية ستستمر وقتاً طويلاً يؤيد كل فريق منا رأيه فيه بما تستطيع بلاغته أن تصل إليه وسيعمد القادرون منا ومن بيدهم زمام الأمور على دفع الأمور لتثبت صدق آرائهم ورجاحة عقولهم، وسنظل يخطئ بعضنا بعضاً، ويسب بعضنا بعضاً، حتى تأتي رياح جديدة تقذف بالعربة إلى انحدار جديد!!

* هذه البلاهة والغفلة الجماعية التي أصابت الأمة من أقصاها إلى أقصاها -إلا من رحم الله منهم- سببها الأول أنهم يقولون: أين نحن الآن؟ وكان الواجب أن يقولوا أولاً: من نحن؟ فبالجواب على هذا السؤال سنعرف أنفسنا، ونحدد هويتنا، ونضع صراطنا (استراتيجيتنا) في الحياة وعلى أساس هذا الصراط سنحدد علاقاتنا بكل الناس حولنا شرقاً وغرباً.

* إننا مختلفون تماماً حول هذا السؤال: من نحن؟ وباختلافنا فيه تختلف نظرتنا إلى كل الأمور وحكمنا على كل الوقائع، وتحديدنا للمصلحة والمفسدة، والنصر والهزيمة والمكسب والخسارة، فهل نحن عرب؟ وماذا تعني هذه اللفظة تماماً "العرب"، أعني من هم العرب؟ وما موقفهم من الإسلام؟ وأين تقع الإقليمية في مفهوم العروبة؟ وما هي مصالحهم المشتركة؟ وإذا كان العرب مسلمين فهل هم مستعدون للالتزام بأحكام الإسلام؟ وإذا لم يكونوا مسلمين؟ فما البديل؟ وما النظام الاقتصادي الذي سيتبعونه إذا لم يلتزموا بنظام الإسلام، هل هو الاشتراكية؟ وأي نوع من الاشتراكية؟ هل هي الاشتراكية العلمية (الشيوعية) كما أجاب الرئيس جمال عبدالناصر، أم اشتراكية أخرى؟ أم هو النظام الحر الرأسمالي؟

وإلي أي حد سيسيرون في النظام الرأسمالي؟ وما العلاقة بين الدول العربية إذا اختلفت إجابة كل إقليم؟ أعني إلى أي حد سنصل في عداء بعضنا لبعض؟ هل إلى حد القطيعة والقتال وفرض الرأي بالقوة أم فقط عند حد الكلام والسباب، أم سنتعاون فيما اتفقنا فيه، ويكون لكل منها أموره الخاصة؟ وما الذي اتفقنا عليه أو يجب أن نتفق عليه؟ وما الأمور الخاصة بكل إقليم؟؟!

هذا إلى عشرات الأسئلة الأخرى لابد من الإجابة عليها لنحدد موقفنا من ذلك الشعار الذي رفعناه سياسياً وفكرياً في ثلث القرن الماضي.

* الإقليمية السياسية المعاصرة فرضها الاستعمار الفرنسي والبريطاني بعد الحرب العالمية الأولى، وتعمقت هذه الإقليمية بتباعد الديار، والحجب السياسية القائمة، ثم جاء ضجيج القومية العربية فغطى على أصوات الإقليمية وحجبها عن الظهور وكاد يهدم الحدود السياسية الجغرافية ولكن الانفصال النفسي والشعوري بين أبناء الأقاليم الإسلامية لم تستطيع عاطفة العروبة وضجيجها أن يلغيه، ثم جاءت هزيمة سنة 1967 لتسكت ضجيج العروبة وتقتل عاطفتها، وتحيي من جديد بذور الإقليمية السياسية بل وتحيي أيضاً بذور الجاهلية المدفونة منذ آلاف السنين، والعجب في النمو السريع لهذه الأشجار الشوكية السامة التي ماتت منذ آلاف السنين.

* والآن يجب أن نسأل أنفسنا إلى أي مدى سنسير مع الفكر الإقليمي السياسي الجديد؟ هل سنسير إلى الحد الذي يكون لكل إقليم جاهليته الخاصة؟ وبالطبع مصالحه ونظامه السياسي والاقتصادي والاجتماعي الخاص؟ أم سنسير إلى الحد الذي يداوي كل إقليم من الأقاليم جراحاته ويلم شعثه ومن ثم يلتحم مع سائر أقاليم الأمة الإسلامية العربية؟ وعلى أي أساس سيكون اللقاء والالتحام إن كان ثمة تفكير في ذلك؟

* خلافنا واختلافنا ليس في معرفة من نحن فقط؟ بل إننا نختلف الآن من أعدائنا؟ والعدو الذي كانت تجمع الأمة على عداوته قديماً هو اليوم محل اختلاف؟ فهل اليهود اليوم أعداء؟ وإذا كانوا أعداء فكيف يجب علينا الآن مجابهة عداوتهم هل بالتدمير الفوري، أم بالتفتيت البطيء؟ أم نحن مضطرون الآن إلى تجميد الحرب معهم إلى حين؟ أم هم أصدقاء يمكن التعاون معهم وإلى أي حد يكون هذا التعاون؟ هل كما يقول الملك الحسن: المال العربي والعقل اليهودي لخلق جنة على الأرض (وكأنه ليس عند العرب عقول لتدبير أموالهم) وإذا قررنا التعاون مع اليهود فهل هو تعاون ينبع من صراط عرب واحد أم تعاون كل إقليم بمفرده؟

* العجب كل العجب إن جمهور الأمة يعيش الآن مع الرافضين بلا هدف واضح ولا نوايا معلنة، ومع القابلين بلا حدود واضحة ولا نوايا معلنة، ولذلك فالرفض والقبول يجب أن تعلم جماهير الأمة أنه جزء من اللعبة السياسية الكبرى التي يريدها الساحر اليهودي والشيطانان الأمريكي والروسي، والسباق الآن في لعبة القبول والرفض أيهما يحرق مخالب الآخر، وحرق المخالب يعني أن نفقد جزءاً من الأمة، والأعجب من هذا أن المخالب التي تحترق دائماً هي المخالب التي يريد اليهود حرقها سواء كانت في الجانب الروسي أو في الجانب الأمريكي!؟

* مرة ثانية نقول وصلت العربة إلى هـوة جديـدة والـذي لم يعلم بعـد أننـا سقطنا في الوحل والطين سيحتاج إلى فـترة زمنيـة أطـول ليتـبين مواقـع أقدامه ويتعرف على مكانه الجديد، وأما هذه البلاغة الـتي جعلت سـقوطنا نصراً وذلنا فخاراً وعزة فإنهـا ستضـمحل بعـد سـنتين أو ثلاث وهي الفـترة الكافيـة لإفاقـة الأمـة من صـدمتها الشـديدة، تمامـاً كمـا اسـتطاعت هـذه البلاغة العجيبة أن تصور هزيمـة 1967 نصـراً مـؤزراً لأنـه أخـذ الأرض ولم يسقط النظام، ولم تستمر هذه البلاغة إلا سنتين أيضاً أو ثلاثة حتى أفـاقت الأمة ثم وجدت الأمـة أن النظـام عـاجز عن اسـترداد الأرض..!! وهـا نحن نبذل كل شيء تقريباً: تاريخنا وشرفنا، وعزتنا على أرضنا وأيضاً قسـم من أبنائنا وكل ذلك لم يرض صلف اليهود وكبرياءهم ليتنازلوا لنا عن الأرض.

* ومرة ثانية نقول: لا تسألوا أين نحن الآن؟ فالمعركـة حـول هـذا خاسـرة وسـنتفق عليهـا بعـد عـامين أو ثلاثـة وعنـدها تكـون العربـة قـد اسـتعدت لسـقوط جديـد، ولكن يـا قـوم قولـوا وأجيبـوا أولاً: من نحن؟ هـل نحن مسـلمون؟ أم نحن عـرب؟ أم نحن فراعنـة وبـابليون وآشـوريون وبربـر وفيـنيقيون أم مصـريون وسـوريون وفلسـطينيون واقليميـون على اختلاف الأقاليم؟ ومن العدو؟ ومن الصديق؟.

30 ديسمبر 1977

هل حقاً سيعيد التاريخ نفسه؟

* اليهود يحاولون إعادة التاريخ للوراء لإنشـاء دولـة على غـرار دولتهم في فلسطين منذ ثلاثة آلاف سنة، وهم في سبيل ذلك يحيون الأسماء القديمـة نفسها قبـل هـذا التـاريخ ويحملـون معهم في عبـورهم نحـو هـذا الماضـي السحيق تصميماً لهيكل سليمان بنفس المواصفات التي كانت له يوم كان، وينشئون المستعمرات بنفس أسـمائها القديمـة، ومواصـفاتها الـتي حملهـا التاريخ لهم، ويبنون الإنسان اليهودي تماماً كما كان ذلك الإنسـان اليهـودي في هذا التاريخ الغابر حيث يدرس نصوص التـوراة نفسـها وتعـاليم حكمـاء اليهود في هذه الحقبة البعيدة.

* ولو كان اليهود يصـنعون مـا يصـنعون في فـراغ لمـا اهتم أحـد بشـأنهم، ولكن اليهود لا يتم لهم ذلك إلا باستئصـال الشـعب الـذي كـان يسـكن في تلك البقعة من أرض الشام (فلسطين) وإلا بأن تقطع كل يـد تحمـل مـدداً لهذا الشعب، ولن يتم لهم القرار في هذه الأرض إلا بأن يدفنوا تاريخ هــذه البقعـة منـذ شـتاتهم منهـا وإلى عـودتهم فيهـا، والوصـول إلى هـذه الغايـة المذهلة يعني اقتطاع هذا الشعب عن أمته العريضة التي كان ينسب إليهـا ثم بناء سور من الكراهية والنفور حوله، ثم تمزيقه وضرب بعضه ببعض ثم القضاء عليه وتذويبه تذويباً بطيئاً حتى يكون أثـراً بعـد عين، ثم في النهايـة قطع آمال الأمة العريضة التي ينتسب هذا الشعب إليها أن تتطلع إلى هـذه الأرض مرة ثانية، أو تفكـر مجـرد تفكـير في العـودة إليهـا، ولا يتم ذلـك إلا بقطـع الصـلات الدينيـة والفكريـة والثقافيـة الـتي تربـط بين الأمـة وهـذه الأرض.

* إنه عمل رهيب حقاً، وهو نوع من الخيال لـولا أن أجـزاء كثـيرة من هـذه الخطة الجهنمية قـد نفـذت بالفعـل ولم تبـق إلا خطـوات يسـيرة وعقبـات صغيرة يسهل اجتيازها والعبور فوقها.

* لم يكن غريباً أو عجيباً أن يعود اليهود إلى تاريخهم وأن يحفظوا تــوراتهم وتلمـودهم وأسـماء قـراهم ومـدنهم وشـوارعهم في دولتهم القديمـة، وأن يعودوا لإحياء لغتهم التي ماتت وأصبحت أثـراً بعـد عين فهم يعتقـدون أنهم بذلك يحققون ذاتهم ويحيون هويتهم ويقيمـون دولتهم ويحصـنون أنفسـهم، ولكن الغريب حقاً أنهم يحاولون إن يزيلوا تاريخ الأمة الإسلامية وأن يمحوا تراثها وأن يبدلوا عقائد وجلود أبنائها بل وإن يحققوا فيهم ردة جماعية نحو الجاهليـة الأولى قبـل ثلاثـة آلاف سـنة وكـان اليهـود في إحيـائهم لـدولتهم القديمة يريدون أن يتعاملوا مع نفس الشعوب التي تعاملوا معهـا في ذلـك التــاريخ، إنهم يريــدون انقلابــاً كــاملاً في التصــورات والأفكــار والعقائــد والموازين أنهم يريدون للعالم الإسلامي حـولهم ردة حضـارية تمحـو تـاريخ ألف وأربعمائة سنة وهذا شيء فوق التصور والفهم.

* منـذ عـام تقريبـاً كتبت في هـذه الزاويـة مقـالاً بعنـوان: "من ذا الـذي يستطيع أن يعبر فوق هذا التراث" مهوناً من شأن المحـاولات الـتي كـانت تبذل في هذا الوقت لما يسـمى بالحـل السـلمي مبينـاً أنـه لا مكـان للقـاء حضارتين متضادتين وعقيدتين متناقضتين على هذه الأرض أرض فلسطين، وقد كان ظني في ذلك اليوم أن اليهود دخلوا هـذه الأرض على حين غفلـة من أهلها دخول اللص في غيبة أهـل الـبيت ويـوم يتيقـظ أصـحاب المكـان فلابـد من طـرد اللص، واليـوم اعـترف بخطـئي وقصـور نظـري فمـا كنت أتصـور أن للإعلام والدعايـة هـذه القـوة الجبـارة في تبـديل العقائـد وقلب الحقائق والمـوازين مـا كنت أتصـور مطلقـاً أنـه بـالإعلام والدعايـة يصـدق الناس أن الذئب يصبح حملاً وأن اللص يضحى صـاحب الحـق، وإن سـفاكاً وقاتلاً للنساء والأطفال مثل بيجن يمسي شريفاً ومناضـلاً ومـا كنت أتصـور أن أياً من الناس يصدق ذلك، ولكنني اكتشفت أخيراً خطـئي وعلمت يقينـاً أن الإعلام والدعاية هـو سـلاح العصـر الـرهيب وأن أثـره لا تعدلـه القنابـل الذرية ولا أسلحة الدمار والفتك.

* الإعلام هـذا السـلاح الـرهيب الـذي يسـتطيع تبـديل الحقـائق في عيـون الناظرين وقلب الموازين، وإزالة العقائد الراسخة، وتغيير الأديان والأخلاق، وتبديل الأنظمة والقوانين، هذا الإعلام سلاح الحرب البـاردة الخطـير الـذي يمهـد العقـول والقلـوب لقبـول الأعـداء ليكونـوا حلفـاء وأصـدقاء، والـذي يستطيع إشعال نـار العـداء والبغضـاء بين الأهـل والإخـوان والأصـدقاء أنـه باختصار أقوى سلاح العصر على الإطلاق هذا الإعلام لا تملك الشـعوب في دولنا الإسلامية منه إلا وسائل تافهة لا تستطيع بها مقاومة أي غـزو فكـري أو عقائدي وأما وسائله الفعالة فهي بيد السلطات الحاكمـة تسـخره كيـف شـاءت، وتصـيغ بـه عقـول النـاس فتبـدل بـه العقائـد والأفكـار والأديـان والأخلاق، وتستطيع به أيضاً إزالة التراث وتبديل التاريخ وتدمير الإنسان.

* واليوم أروني من يملـك عقلاً سـليماً في بلادنـا الإسـلامية لأثبت لكم أنـه يؤمن بالشيء ونقيضه، ولا يعرف أين نحن الآن في مسيرة تاريخنا، ولمـاذا

كنا نحارب اليهود؟ وماذا نريد منهم اليوم؟ وهـل سـيوافقون أو يرفضـون؟ وما معنى الرفض؟ وما معـنى القبـول؟ ومـا هـذا بـالطبع إلا نتاجـاً للحـرب الإعلامية التي استهدفت تدمير الإنسان المسلم وتشـتيت أفكـاره، وتوزيـع مصالحه والفصل بينه وبين تراثـه، وقطـع صـلته مـع ربـه ومـولاه وخالقـه، وبذلك يصبح إنساناً ضائعاً تائهـاً بلا هويـة ولا أمـل، ولا عقيـدة ولا أخلاق ولا موازين وهذا الضياع الحضاري الذي تعيشه الأمة الآن هو خير دليل على ما أقول، والخوف كل الخوف أن يسـتمر هـذا الضـياع الحضـاري مـدة كافيـة نفقد فيها أنفسنا وتاريخنا وحضارتنا ثم نفيق فنجد أننا قد أصبحنا شيئاً آخـر تماماً.. شيئاً يريد اليهود أن نكون مثله وبذلك ترجع عجلة التاريخ ثلاثة آلاف سنة كاملة فهل حقاً ستعود عجلة التاريخ إلى الوراء ويسـكن اليهـود خيـبر ويعيدون سوق بني قينقاع، ويفلحون أرض النضير، ويعـود الأوس والخـزرج يقتتلون ويفتخـرون بيـوم بعـاث، وينتصـب الهيكـل حـول الصـخرة، ويهـدم المسجد الأقصى، وتعود الأمة إلى عبادة الأوثان والأصنام.

6 يناير 1978

نحو رحلة جديدة للبحث عن الذات

* لم يتخل الله بعد عن هذا العـالم، ولن يتركـه سـدى أو عبثـاً في أي يـوم آت، فأمور العباد كلها بيده "يخفض القسط ويرفعه، يرفع لـه عمـل النهـار قبل عمل الليل، وعمل الليـل قبـل عمـل النهـار"، ويقـول عن نفسـه جـل وعلا: {كل يوم هو في شأن} ، ويقول صـلى اللـه عليـه وسـلم في معـنى الآية: [من شأنه أن يغفر ذنباً، ويفرج كربـاً، ويرفـع أقوامـاً ويضـع آخـرين]، وهذه الرؤيا الإيمانية لفعل الله في الكون والناس جزء من العقيـدة وجـزء من تفسير سنن اللـه في الكـون والـذين يفسـرون أحـداث الكـون وتقلب الزمان دون نظر واعتبار إلى سنن الله فيه يضلون ويعمهون.

* والأمـة الإسـلامية الـتي انطلقت شـرارتها من هـذه الجزيـرة المقدسـة (أرض العـرب) فبشـرت بالإسـلام دينـاً وبـالحق والعـدل ميزانـاً للحكم بين النـاس، ورفعت الظلم عن المظلـومين، وأزالت غشـاوات الجاهليـة عن أعين الشعوب المضللة المظلومة، وصهرت من انضوى تحت لوائها بـأخوة عجيبة لم تفرق فيها بين الناس لأجناسهم وأوطانهم، هذه الأمة لا يمكن أن نفهم تاريخها على وجهه الصحيح دون نظر إلى الجانب الإلهي من تاريخها، فالجوانب المادية وحدها لا تفسر بتاتاً انتصار هـذه الأمـة على قـوى الظلم الغاشمة في العالم والتي قوضتها في مـدة يسـيرة من الزمـان، ولا يمكن أن نفهم أيضاً بقاء هذه الأمة إلى الوقت الحاضر وحفظ دينهـا وكتابهـا دون نظر وفهم إلى دفاع الله عنها وحفظه لها بالمقدار الـذي يحفـظ المؤمـنين من هذه الأمة دينهم وعقيدتهم، باختصار كان الله مع هذه الأمة يـوم كـانت معه، وتخلى الله عنها يوم تخلت عنه.

* والهزائم العسكرية والسياسية ليست شراً كلها، بـل قـد تكـون الهزيمـة فرصة نادرة لتعـديل المسـار، والبحث عن الأخطـاء والرجـوع عن الغـرور، وتنقية الصفوف، والمسلمون حتى في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لم

تكن أيامهم عسلاً كلها أعني نصراً على الأعداء وظهوراً في كل معركة، بل كانت أيامهم دولاً.. يدالون مرة، ويدال عليهم أخرى، فقد انتصروا في بـــدر فكان هذا براعة استهلال وحسن طالع لأمة ناشئة، وهزموا في أحـد فكـان هذا تمحيصاً وتربية وتنقية للصفوف، ومعرفة حقيقية بأهـداف الجهـاد وأنـه لله وليس للـدنيا، وضـاقت بهم الأرض في الخنـدق وزلزلـوا زلـزالاً شـديداً حتى جهر المنافقون بعـداوتهم للرسـول وأسـمعوه مـا يكـره وقـالوا: {مـا وعدنا الله ورسوله إلا غروراً} ثم كان النصر الذي لم يبذل لـه المسـلمون صغيرة ولا كبيرة: {ورد اللـه الـذين كفـروا بغيظهم لم ينـالوا خـيراً، وكفى الله المؤمنين القتـال} ثم كـان الفتح ويومهـا تـوج النصـر ثم كـانت حـنين لكسر الغرور والتعريف بالله.

وهكذا في كل تاريخ الأمة كانت أيامها دولاً وهزائمها دروسـاً، وتـاريخ الأمـة بعـد الرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم شـاهد على مـا نقـول، فالهزيمـة العسـكرية السـاحقة للخلافـة العباسـية على أيـدي المغـول جعلت الأمـة، تضيق من ترفها الفكري، وخلافهـا العقائـدي، وتمزقهـا الاجتمـاعي، ليقـوم المصلحون من الدعاة لتصحيح مسار الأمة وإعادتـه نحـو الكتـاب والسـنة، فكانت الحركة السلفية الكبرى التي قادها الإمام المصلح المجدد ابن تيمية وتلامذتــه المخلصــون أمثــال ابن القيم، وابن كثــير، والــذهبي، والحافــظ المزي، ثم الإمام الفذ العز بن عبدالسـلام الـذي بـاع مماليـك مصـر ودفـع الأمـير قطـز تلميـذه لأن يقـود الحملـة ضـد التتـار والـتي انتهت بهـزيمتهم السـاحقة، ثم قـامت جمـوع الـدعاة إلى الإسـلام لتحـول الجيـوش التتريـة البربرية الغازية إلى الإسلام والحضارة والمدنية، وانـدفعت قوافـل الـدعاة إلى الله لتحول شعوب شـرق آسـيا إلى الإسـلام بالـدعوة فقـط، فـدخلت جزر أندونيسيا وشعب الهند الصينية في الإسـلام بالـدعوة إلى اللـه فقـط، ودون جيوش غازية وهذا في عقب أعظم هزيمة مني بها العالم الإســلامي وهي هزيمته أمام التتار.

* ولم تكن الحروب الصليبية بأقل عبرة للأمة من حروب التتار، فقد فتحت الحروب الصـليبية عين الشـعوب الإسـلامية على مـدى التمـزق السياسـي الذي تعيشه الأمة ووجود إمارات متنازعة على السلطة والسـيادة في كـل مدينـة من مـدن الشـام تقريبـاً وكـذلك فتحت عينهـا على مـدى الانحـراف الطائفي الخرافي الذي عاشـته مصـر في عهـد الفـاطميين فكـانت نهضـة صـلاح الـدين الأيـوبي البطـل المجـدد الإسـلامي الـذي أنهى تمـزق الأمـة السياسية واضطرابها الفكـري والثقـافي وردهـا إلى الكتـاب والسـنة وإلى الوحدة بمعناها الصحيح فكـانت الهزيمـة السـاحقة للصـليبيين وبدايـة عهـد جديد من العزة والسيادة الإسلامية.

* ولكن الصليبيين الجدد استفادوا من الحروب الصليبية أيما فائدة فعرفــوا مكمن القوة في الأمة وهي العودة إلى الكتاب والسنة، والوحدة السياسية فعملوا قبل غزوهم الصليبي الاسـتعماري الجديـد إلى الحيلولـة بين عـودة الأمة إلى إسلامها وعودتهـا أيضـاً إلى وحـدة سياسـية واحـدة تسـتطيع بهـا الوقوف في وجه زحفهم الاستعماري الجديد ولذلك فقد حـالوا وإلى اليـوم بين الأمة وبين هذين المطلبين الأساسيين في أي نصـر قـادم: العـودة إلى

الكتـاب والسـنة، ووجـود وحـدة سياسـية تنظم بلاد الإسـلام وخاصـة من يتكلمون بالعربية منهم.

* ومشكلة المشكلات الـتي تعـترض إفاقـة الأمـة واسـتفادتها من هزائمهـا العسكرية والسياسية المتلاحقة في العصـر الحاضـر هـو في هـذه القـدرة الخرافية التي تملكها أجهـزة الهزيمـة والـتي تسـتطيع بهـا تحويـل الهـزائم المتكررة للأمة إلى نصر في عيون الشعوب المسكينة المقهورة المغلـوب على أمرها، ولكن ذلك لن يسـتمر أيضـاً إلى الأبـد، فعمليـة (غسـيل المخ) المستمرة للأمة وفصلها عن تاريخها الإسلامي وعقيدتها الصحيحة لابد وأن تنهار أمام اليقظة الحتمية.. إن شاء الله.

* هذه اليقظـة الحتميـة هي في حقيقتهـا عمليـة بحث عن الـذات يجب أن يمارسها كل فرد في الأمة وعندما نعرف ذواتنا وندرك تماماً أننا مسـلمون وأن لا عيش لنـا ولا وجـود لنـا على هـذه الرفعـة إلا بالإسـلام، فعنـد ذلـك تصحح جميع الأوضاع الفاسدة، ولعل أعظم الأمور خطراً على رحلـة الأمـة اليـوم نحـو عودتهـا للـذات تتمثـل في صـبغ الحاضـر الفاسـد والمواقـف الفاسدة بغطـاء إسـلامي وهـذا أعظم تحريـف للكلم عن مواضـعه وأعظم تزويـر في التـاريخ، فالـذين يعمـدون إلى جبـة الرسـول وعمامتـه وردائـه ويلبسـونه لكـل الزعمـاء ولكـل الرجـال على اختلاف عقائـدهم ومـوقفهم وأهوائهم يزورون تاريخ أعظم رجل عرفته الأرض، وأشـرف إنسـان عرفـه العالم فليتقوا الله في أنفسـهم، وإذا كـان علمـاء المسـلمين في مشـارق الأرض ومغاربها قد أنكروا أن يقوم ممثل ما نعلم يقينـاً أنـه ممثـل بتمثيـل أدوار الرسول الحقيقية فمن باب أولى أن نستنكر أن يخلع ثـوب الرسـول الحقيقي ومواقفـه البطوليـة لخدمـة باطـل نعلم يقينـاً أنـه باطـل، أقـول.. تشويه الإسلام الحق وذلك بإلباسه بالباطـل سـينفر النـاس منـه وهـذا من أعظم الصد عن سبيل الله سبحانه وتعالى، ولذلك فيجب على الأمــة وهي تخطــو في رحلتهــا الجديــدة نحــو ذاتهــا الحقيقيــة أن تتجنب المــزورين الغاشين، وأن تعلم أن الذات الإسلامية الحقيقية تبحث دائماً عن العزة في غير غرور، وعن كشف الباطـل وحـذره في غـير خبث ومكـر، وأنـا لإسـلام يعني دائماً إنكار الظلم وإقرار العدل، وأن تكون دائماً كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى.

13 يناير 1978

محاولة كشف القناع

* نحمد الله إذ كان صوتنا من فوق هذا المنبر هو الصوت الوحيد منـذ عـام الذي يبشر بأن الدعوة إلى الإسلام مع اليهود سـتنتهي إلى فـراغ، ومازلنـا نقـول للآن أن مـا يطلبـه اليهـود لليـوم ليس هـو آخـر مـرادهم ولا منتهى آمالهم، ولو أعطوه الآن لطلبوا غيره فـوراً، وقـد كـانت رؤيتنـا هـذه مبنيـة على أساس النظرة الموضوعية للخلفيـة اليهوديـة الـتي قتـوم على تـراث ديني يدفعهم دفعاً إلى ما يفعلونه الآن، ولو تخلوا عنه لتخلوا عن يهـوديتهم وانسـلخوا من تـراثهم ومـا زالت كـثرتهم السـاحقة تـرى أن هـذا شـيء

مستحيل، وكذلك اعتمدنا في نظرتنا هذه على الواقع المرير الـذي تعيشـه منطقتنا الإسلامية العربية، إذ هي تعيش الآن في فـراغ حقيقي من القـوة، القـوة السياسـية، والقـوة المعنويـة العقائديـة، والقـوة الماليـة، فالوحـدة السياسـية والتنسـيق السياسـي مفقـود بين الأقـاليم الإسـلامية، والشـعب يعيش في التيه والتخبط كركاب سفينة لا يعرفـون شـاطئاً ولا يـرون نجـاة قريبـة، والقـوة الماليـة الضـخمة الـتي نملكهـا مهـدرة ضـائعة أو مسـلوبة ومحبوسة بأيدي أعدائنا ونحن نتنافس حول قشور من الحضارة المغريات، وقوتنا العسكرية متخلفة جداً إذا قيسـت بمـا لـدى العـدو، وهـذه الحـال لا تجبر اليهود بل ويرون من الغبـاء أن يرضـخوا لهـا وأن يعيروهـا أي اهتمـام في تسوية أو صلح.

* والذين ركضوا للصلح مع اليهود كان وما زال ظنهم قائماً أن اليهود دولـة تابعة للسياسة الأمريكية وأنها لا تملك من أمر نفسـها شـيئاً وهـذه خطيئـة سياسية نبهنا إليها في مقال سابق بعنـوان "لحسـاب من تعمـل إسـرائيل" وقدمنا بالأدلـة أن إسـرائيل دولـة تعمـل لحسـاب نفسـها ولكنهـا تسـتطيع استغلال الأوضاع الدولية والتناقضات العالمية، بل وتخلق التناقضـات الـتي تعمي الأبصـار عن حقيقـة نواياهـا وغايـة سياسـتها، فالمقولـة القائلـة بـأن إسرائيل هي طفل أمريكا المدلل وإن كل ما تريده أمريكا تنفـذه إسـرائيل هذه المقالة مقالة جاهلـة يجب أن نكـف عنهـا، وأن نتعامـل مـع إسـرائيل على أنهـا لص حـاذق وعميل مـاهر يعمـل لحسـاب نفسـه ويسـتغل أيضـاً الشعب الأمريكي الجاهل بحقيقة الأوضاع تماماً كما تستغل جهلنـا وعجزنـا وفرقتنا هنا.. وما إخراج رجل مثل كارتر من مزرعته في جورجيا وهو فلاح لا يعلم به أحد في بلده ولا خارجها وتهيئته ليكون رئيساً للولايـات المتحـدة إلا دليل واحد لنرى مـا يمكن أن يعملـه العمـل الصـهيوني المنظم في بلـد كأمريكا، ولنتذكر فقط كيف كانت الدعاية الانتخابية لكارتر طافحـة بوجـود تأييد إسرائيل، وبأن معونة الـرئيس فـورد لهـا لم تكن كافيـة، ولنـذكر الآن كيف أن كارتر لا يستطيع لو أراد أن يرجع عن وعوده السـابقة، وكيـف أنـه قد فشل فشلاً ذريعاً في كـل خططـه الداخليـة، ولم ينجح إلا فيمـا يوافـق المصلحة اليهودية، كإحراج الروس فيما يسـمى بحقـوق الإنسـان، ليضـمن استمرار تـدفق المهـاجرين اليهـود من روسـيا إلى إسـرائيل، وكـذلك دفـع مصر بوعوده الزائفة لتلتقي مع إسرائيل ثم تراجعه الذليل عن كل وعـوده تقريباً، وها هو الـرئيس الأمـريكي كـارتر الـذي يعمـل في الظـاهر لإخـراج الروس من أفريقيا والشرق الأوسط، يترك الصومال لتكون فريسة للنفوذ الروسي والكوبي الـذي يـدعم أثيوبيـا لأن دعم الصـومال العـربي سـيقوي موقف الدول العربية المناهضة لإسرائيل في البحر الأحمر.

باختصار اليهود يلعبون حيث يستطيعون اللعب ويعبثون بالدول والسياسات ويعصفون بأعدائهم بكل سـبيل ولا يـتركون وسـيلة إلا ارتكبوهـا، ومـا زلنـا نقول عنهم –جهلاً- صنائع الإنجليز وأطفال الأمريكان.

* من المقدمة الطويلة الماضية ندرك الحقائق التالية:

1- اليهـود شـعب جـاء إلى فلسـطين ليبـني دولـة بمواصـفات معينـة، هم يحددونها ولن يقبلوا أي صلح أو سلام يضعهم حيث لا يريدون.

2- الدول العظمى الكافرة تريد بقاء إسرائيل بمواصفات قد قبلهـا ساسـة العـرب ولكن اليهـود يعملـون جاهـدين للإفلات من القيـود العالميـة، وهم يستغلون التناقضات العالمية إلى أبعد الحدود.

3- الـذي يسـتطيع أن يكبت اليهـود وأن يحصـرهم في أرض معينـة من فلسطين أو يـزيلهم منهـا إلى الأبـد هم المسـلمون، ولكن المسـلمين الآن ليسـوا في وضـع يمكنهم من ذلـك وذلـك لفـرقتهم السياسـية وشـتاتهم العقائدي والفكري، وضياع ثرواتهم وأموالهم فيما لا يفيدهم، ولرغبة الدول الكبرى الكافرة أن يسـتمر حـالهم على هـذا النحـو لتسـلم لهم مصـالحهم واستثماراتهم وأسواقهم.

* هذه الحقائق الثلاث وددت لو قرأها كل مسلم ووعاها كل عـربي، وعنـد ذلك سينكشف عن أعيننا كثـير من الغشـاوة والجهـل الـذي يعمي أبصـارنا ويجعلنا لا نرى دربنا نحو العزة والسيادة.

* وعلى أسـاس من الحقـائق الثلاث يجب أن نبـني صـراطنا وأسـتطيع أن أقول إننا الآن نحتاج إلى ما يأتي:

أولاً: هل يستطيع ساستنا أن يخففوا الأنـوار البـاهرة الـتي يسـلطونها على جهادهم (الميمون) نحو إسرائيل سواء جهـادهم الحـربي أو السـلمي فهـذا الضـوء أعمى أبصـارنا طيلـة ثلاثين سـنة عن حقيقـة أنفسـنا وعن حقيقـة إسـرائيل وأن يسـلطوا هــذه الأضــواء أولا على أخطائنـا وعيوبنـا.. نحن متفرقون فكيف نحارب؟ ونحن منا من يموت شبعاً وبشماً ومنا من يمـوت جوعاً وفقراً فهل يحارب المتخمون المترفون أو الفقراء الجائعون.. دعونـا أولاً نمارس الرحمة والمساواة مع بعضنا البعض، دعونا لنتصـافح ولنتحـاب قبل أن نحارب، نحن أيها الساسة كم لا وزن لنا ولا رأي لنا ونحن نصدقكم دائماً حتى في القول ونقيضه إن قلتم هذا أسود قلنا هـذا أسـود، وإن قلتم لا إنه أبيض عدنا وصـدقناكم وكـذبنا أنفسـنا، بـل وأقمنـا الـدليل أنكم كنتم صادقين في المرتين وذلك أننا طيبـون عـاطفيون نحبكم أو جبنـاء نخـافكم فسـياطكم لا تـرحم، ونحن أيضـاً غربـاء في أوطاننـا فهـل من الممكن أن تدعونا قليلاً لنسترد عقولنا، ولنمارس التفكـير، هـل نسـتطيع أن نـأمن في أرضـنا وأوطاننـا هـل نسـتطيع أن نشـعر أنكم منـا وأننـا منكم.. أطلقـوا الحريات لنتكلم ولنناقش ولنبدي ما عندنا، وبالطبع سيخطئ كثير منـا لأنـه لم يتعـود الكلام إلا فيمـا لا يفيـد فلا تعجلـوا فـالأفواه الـتي كممت دهـوراً طويلة لا تحسن الكلام بمجرد اعتقاها من إسارها.

* أيهـا السـادة حطمـوا مسـرحكم السياسـي قليلاً وأنزلـوا إلى الشـعوب المسكينة واسوا ضعيفها، وارحموا فقيرها وأجبروا كسيرها واسـمعوا منهـا فقد ملت السماع لكم وجلوس القرفصاء حول المذياع لتنسم أخباركم.

* باختصار نريد إصلاح ما تسمونه بالجبهـة الداخليـة نريـد مسـاواة حقيقيـة بين الغـني والفقـير، نريـد أن يوضـع كـل رجـل من الشـعب في مكانـه الصحيح.. نريد القضاء على الرشوة والفساد والسرقات.. نريد أمناً وسلاماً لنا نحن الشعوب قبل أن تحققـوا أمن وسـلام اليهـود، لا نريـد أن تخطفـوا أبصــارنا بتحريــر فلســطين لينهب من ينهب ويســرق من يســرق ونحن

غافلون، وليموت من يموت، ويستشـهد من يستشـهد، ثم يُقـال عنهم إنهم حمقى مغفلون ماتوا في غير معركة واستشهدوا في غير قضية.

* وأما فلسطين -لك الله يا فلسطين- الـذي تريـدون تحقيقـه بـالحرب، لم تصلوا إليه، والذي تريدون تحقيقه بالسلم لا نريده، فخير لنـا من أن يحتـل اليهود أرضـنا ونعجـز عن إخـراجهم ولا نرضـى بـذلك من أن يحتـل اليهـود أرضنا فنباركهم فيها ونهنئهم باحتلالها.

* وأنت أيها الشعب المسـلم المسـكين المغلـوب على أمـره مـتى تفيـق، وتدع المسـرح.. لقـد شـارفت المسـرحية على النهايـة.. أو كمـا يقولـون.. انتهى الدرس يا غبي..

20 يناير 1978

حديث إلى الساسة

في هذا العصر الرهيب الذي يبلغ الصراع فيه بين البشر مداه وتطغى فيـه المـادة، وتختفي فيـه الأخلاق من السياسـة، تكـون المصـالح الماديـة هي العامل الوحيد في توجيه السياسـات الدوليـة، ويتنـادى فيـه كـل قبيـل من الناس إلى وحدة تجمع شتاتهم، وتجعل منهم قوة في وجه أعدائهم.. أقول في مثل هذا العالم المعاصر الذي يفترس فيه القوى الضعيف وتمكـر كـل دولة بأختها يصبح الغافلون اللاهون من أبناء أمتنا عن وحدة تجمـع شـتاتهم وعقيدة تؤلف بين قلوبهم أعظم أجراما وأكبر أثماً.

* بالرغم من أن القضية التي أجملتها في السـطور السـابقة قضـية متفـق عليهـا بين أبنـاء أمتنـا الإسـلامية العربيـة وخاصـة بعـد أن شـاهدوا تكـالب الشرق والغرب عليهم، وقيام دولة انطلقت بالعدوان من ضمير الغيب يوم كانت فكرة في قلوب أصحابها واستمرت كذلك في عالم الفعل والشـهادة إلى يومنا هذا، وأعلنت أنها ستظل كذلك حتى تحقق نهايـة أحلامهـا بإجبـار هـذه الأمـة على السـجود تحت أقـدامها والاستسـلام لمبادئهـا وأفكارهـا وعلوها عليها. وفتح أبوابها مشرعة لمشروعاتها واستثماراتها. أقول بالرغم من هذا العـدوان الصـارخ لإسـرائيل في الغيب والشـهادة على أمتنـا فـإن العـالم كـل العـالم وقـف يؤيـدها ويبـارك خطواتهـا إلا مواقـف يسـيرة من بعضهم دفعهم إليها الخجل تارة والمصلحة أخرى.. وهـذه القضـية الـتي لم يبق رجل من أمتنا إلا وأحس بهـا وعقلهـا قضـية واحـدة من قضـايا العـالم الذي يقوم على النفعية والتعصب، وفقدان الأخلاق والمبادئ، ومدح الظالم المنتصر واحتقار المظلوم المنهزم أقول ليس ثمة خلاف بيننا -فيمـا أظن- على الحكم على عالمنا المعاصر ودوله الكافرة الـتي تجـردت من الأخلاق والمثل العليا. وليس ثمة خلاف بيننا أيضاً أنـه لا حيـاة لنـا ولا بقـاء لنـا في هذه الرقعة من الأرض حيـاة عزيـزة إلا بوحـدة تجمعنـا، ورابـط يربـط بين قلوبنا، وسياسة مشتركة تنظم بها أمورنا وتقف بها -على الأقـل- في وجـه أعدائنا. كل ذلك فيمـا أظن لا أحـد يخـالف فيـه ممن انتمى إلى عروبـة أو إسلام. ويبـدو إننـا ملزمـون أيضـاً بـأن نحكم على المخـالف لهـذه القضـية بالخيانة والانسلاخ من هذه الأمة.

* وعلى كل حال ليس هذا ما قصـدت بحـديثي اليـوم فليس من شـأني أن أسود الصفحات في البديهات، وأن أبدئ أعيد في المسلمات، ولكني بصدد قضية هي منذ أمد موضع الجدال والخلاف بين أبناء أمتنا وهي الوحدة التي تجمعنا، وما العقيدة التي تؤلف بين قلوبنا أو كما يقولون ما (الأيديولوجيـة) التي تجعلها مبدأ ومنطلقاً لجهادنا وعزتنا ولست بمناقش أيضاً أهل الباطل -والذي اعتقده أنا باطلاً- بآلهم لها مقـام آخـر وأعـني بأهـل الباطـل الـذين يدعون إلى وحدة الأمـة بالعروبـة مفرغـة من الإسـلام، وإنمـا فقـط نقـول لهؤلاء ليس من الحكمة بتاتاً ولا من العقل أن نهمل في صـراعنا من أجـل البقاء عنصراً من عناصر القوة، وعاملاً من عوامل البناء والتصـدي وأظنكم لا تمانعون أن يكون الإسلام عاملاً من عوامل القوة والبناء في هـذه الأمـة واستغفر اللـه من ذلـك فليس الإسـلام إلا كـل القـوة والبنـاء لهـذه الأمـة. ولكن دعوا هذه العقيدة لي وللمؤمنين معي بــذلك. ويكفيكم أن كنتم على شيء من الحمية والوطنية ألا تهملوا الإسلام في معركتكم مع العدو الــذي يحاربكم بكل شيء. وأما دعاة الإقليمية والشذوذ والذين لا يجدون عــزتهم إلا في مقابر الفراعنة ومدافن بابـل وآشـور وحانـات تـل أبيب ومواخيرهـا فليسوا من هذه الأمة في شيء.

وأما أولئك الذين لا يجدون عزة وكرامة إلا بالانسلاخ من العروبة والإســلام كليهما والالتحاق بمعسكر الإلحاد والشيوعية والـدعوة الأمميـة إلى الثـورة على كل شيء تعصـباً وجهلاً فكيـف يكونـوا من أمتنـا - وينتمـون إلى أبنـاء جلدتنا.

* أتمنى أن يكون كلامي هذا مقنعاً لمن يخـالفني الـرأي والعقيـدة وأتوجـه إلى سواد أمتي الـذين يشـاركونني الـرأي والعقيـدة وخاصـة إلى الساسـة والرؤساء الذين شرفهم الله بزعامة هذه الأمة الشريفة المقدســة وكلفهم أيضاً بالسهر لترتاح وبالجوع لتشبع هي.. وأقول لابد من الجهــاد لبعث روح هذه الأمـة، وروحهـا هـو الإسـلام، ولبنـاء هـذه الأمـة وهـذا الجيـل بالـذات وتسليحه بكل عوامـل القـوة وتوجيهـه الوجـه الصـالحة، ونفخ الغضـب في عروقه واذكاء الحمية في نفوسـه: الحميـة لدينـه وعقيدتـه وقومـه ووطنـه وأرضه فليس بمسلم من تستباح حرماته فيسكت بل شـعار المسـلم عنـد الظلم قوله تعالى: {والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون}. وسـبيل هـذا البعث سهل ميسر وهو في إمكانكم أيها السادة بل تحت أيديكم.. لابد من استحداث وزارات للدعوة الإسـلامية في كـل حكومـة إسـلامية.. يجب فتح جامعات وكليات متخصصة في الدعوة الإسلامية والتعريف بالإسـلام.. لابـد من الاهتمام بمناهج التربية والتعليم في مدارسـنا كلهـا وإعـادة النظـر في الموجود الآن، يجب تعميق الدراسـة الإسـلامية في المـدارس والجامعـات لابد من عقد ندوات فكرية يتداعى لها مفكرو الإسلام من كل صوب وليكن شعارها جميعاً كيف نبعث أمة الإسلام من جديد؟ كيف نوقف زحف العـالم المادي بجناحيه الشرقي والغربي على أمة الإسلام؟ كيف ننقذ أنفسـنا من براثن العدو اليهودي الذي تسانده قوى البغي والعـدوان جميعـاً لاستئصـال حضارتنا وتمزيق شملنا. يجب أن توجه سوائل الإعلام جميعاً في بلادنـا في خدمة هذه المعركـة. نريـد يقظـة عامـة تسـتهدف كـل فـرد فينـا.. الرجـل

والمرأة والشاب والشيخ. نريد أن يرفع الجميع هـذا الشـعار: الإسـلام روح الأمة، ولا حياة لنا إلا بالإسلام.

* ولست في هذا الحديث بالطبع بمبعد المسـؤولية عن أي فـرد يعقـل في هذه الأمة فكلنا مسؤول عن هذه الأمانة وعلى كل منا واجب بانتسابه إلى هذه الأمة، وإنما توجهت نحو الساسة لأنه بصلاحهم صلاح الرعية.

10 فبراير 1978

كيف نصطاد الأرانب السحرية؟

* الحقيقة أننا ما زلنا مبهورين ومشدوهين أمـام مـارد الحضـارة الأوروبيـة الذي يتعاظم أمامنا يوماً بعد يوم، وأننـا مـا زلنـا للآن أيضـاً لا نعـرف كيـف نتصرف سياسياً أو عسكرياً أو اجتماعنا أو تربوياً وتعليمياً - الزمن أســرع منا والغزو الفكري والثقافي والاقتصـادي للكلاب المتصـارعة علينـا يصـيبنا بالحيرة والارتبـاك. وقـد أصـبحنا في عـالم عجيب ولا نملـك فيـه إلا النوايـا الطيبة وهذه وحدها لا تكفي..

وهذه لمحـة سـريعة للواقـع الأليم الـذي تمـر بـه أمـة الإسـلام في العصـر الراهن، وتفصيل هـذا الواقـع أمـر يطـول سـرحه ومشـكلتنا هي أن نكـون مسـتقبلاً أو لا نكــون، فنحن بلا مــراء - نعيش خــارج عصــرنا في الــوقت الراهن وعندما أقول نحن فأنـا أعـني هـذه الأمـة الإسـلامية والعـرب منهم بالذات فالفوضى الفكريـة والسياسـية والاقتصـادية والأخلاقيـة أيضـاً الـتي نعيشها لا حدود لهـا ولا ضـوابط. ولـذلك رفـع مفكـرو العـرب والمراقبـون السياسيون على هذه المنطقة اسم منطقة المفاجآت، ومنطقة كل شــيء جائز وكل شيء محتمـل!! وهـذا حـق. فمن كـان يتصـور أن أعظم الـدول العربية استقراراً وأمنا والذي كان ملجـأ لكافـة اللاجـئين السياسـيين يقتـل الإنسان في شوارعه على الهوية. ومن كـان يتصـور أن يتحـول بعضـنا من العداء الكامل مع اليهود إلى المطالبة بالسلم الكامل والود الكامــل معهم. ومن كان يتصور بعد الاجماع العربي الكامل على حرب اليهود عــام 1973 إلى التمزيق العربي الكامل عام.. 1977 ومن.. من..؟..

وهذا جانب يسير جـداً من الانتقـال من الضـد إلى الضـد ومن النقيض إلى النقيض..

* لا أريد أن أقول أن كل هذه الأمور تأتي عفوا وبلا تدبير ومكر في الخارج والداخل. فهذه هي البلاهة بعينها، ولا أريد أن أقول أيضاً أن كل هذه الأمور بتخطيط وتدبير كامل وإننا فيهـا كالـدمي بيـد المحـرك لا فعـل لنـا مطلقـاً وهذه أيضاً بلاهة كاملة. فليس صـحيحاً أن سياسـتنا تصـنع كلهـا في أرضـنا فالاستقلال السياسي انتهى أمره في الأرض الآن، وليس صحيحاً أيضـاً أننـا يجب أن نكون صفرا لا فعل لنا مطلقاً وأن روسيا وأمريكـا هي الـتي يجب أن تتولى شؤوننا وتتحكم في مصـائرنا.. ويكفي كمـا يظن البعض أن يـروا منا النوايا الحسنة..

* وباختصار نحن في دوامة والخروج من هذه الدوامة المعاصرة والمزمنة أيضاً لا يتأتى إلا بما يأتي:

أولاً: الاستقلال السياسي.

ثانياً: اجتماع الأمة حول أهداف واضحة ومحددة..

ثالثاً: الاتفاق على خطوط عريضة (على الأقل) لعمل واحد من أجل الهدف المشترك الواحد..

* والاستقلال السياسي لن يأتي إلا بأن تكون لهذه الأمة هوية عقائدية وذات واحدة تفرض عليها الاجتماع حول هدف واحد وغاية واحدة، وقد ذكرنا في مقالات سابقة أنه يستحيل أن تجتمع الأمة على عقيدة غير العقيدة الإسلامية التي ما زالت تعيش في قلوب أبنائها، وتذكي عواطفهم، وتحرك مشاعرهم. وكل عقيدة بديلة لهذا الأمل الذي نشأت عليه أجيال هذه الأمة منذ أربعة عشر قرنا فهو مهدد بالسقوط أن عاجلا أو آجلا وما هو إلا عبث وإرهاق لا نجني من ورائها غير السراب بل الصاب والعلقم. وعلى الذين لا يؤمنون إلا بالدنيا فقط ويحلمون مع ذلك بالعزة القومية أو باسترجاع الكرامة العربية أن يعلموا أيضاً أن بغير الإسلام لن يحصل لهم ما يريدون..

* ويستحيل أيضاً أن يحصل لنا استقلال سياسي إلا إذا شاركت الأمة كلها في صنع القرار السياسي ولا يجوز بتاتاً أن يكون للحاكم وحده صلاحية ذلك فالحاكم في الإسلام نائب عن الأمة لا يعمل إلا بمشورتها ولا يسير إلا برأيها وقراره إذا كان عن غير موافقة الأمة ومشورتها فهو باطل ولذلك فليس نافلة وتطوعا أن يشارك المسلمون إمامهم بالرأي بل هو واجب مفروض أن تخلوا عنه فهم آثمون، وأن امتنع الحاكم عن أخذ رأي الأمة، ومشورتها فحكمه باطل. وهذا يعني أن ممارسة الأمة الإسلامية لحقها السياسي جزء من الدين الذي فرضه الله عليها كما قال صلى الله عليه وسلم: الدين النصيحة (ثلاثاً)، قلنا: لمن؟؟ قال عليه السلام: لله، ولرسوله، ولكتابه، ولائمة المسلمين وعامتهم.. والنصيحة هنا بمعنى الإخلاص..

* وأيضاً استقلالنا السياسي يعني أن تكون لنا هوية خاصة وعقيدة خاصة في عالم تتقاسمه العقائد والأيديولوجيات والمصالح وكذلك في أن نشارك جميعاً شعوباً وحكاماً في صنع قرارنا السياسي وأن يكون هذا حقاً للأمة وواجباً عليها. وإذا تم لنا هذا الأمر الأول استطعنا بعد ذلك أن نحدد على ضوء عقيدتنا، ومشاركتنا جميعاً في صناعة مستقبل أمتنا أن نحدد الأهداف التي نريدها. وهذه هي الخطوة الثانية.. وأهداف الإسلام باختصار أن توجد الأمة الراشدة التي تحيا عزيزة مرهوبة الجانب، والتي تقيم الحق والعدل في الأرض والتي يجب أن تكون منارا وهداية للعالمين. تدعوهم إلى الله وتخلصهم من الضلال والتيه والبعد عن خالقهم ومولاهم. وهذه مهمة جليلة بل هي أعظم مهمة على سطح الأرض.. فإذا عرفنا هدفنا في الحياة كأمة ووضعنا الخطوط العريضة. وسلكنا الصراط المستقيم الذي يوصلنا إلى أهدافنا: كيف نحقق عزتنا على الأرض؟ عزتنا السياسية، وعزتنا الاقتصادية

وعزتنا الاجتماعية والأخلاقيـة. كيـف نكـون مثـالاً يحتـذينا النـاس ولا نكـون أضحوكة وأمثولة للعالمين كما هو حادث الآن..

* وهذه الأمور الثلاثة التي عرضتها آنفا هي في نظري المخرج من الدوامة الرهيبة التي تعمي أبصارنا وتقطع أنفاسنا في الوقت الحاضـر إنهـا طـرف الخيط الذي يجب أن نلتقطه لنخرج من هذه (الشرباكة): إذا عرفنـا ذواتنـا وهويتنـا. وحـددنا أهـدافنا في الحيـاة والوجـود ونصـبنا صـراطنا نحـو هـذه الأهداف فسنخرج سريعاً من الدوامة.. وأمـا إذا ظللنـا نـدور حـول أنفسـنا ونسأل ما الهدف؟ وأين الطريـق؟ أو عصـبنا أعيننـا وسـرنا خلـف الـراعي حيث نعق بنا فلن نصل إلى شيء مطلقاً وسنظل في التيه السياسي أبـدا. وهؤلاء هم السحرة.

اليهود والأمريكيون والروس يلاحقوننـا بألعـابهم البهلوانيـة من كـل جـانب. الحرب في لبنـان، الصـدام في الصـومال، المسـتعمرات في سـيناء، هـذه الأرانب السحرية التي تقفز هنا وهناك تعمي أبصارنا وتضلل عقولنا وتــدور أعيننا حولها في دائرة كاملة كل يوم فتـدور رؤوسـنا ولا نعـود نفقـه شـيئا. والحل سـهل جـداً لـو فقهنـا قواعـد اللعبـة الدوليـة الشـريرة. ولكن كيـف نعرفها

والأمة ما زالت دون سن الرشد، والـذين يتولـون شـؤونها لا يطلعونهـا من أمرها على شيء. بل

الأمة ما زالت تبحث لها عن هوية واسم..

17 فبراير 1978

بين الفدائية والتخريب..

* لا أريد أن أدخل في فلسفة طويلة للتفريق بين الخير والشـر ولكن لابـد من إيضـاح بعض القواعـد الـتي نسـتطيع بهـا الحكم السـليم على الأشـياء والأفعال وخاصة في عالمنـا هـذا العجيب الـذي اختلطت فيـه مفـاهيم كـل شيء بل الذي وضحى الحق فيه باطلاً والباطل حقاً.

أولاً: لا خلاف أن الفعل الواحد قـد يكـون فائـدة ومصـلحة بالنسـبة لأقـوام ومضرة ومفسدة بالنسبة لآخرين وقديماً قال الشـاعر: مصـائب قـوم عنـد قوم فوائد..

فالهزيمة في جانب قـوم هي نصـر حتمـاً في جـانب آخـرين والسـرقة قـد يعدها اللص الذي خلص بها فائدة ومنفعـة ومصـلحة ولكن المسـروق منـه الذي ضاع حقه يعتبرها مصيبة وضرراً. هذه واحدة.

ثانيـاً: ثمـة أمـور يتفـق النـاس عليهـا على اختلاف عقائـدهم وأفكـارهم ونظـرتهم إلى الخـير والشـر وهي أن رد العـدوان، والانتصـار من الظـالم وإرجاع المغصوب كل هذا من جملة الفضائل التي يتفق النـاس عليهـا وأن كانوا يختلفون في الفعل الواحد هل يـدخل في رد العـدوان والظلم أم هـو عدوان وظلم بذاته، وخاصة بعد دخـول اليهـود المسـرح السياسـي العلـني والمعروف أن اليهود هم أهل الكذب والتلاعب بالألفاظ على مـدار التـاريخ فهم الذين ابتدعوا ما يسـمى بـالحرب الوقائيـة ومـا هي إلا العـدوان. وهم الذين أطلقوا على المحارب الشريف الذي يحاربهم في أي مكـان يكونـون فيه: الإرهابي والمخرب...

ثالثاً: أحمق ولا شك من يكون له عدو واحد فيعمل جاهداً لتقوية جانب هذا العدو بجعل المحايدين مؤيدين لـه، وتحويـل أصـدقائه أنصـارا لعـدوه وفتح جبهة جديدة على نفسه كل يوم وكأنه يريد أن يحارب العالم وحـده. وهـذا أما أن يكون بلاهة وعماية كاملة أو خيانة وانحرافاً.

* وفق القواعد الثلاثـة الآنفـة لننـاقش الفـرق بين الفدائيـة والتخـريب في قضية فلسطين.

أولاً استرداد المسلمين لفلسطين كاملة واجب ديـني يرتكـز على مـبررات أخلاقية، ومنطلقات عادلة وافق الناس على ذلـك أم خـالفوا. فنجـد شـعباً شـرد من أرضـه بلا ذنب، وشـعباً آخـر سـكن مكانـه بلا مـبرر إلا الظلم والاعتساف والدعاوى الكاذبة في وعود التـوراة الـتي لا تنطبـق على هـذه الفئة الضالة عن هداية الرسل جميعـاً وأولهم موسـى بن عمـران صـلوات الله وسلامه عليه.

وحـرب هـؤلاء الظـالمين مشـروعة بكـل وسـيلة وفي أي أرض إلا أرضـنا نعتدي بها على سيادة آخرين ونجز بهـا من البلاء على أنفسـنا أضـعاف مـا نكسب بها، وهذه حقيقة غابت فيما يبـدو على بعض العـاملين ممن حملـوا السلاح لاسترداد فلسطين فقد ارتكـزوا على نصـف الحـق وهـو أن اليهـود معتدون ويجب حربهم وضاع عنهم نصف الحق وهو أنه لا يجوز أبدا أن يمر العمل الفدائي من البلاء على القضية أكثر ممـا يكسـب لهـا وإلا كـان هـذا عماية وجهلاً. تماماً كالقصة الرمزية التي يقـال فيهـا: أن رجلاً كـان لـه دب غبي يربيه ويعتني به، وذات يوم نام الرجل أمام الـدب فـرأى الـدب ذبابـة على وجه صاحبه ولم يعرف كيف ينحيها عن وجه صاحبه إلا بأن أتي بحجـر كبير وصك به وجـه صـاحبه ليطـرد الذبابـة. وهـؤلاء الـذين يخمشـون وجـه فلسطين ويقذفونها بالحجارة ليندبوا ذبابة من عينها أما أن يكونوا أغبياء أو خونة ولا واسطة بين ذلك.

ثانياً: المبرر الدولي والعالمي المتـاح للقضـية الفلسـطينية هـو أنـه شـعب مشرد يجب أن يعود إلى أرضه وأن لـه الحـق في إقامـة دولتـه المسـتقلة على هذه الأرض، هذا المبرر الـدولي يجب التمسـك بـه وتنميتـه والحفـاظ عليـه ولا يكـون ذلـك إلا بـأن تكـون طلائـع هـذا الشـعب على مسـتوى المسؤولية فهمـا ودرايـة وأخلاقـاً وسـلوكاً. ولا يقـول عاقـل في الأرض أن ترويع الآمنين المحايدين على الأقل أو خطف النساء والأطفال عملاً أخلاقياً يخدم قضية على هـذا المسـتوى من الأهميـة والتعقيـد والزمانـة لأجيـال لا يعلمها إلا الله.

ثالثاً: بالطبع لن أناقش رجلاً يقـول أننـا لا نحتـاج إلى مـبرر دولي وعـالمي لقضية فلسطين لأن مثل هذا الإنسـان يعيش بعيـداً جـداً عن عصـر أصـبح العالم فيه كأنه قرية واحدة وإذا كنـا نحتـاج إلي هـذا المـبرر الـدولي وجب علينا أيضاً إلا ندخل في إطار المتناقضات الدولية بين الشرق والغــرب وألا ننحاز مطلقاً لأحد المعسـكرين المتقـاتلين على اقتسـام العـالم فقـد رأينـا كيف تتحول الأمور إلى الضد إذا اختلفت المصـالح وكيـف أن الافـتراق بين روسـيا وأمريكـا إنمـا هـو اختلاف وافـتراق في المصـالح فقـط وليس في العقائد والمبادئ.. فالذين يريدون من طلائع الشعب الفلسطيني أن يكـون مطية للمصالح الروسـية في المنطقـة لا يمكن أن يكونـوا من أهـل قضـية فلسطين مطلقاً.

رابعاً: الذين يريدون من الفلسطيني أن يصلح العالم كلـه وأن يحمـل على ظهره جميـع أوزار الأرض ويوهمونـه بأنـه لن يصـل إلى فلسـطين ويعيش على أرضــها إلا إذا قــوض عــروش الــدول العربيــة (الرجعيــة)!! وأزال الإمبرياليـة الأميركيـة من العـالم وحـول الشـعب الفلسـطيني من عقيـدة الإسلام إلى عقيدة ماركس ولينين لا يمكن أن يوصـفوا أيضـاً إلا بالغبـاء أو العمالة. وذلك أن تحرير فلسطين في ذاته إذا توجه حقاً نحو التحرير فقط فإنه أيسر ألف مرة من حمل شيء من (الأوزار). وهذه العقيـدة الخاطئـة والمنطلق الخاطئ هي التي جرت البلايا والرزايا على الثـورة الفلسـطينية وأكسبتها كل يوم جديداً من الأعداء وأفقدتها مزيداً من الأصدقاء.

خامساً: قلنا في هذا المنبر قبل عام أنه لم يأت بعد الرجل الـذي يسـتطيع أن يعبر فوق تراث هذه الأمة، ويلغي قرأنها وسـنة نبيهـا الناطقـان بعـداوة اليهود والمحذران منهم، ويعفي الآثـار على آلاف الشـهداء ويـدفن القضـية الفلسطينية، ولقد هالنـا بعـد مـدة ضـخامة التضـليل الإعلامي الـذي صـور الصلح مع اليهود أنه نهاية مطاف هذه الأمة ومنتهى آمالها. وحذرنا من هذا التضليل وقلنا يجب أن تنطلق الألسنة الصادقة لتضـع كـل أمـر في نصـابه الصحيح. ولكن للأسف قامت بمقابل هذا التضليل أبواق أخرى أشد ضـلالة وعماية جعلت الخطأ خيانة، والاجتهاد كفرا، واتهمت الشـعب الـذي ضـحى بكل شيء بالقصور والتقصير وما هو أكـبر من ذلـك، ودفعت هـذا الشـعب دفعاً إلى معاداة القضية، ولا يستطيع أي منصـف أن يفسـر حـادث طـائرة قبرص إلا بالعمى الكامل أو الخيانة الكاملة ولو كنـا نعلم نيـات الخـاطفين وما تخفيه صدورهم لحكمنا بأحد الأمرين.

سادساً: مرة ثانية وثالثة - ولا نمل نفتأ نقول الطريق إلى فلسطين هو في وحدة هذه الأمة وتـآلف قلـوب أبنائهـا واعتمـادهم على أنفسـهم بعـد اللـه سبحانه وتعالى والحفـاظ على شخصـيتهم المسـتقلة ولا يكـون شـيء من ذلك إلا بالإسلام فهو دين هـذه الأمـة وأقـوى ربـاط يربـط بين أبنائهـا وهـو القادر إلى إذابة الفـروق وإذهـاب الأحقـاد، وإشـعال الغضـب الصـادق في القلوب والحمية الصادقة، وهو بعد ذلك كلـه صـلة بـرب العبـاد الـذي بيـده الملك كله يعز من يشاء ويذل من يشاء.. ولكن أنى يفهم العميان أن اللـــه ليس بغافل عن تصريف هذا الكون بـل هـو الـذي بيـده الملـك كلـه.. وهـو القادر أن توجهنا إليه أن يوجهنا الوجهة الصحيحة لاسترداد حقوقنا وهزيمـة عدونا، وأن يبارك لنا في كل أعمالنا.

سـابعاً: لمـاذا لا تنهج الثـورة الفلسـطينية منهجـاً إسـلامياً يـدرس القـرآن والسنة والجهاد وفق منهج الإسـلام وطريقتـه وبـذلك تكسـب هـذه الثـورة رضوان اللـه أولاً ويكـون الشـهيد في ظلالهـا شـهيداً حقـاً. وتكسـب بـذلك عطف الشعوب الإسلامية وتقدير العالم لقضيتها ومنهجها. والإسلام بعد هو

دين الشعب الفلسطيني وهو دين العزة والكرامة والبصيرة والحق؟ لماذا؟ هل من جواب مقنع لإهمال الإسلام؟!

24 فبراير 1978

من يستطيع إيقاف سقوط العربة؟

مرة ثانية تتابع العربة العربية السقوط نحو القاع بسـرعة رهيبـة. وتـرتطم في سقوطها بصخور السفح المنحـدر فتتمـزق أوصـالها، وتتنـاثر أشـلاؤها، ويتساقط الركاب صرعى على جانبيها ويبقى الباقون مندهشين مـذهولين، ويتساءل من بهم مسكة عقل وإدراك على أي سـفح من سـفوح المنحـدر سترسو العربة قليلاً لالتقاط الأنفـاس، ومـداواة الجـرحى، ومـواراة القتلى وتسكين روع الخائفين..

قبـل بضـعة أشـهر كـانت النقلـة التاريخيـة للعربـة حيث طـارت طيرانـا وسقطت على سفوح القدس ولهول الصدمة وضخامتها بقي جميع الركاب إلا نفر يسير لا يصدقون ما يرون، وأفاق الركـاب تباعـاً واحـداً أثـر الآخـر.. رجل يقول ارتفعنا إلى واد أفيح وآفـاق جديـدة.. إلى أرض السـلام.. وآخـر يقول.. سقطنا في الوحل والطين سقوطاً لا قيـام بعـده.. وبعـد أن تلمس الجميع أرض السقوط وجدوا الأرض طينا، والورد شوكا، والحمائم صـقورا، والماء سرابا، والسلام متعذراً أو مستحيلاً.

ونشطت فرق المسـرح السياسـي وتـوزعت الأدوار هنـا الـرفض.. وهنـاك رفض الرفض وها هم القـابلون وهنـاك المعتـدلون.. وشـرعت (الجوقـات) وحاملوا الأبواق وأدعياء الفلسفة والحكمة.. ينظرون ويفلسفون ويشجعون ويشجبون ويصفرون ويهتفون، وبدأ الجمهـور التائـه الضـائع يتـابع الفاصـل الجديد طائر اللب والقلب لا يكـاد يرجـع إليـه بصـره، ولا يسـتطيع ملاحقـة أنفاسه.

* وبعد أن تهيأ الجميع لنقلة جديدة وسقوط جديد وأفـاق الجميـع من هـول الصدمة الأولى ابتدأت العربة تتدحرج نحو مندحر آخـر وفي هـذه المـرة لا يقـف على المسـرح الممثلـون المحـترفون ولكن الجمهـور بكاملـه إلا من عصم الله منهم يشترك في اللعبة القذرة، والمسرحية المحبوكة التي ألف فصولها، ووضع حوارها الشيطان الأمريكي والروسي واليهودي، ابتدأ اللعبة أدعياء تحرير فلسطين برصاصات طائشـة لكـاتب عـربي لسـنا الآن بصـدد وضعه في الميزان، وليس هو مهما زعم الزاعمون العائق الأول ولا الأخـير في تحريـر فلسـطين ودخلت الشـعوب المسـكينة بعـد هـذه الرصاصـات الغادرة، وبدأ المسرح الجديد يدخله ممثلون جادون يأخـذون أدوارهم الـتي رسمها غيرهم، وكأنها أدوارهم الحقيقية التي تمليها وطنيتهم أو أقـاليمهم.. باختصار لقـد تحـول العـالم العـربي بأسـره إلى مسـرح حقيقي ليس فيـه ممثلون ومتفرجون وإنما فيه ممثلون فقط، وأما المتفرجون فهنـاك خـارج أسوار هذا الوطن في الغرب والشرق وفلسطين المحتلة يشاهدون هـؤلاء الأغبياء الحمقى الذين يدفع بعضـهم بعضاً من عربـة هاويـة نحـو القـاع ولا يحاول أحد مطلقاً أن يوقفها عن السقوط أولاً.

* كان بودنا أن تظل الشعوب العربية بعيـدة عن لعبـة الأمم الـتي تمـارس على أرضنا الإسلامية العربية منذ سقوط الخلافة العثمانية، وتقسـيم تركـة هذه الدولة المريضة، ولكن الشياطين الذين وضـعوا هـذه اللعبـة (تقسـيم العالم) جرعوا هذه الأمة كأس الذل والفرقة جرعة جرعة.. لقد كان آباؤنـا وأجدادنا الأقربون يضحكون ويهزأون عندما وضـعت حـدود فاصـلة بين بلاد الشام بعضها بعضاً، وبين أقاليم الجزيرة وبين مصر والشـام، وكـانت هـذه الحدود الجغرافية نوعاً من السـخرية الـتي تجـاري الشـعوب فيهـا حكامهـا دون أن تـؤمن بشـيء من ذلـك، ولـذلك رأينـا كيـف هب المسـلمون على اختلاف أقـاليمهم لنجـدة فلسـطين متطـوعين بـأموالهم وأنفسـهم عنـدما علموا بدخول اليهود إلى هنـاك، ولن أنسـى مطلقـاً كيـف جلسـت والـدتي تقنـع أخي محمـد وكـان دون العشـرين من عمـره أن يعـدل عن قـراره بالذهاب إلى فلسطين وهو يقول.. يا أمي سأموت شـهيداً وسـيجري الـدم على جبهتي هذه.. وتتوسل إليه والـدتي وتقـول لـه: يكفي ذهـاب أبيـك يـا محمد ليس لنا غيرك فيقول لا علاقة لذهابي بذهاب أبي، إنني مسؤول عن نفسي.. وكان عمري في ذاك الوقت ثمانية أعوام فقط، وذهب أخي وقتل شهيداً هناك على أرض فلسطين وعاد أبي من هنـاك بعـد انقضـاء الحـرب وبعد أن عدوه مفقوداً، ونحن مع ذلك من صـميم الريـف المصـري.. ولكن هذه الحدود الجغرافية السياسية تعمقت مع الأيام وأصبحت حقائق راسـية رسو الجبال الشامخات ليس فقط على صفحات الخرائط وإنمـا في حنايـا القلوب والصدور.

وابتدأت الخلافات السياسية بين الأقاليم تشعلها السياسة وأصحابها بسبب وبغير سبب وبالأمس كانت الشـعوب الإسـلامية العربيـة تتفـرج على هـذه الخلافات على أنها أنواع من التسلية واللهـو والألاعيب السياسـية، وخاصـة أن هـذه الشـعوب كـانت تـرى الحكـام على كـل خلاف وسـباب يلتقـون ويقبلون الخشوم وكأن شـيئاً لم يكن.. ولكننـا في هـذه الأيـام ننتقـل نقلـة جديدة ونتجرع جرعة جديدة من كأس السم والذل الذي ركبـه أعـداء هـذه الأمة القائمون على لعبة الأمم، وهذه اللعبة الجديدة أصبحت تعني إشراك الشعوب الإسلامية العربية في هدم بعضها بعضاً، وتمزيق بعضها بعضاً، وها نحن نرى اليوم أن الصدور أصبحت موغرة ومليئة بما يكفيها، وأن الألسـنة أصبحت تنفث السم هنا وهناك، والأفواه يعلوها الزبد والحناجر تتمـزق من الهتاف بسقوط قضايانا وسب أمتنا، ولعن شـعوبنا وحـط كرامـة الرؤسـاء والقادة.. وهكذا بـدأ التمزيـق والشـتات يصـل إلى الأطـراف والمنـابع وإذا استمر الحال كما هو الآن بضع سنوات أخرى فقد يصل الوقت الـذي يقتـل فيه بعضنا بعضاً.. بل سيأتي الوقت الذي لا يعرف القاتل فيه لم قتـل.. ولا المقتول فيم قتل؟!! ولعل هذا هو الوقت المناسب الذي تنتظره إسـرائيل لتحقق السلام الذي تريد لأنه سيكون سلاماً كاملاً ودائمـاً على أشـلاء هـذه الأمة التي قتل بعضها بعضاً، وسيكون هذا –لو عقلنا- هو المسـتقر النهـائي للعربة العربية الهاوية.

* والسؤال الآن من يرحمنا من هذا السقوط الـرهيب؟ ومـا الـذي يخلصـنا منه؟ هل يخلصنا منه أن يجتمع القادة والزعماء حول مائدة واحدة ويقرروا قراراً ننتظره الآن وهو فلنوقف العربة عند هذا الحد الآن حتى نهدأ قليلاً..

أو يخلصـنا منـه أن تعي الشـعوب اللعبـة اللعينـة الـتي دخلـوا فيهـا الآن، وينتزعوا أنفسهم من هـذه المسـرحية القـذرة الـتي لن تنتهي إلا بالقضـاء عليهم أنفسهم.. ومتى يتم ذلك؟ وكيف؟

ليس لنا مهرب ولا مفر من سلوك أحد هذين السبيلين أو كلاهما معاً. فإمـا أن يعي القادة والزعماء حدود المسـؤولية الـتي كلفهم اللـه بهـا وحملوهـا بموافقة الشعوب أو بالرغم عنهم، ويوقفوا سـقوط العربـة وهـذا في ذاتـه إنجاز عظيم.. بصراحة لا نريد الصعود الآن ولا الانتصار على اليهود ولا حتى تحرير فلسطين دعونا من هذه الأماني قليلاً.. ومكنونا من استرداد أنفاسنا ومداواة جراحنا وإصلاح صفوفنا وعند هذا الحد تكونـون قـد أسـديتم للأمـة أعظم خير في وقتها الراهن. وأما أن تعي الشـعوب حـدود مسـؤوليتها في الوقت الحاضر وتكف عن هذه البلاهة والغبـاء وتفيـق من سـكرة الأحـداث لتعي ذاتها وتتلمس طريقها..

* وإما انتظار الفرج من أمريكا وروسيا وتنازل اليهـود عن بعض فلسـطين فهذه كلها أماني فارغة لأن هؤلاء الشياطين الثلاثـة هم واضـعو المسـرحية ومخرجوها.

ومرة ثانية: من يستطيع إيقاف سقوط العربة؟ من؟

3 مارس 1978

****

****